عبد الوهاب مطاوع

رسائل محترقة

فريق متميزون
E-BOOK

دار الشروق

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة:

هذا العمل (تحويل كتاب: رسائل محترقة.. للكاتب عبدالوهاب مطاوع الي صيغة نصية) هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.
وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق (متميزون)

انضم الى الجروب

انضم الى القناة

كتب مجمعة لبريد الجمعة

رسائل محترقة

عبدالوهاب مطاوع

رقصة الزفاف!

كدت أعرض عن نشر هذه الرسالة واكتفي بالرد عليها في باب الردود الخاصة لولا أن استوقفتني في سطورها الأخيرة اشارة إلى صورة مرفقة مع الرسالة.. ثم إلى خطاب آخر منفصل فيها أن مددت يدي إلى الخطاب المرفق وقرأته.. ثم أمسكت بالصورة وتفحصتها.. حتى وجدتني أقرر نشر الرسالة الأصلية.. والخطاب المرفق معها لأنه يطلعنا على جانب آخر من جوانب الحياة يمس القلب ويثير التأمل!

تقول كلمات الرسالة الأصلية:

أنا سيدة في السادسة والثلاثين من عمري كان أبي يشغل مركزاً مرموقاً وتزوجت وأنا طالبة بالسنة الثانية الثانوية وعمري لا يزيد على 16 عاما من شاب يعمل بنفس السلك الذي يعمل به أبي وحملت بعد شهور وأنجبت طفلاً جميلاً ثم نشبت خلافات عديدة بيني وبين زوجي وساهم صغر سني.. مع صغر سن زوجي في عجزنا عن احتوائها.. فتم الانفصال بيننا وتنازلت عن كل حقوقي وعدت حاملة اللقب البغيض إلى بيت أبي وعمري 19 سنة فواصلت دراستي الثانوية وحصلت على شهادتها والتحقت بكلية التجارة.. ورفض أبي أن أعمل بعد تخرجي لأتفرغ لرعاية ابني، واستجبت لرغبته بالرغم من تقصير والد ابني المادي والأدبي تجاه ابنه في ذلك الوقت، ومضت حياتي على هذا المنوال إلى أن اعترضت حياتنا محنة مفاجئة حين انهار البيت الذي كنا نقيم فيه في ضاحية مصر الجديدة في حادث نشرت عنه الصحف وفقدنا مأوانا فجأة وظللنا عامين نعيش في الشقق المفروشة.. وتحت ضغط هذه الظروف وافق أبي على أن أخرج للعمل فعملت في شركة استثمارية وأقبلت على العمل بحماس وترقيت في وظائفها إلى أن أصبحت رئيسة قسم، وخلال هذه السنوات اشترى أبي شقة تمليك ودفع مقدمها من مال يخصني.. ثم اشتدت عليه الأزمة النفسية مما عاناه من جحود البعض وتنكرهم له خلال محنته..! فأسلم الروح ذات يوم ورحل عنا مودعاً بدموعي.. ولم يخلف لي سوى شهادتي ورصيد حبه الهائل في قلبي وكانت صدمة هائلة لي ولأمي الحبيبة.. ولطفلي الذي لم يعرف له في طفولته أباً سواه.. وتقبلنا واقعنا الجديد. وراحت أمي تبيع قطع مجوهراتها الواحدة بعد الأخرى لكي نستكمل مطالب المعيشة.. ولم تحتمل متاعب الحياة طويلا فرحلت عنها وخلا البيت إلا مني ومن طفلي الوحيد.

واشتدت معاناتي لمتاعب الوحدة وفقد الأبوين والزوج.. وباعدت ذات مشاكل الحياة بيني وبين إخوتي.. فواجهت الدنيا وحيدة مع ابني وثقلت عليّ مطالب الحياة ونفقات التعليم.. ومشاكل اللقب البغيض الذي حملته..، وتقدم لي أكثر من شخص يطلبون يدي للزواج.. لكن مشروعات الزواج كانت تتعثر دائماً إلى أن جاء إلى الشركة التي أعمل بها يوم مهندس متوسط العمر لعمل يخصه.. فرأني ورأيته وتكرر حضوره للشركة بعد ذلك بأسباب واهية، ثم فوجئت بمحامي الشركة يفاتحني في رغبة صديقه المهندس في الزواجٍ مني .. وعرفت منه أنه

في الخامسة والأربعين من عمره وأنه تزوج صغيرا مثلي وأن زوجته الأولى متوفاة وله منها أبناء كبار ثم تزوج منذ فترة من أخرى لكنه لم يجد معها سعادته فانفصل عنها وعلى وشك أن يطلقها ووافقت على أن ألتقي معه في العمل.. فوعدني بالسعادة.. وبأشياء كثيرة فقلت له أن أهم من في حياتي هو ابني الوحيد.. وهو شاب مهذب ومتدين ولا تفوته صلاة ولا يجد راحته مع زوجة أبيه اذا اضطر للإقامة معه.. لهذا فإن شرطي الوحيد هو ألا أتخلى عنه، فأكد لي أنه يرحب به بيننا فوافقت على الزواج منه وطلبت منه أن يخطبني من شقيقي الأكبر رغم أنه - سامحه الله - لم يزرني منذ وفاة أمنا فتوجه إلى شقيقي وتم الاتفاق على كل شيء.. وقرر زوجي أن يحتفل بزفافنا في فندق كبير. وتعرف بابني فوجده شابا رقيقا مهذبا متفتحا لحب الناس، ودهش لروحه العالية وترحيبه به.. ومودته البادية له رغم حساسية الموقف، وجاء يوم الزفاف فحضرت أسرة زوجي وأبناؤه الثلاثة وحضر أشقائي .. وارتدى ابني الحبيب بدلة بيضاء جميلة وبابيون أحمر ولأني وزوجي متشابهان تقريبا في ظروف حياتنا.. فقد كنا متلهفين معا على السعادة فاشترى لى زوجي فستاناً جميلاً للزفاف وارتدى بدلة جميلة.. وتم زفافنا في الفندق كما يزف عروسان شابان يتزوجان للمرة الأولى.. وعزفت الموسيقى فدعتنا المطربة للنهوض لكي نرقص معا كما يفعل الشبان.. فلم يتردد زوجي.. ولم أتردد أنا أيضاً وقمت أراقصه بين تصفيق الحاضرين الذين التفوا حولنا في دائرة.. فإذا بي ألمح حبة قلبي ووحيدي بين الملتفين حولنا وهو يصفق لنا بحرارة وحماس وابتسامته تملأ وجهه وهو واقف بين أصدقائه الذين دعاهم للزفاف. وكأنه يقول لي: اسعدي يا أمي فأنا أريدك سعيدة فلم أتمالك دموعي..، وأسرعت امسحها وأنا ادفن رأسي في كتف زوجي ثم رفعت رأسي ولوحت له بيدي ولوح لي بيده وانتهى الحفل.. وبدأت حياتي الجديدة مع زوجي الذي عوضني به ربي عن وحدتي الطويلة.. واستجبت لرغبته في الإنجاب رغم أن له أولادا ولي ابنا هو قرة عيني.. وحملت.. وبلغت شهورى الأخيرة من الحمل فإذا برياح الخلاف تهب على بيتنا الجديد لأسباب لا تستحق.. وإذا بزوجي يهجر مسكني بالعاصمة ليقيم مع أبنائه الذين يقيمون في مدينة أخرى قريبة من القاهرة، وجاء موعد الولادة ووجدت نفسي وحيدة ودخلت غرفة العمليات لأضع طفلتي الجديدة بعملية قيصرية.. وزوجي غائب عني وغادرت المستشفى إلى شقتي.. وتركت عملى وفقدت راتبي الكبير ولم يعد لي مورد آخر وتفرغت لرعاية طفلتي وزوجي ما زال غائباً، وسعى بيننا الساعون في الخير فوضع زوجي شروطاً للعودة.. منها بعض المسائل المادية أستطيع أن اتفاهم مع زوجي فيها، فهو إنسان كريم وميسور ولابد أنه سيقدر ظروفي.. ولن أتردد في تلبية ما يرضيه. أما الشرط الآخر فهو أن أتخلى عن ابنى وأن أدعه يذهب للحياة مع ابيه وزوجته في مدينة أخرى.. وأن أترك شقتي في القاهرة وأذهب لأقيم معه في بيت الأسرة بمدينة في الأقاليم بعيدة عن بيت أولاده الذين ترعاهم مربية وبعيداً عن ابني الذي ينبغي أن يغادر القاهرة إلى مدينة أبيه.. وهذا هو ما لا أقدر عليه أو أستطيعه. إنني يا سيدي على استعداد لأن أنفذ كل مطالب زوجي.. وهو والد طفلتي الصغيرة التي لا ذنب لها في مجريات الأمور لكني لا أستطيع أن أتخلى عن

ابني الذي أصبح الآن طالبا بكلية الطب وعمره 19 سنة والذي يحترم زوجي ويحبه ويحب كل الناس ويتقبل كل ظروف الحياة بصدر رحب، لأطلب منه أن يترك كليته في القاهرة وأصدقاءه وحياته ليعيش حيث لا يجد راحته في بيت أبيه في مدينة أخرى. وقد مضت الآن شهور طويلة.. وزوجي ما زال مصراً على موقفه وعازفا على العودة وأنا أريده لابنته البريئة ولي وأريدك أن توجه إليه كلمة تخاطب فيها قلبه وضميره كرجل يعرف ربه وأن تحكم بيننا بالعدل.. ومرفق لك خطاب من ابني الحبيب كتبه لك حين عرف أني أكتب لك عن مشكلتي ومرفق لك أيضاً بعض الصور التي تسجل زفافنا.. ومن بينها صورة ابني ببدلته البيضاء وابتسامته العريضة وهو يصفق لي وأنا أراقص زوجي في حفل الزفاف.. لكي تحكم أنت بقلبك وعقلك وضميرك.. هل مثل هذا الشاب الطيب يجوز أن أتخلى عنه؟

انتهت رسالة الأم... أما رسالة الابن الشاب التي أرفقتها بخطابها فتقول كلماتها في صدق مؤثر:

بسم الله الرحمن الرحيم.

في البداية أود أن أعبر لك عن إعجابي الشديد ببريدك الأسبوعي وما تقدمه فيه من حلول وآراء تساعد أصحاب المحن وتخفف عن آلامهم ويكفي أنه ينطبق عليك الحديث الشريف الذي يقول: «إن الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه» وأنا لن أطيل عليك ولن أصف لك مشاعري أو الأحاسيس التي تجيش في صدري لأني اعتقد أنك ستشعر بها مما ترويه لك والدتي! لكني فقط أريد أن أوضح لك موقفي حتى تكون على بينة من أمرك عندما تبدي رأيك في مشكلتها، فأنا في البداية والنهاية لا أريد إلا سعادة والدتي ووالدي لأن ذلك يريحني أما عن نفسي فبعون الله الذي لا يتخلى عن أحد وتوفيقه أستطيع أن أدبر أمري.. ولا تتصور مدى سعادتي عندما أرى أبي مستقراً في حياته بالرغم من أي شيء يخصني لأني حريص على ألا أسبب له أية مشاكل. أما والدتي.. فتستطيع هي أن تقص عليك كيف حاولت وكم طلبت منها وشجعتها مراراً على أن تتزوج حرصا مني على راحتها وسعادتها وتحملت في سبيل ذلك الكثير من الطعنات، أما الآن وفي ظروف هذه المشكلة فإنني لا اعترض إطلاقاً على سفرها للعيش مع زوجها في بلدته ففي ذلك قد يكون استقرارها وسعادتها وبالتالي سعادتي.. أما أنا فلسوف يوفقني الله لما يحبه ويرضاه سواء في العيش في القاهرة أو خارجها وسوف يعينني الله على أمري إذا أراد لي العيش خارجها ولقد كنت أريد أن اتحدث معك عن شروخ كثيرة داخل نفسي وانكسارات عديدة في قلبي لولا عناية الله لما أنجاني منها لكني لا أريد أن اشغلك عن الموضوع المهم.. وأرجو أن يوفقك الله إلى حله وإبداء الرأي السديد فيه بعون من الله ولك الأجر الكبير من رب العالمين والشكر الجزيل منا والسلام عليكم ورحمة الله.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وأبدأ بالرد على كاتبة الرسالة الأولى فأقول:

لا شأن لي بموضوع الخلاف المادي ما دمت تستطيعين معالجته مع زوجك، لهذا فأني سأركز حديثي على شرطه الآخر بانتقال ابنك إلى بيت أبيه في مدينة أخرى خارج القاهرة وانتقالك للحياة معه في بلدته، ورأيي أن من حق زوجك أن تقيمي معه حيث يريد أن يستقر ويعيش، لكنه ليس من حقه بكل تأكيد أن يفرض على ابنك الانتقال إلى بيت أبيه حيث لا يستشعر راحته واستقراره ومما يضطره للانتقال من كليته إلى كلية مماثلة في مدينة أبيه ولمفارقة زملائه وأصدقائه وأقاربه وعالمه الخاص لغير ما ضرورة ملحة.. إن ابنك له مسكن في القاهرة.. ولا يمانع في انتقالك للحياة مع زوجك في بلدته تغليباً لسعادتك على راحته الشخصية واستقراره النفسي. وأبوه وإن كان لا يعارض في ضمه إليه إلا أنه كان يبدو لي من رسالتك لا يطالب بذلك ولا يصر عليه.. فلماذا نشقُّ نحن عليه وهو شاب يؤثر الآخرين على نفسه ومستعد لأن يفعل كل ما يرضيك ويرضي أباه وزوجه.. ولو عانى من جراء ذلك الكثير.

يا سيدتي اتصلي بزوجك واعرضي عليه قبولك لأن تقيمي معه حيث يشاء لتنشأ طفلتكما بينكما، على أن يبقى ابنك في مسكنه وكليته وفى مجتمعه الصغير.. وبحيث تشرفين على حياته وراحته وتعودين لرعايته كل أسبوع أو أسبوعين.. وبحيث تستطيعين الاطمئنان عليه تليفونياً كل يوم.. وتفاهمي مع زوجك على كل أسباب الخلافات الأخرى.. وأعيدي بناء الثقة والتفاهم بينكما.. فبعودتها سوف تحل كل المشاكل.. وسوف يبدي زوجك تفهماً إنسانياً أكبر لوضع ابنك.. وهو الأب الذي عرف مرارة حرمان أبنائه من أمهم.. ولست أظن إلا أنه سوف يبادل ابنك النبيل هذا تفهماً بتفهم وإيثاراً بايثار، خاصة إذا تنبه إلى أن هذه الروح المضحية المؤثرة لسعادة الأم مع زوجها إنما هي صادرة عن ابن في.. سن الشباب. وليس عن ابنة قد تكون بطبيعتها الأنثوية أكثر تقبلاً لفكرة زواج الأم وأكثر طلباً لسعادتها في الزواج، ولن تغيب عنه وهو الرجل الذي يعرف حقوق ربه دقة الموقف الذي يجد فيه ابنك نفسه حين يكتب لي خطاباً يناشدني فيه السعي بالصلح بينكما مبدياً استعداده لقبول ما يراه زوجك.. ولعله يتذكر إن كان قد نسي صورته المؤثرة وهو واقف باسماً يصفق لكما وأنت تراقصين زوجك بفستان الزفاف.. فلا يطالبه بأكثر مما تطيقه الطبيعة البشرية ويصر على مطلبه بانتقاله إلى كفالة أبيه لأنه لن يجد استقراره معه.. ولأن الراحمين يرحمهم الرحمن وليس العكس! ولقد حرّم الله الظلم على نفسه.. فكيف نرضاه نحن لأنفسنا؟ إنني أعرف أن حياة ابنك الشاب وحيداً في مسكنك بالقاهرة في هذه السن ليس هو الوضع الأمثل له.. لكن للضرورة أحكامها..، وابنك المهذب المؤمن بربه المتقبل لاوضاع حياته بنفس راضية والمضحي من أجل غيره والمتفتح للحياة وللناس رغم شروخه وانكسارات قلبه التي لا يزعج بها أحداً. ابنك هذا يا سيدتي.. لست أخشى عليه من الحياة وحيداً لأن الله راعيه وحافظه.. ولأن قيمه الدينية والخلقية سوف تحميه من كل الشرور والمفاسد وسوف يشق طريقه بنجاح وسيكون له برجاحة عقله وواقعيته ومغالبته لنفسه شأن في الحياة وأي شأن إن شاء الله.. فلا تترددي في

إبلاغ زوجك باستعدادك لتلبية كل مطالبه بشرط بقاء ابنك في سكنه.. ولن يطول الوقت حتى تستقر الأوضاع ويتيح لك زوجك العودة لرعايته في فترات شديدة التقارب.. وسوف يحثك هو بإحساس الزوج والأب العادل على أداء هذا الواجب كل حين.

هذا عنك يا سيدتي أما عن ابنك فلست أملك إلا أن أقول: إنني أحس بكل ما تحس به وأتفهمه تماماً.. واعجابي بنبلك وبتقبلك لكل ما تأتي به الأنواء بلا لوم لأحد ولا سخط عليه.. لا حدود له ولا نهاية لهذا فإني أحييك. وأشكرك على كلماتك الطيبة.. وأعتذر لك عما لا حيلة لك فيه!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الـرجـل القـوي

لم أكن حتى سنوات أتابع بريدك الأسبوعي..... ثم بدأت اقرؤه متندراً على ضعف هؤلاء الأشخاص الذين يشكون من هموم عابرة لا يليق بالأقوياء أن يشكوا منها.. أو أن يعرضوها تحت أنظار آلاف القراء لأني أؤمن أن الرجل القوي لا يصح له أن يشكو.. أو يطلب عطف الآخرين.. وإنما عليه أن يصارع الناس والحياة ويظهر دائماً بمظهر القوي الذي لا يضعف.

وكانت نشأتي تؤهلني للإيمان بهذه النظرة تجاه الحياة فقد كان أبي موظفاً صغيراً بمجلس مدينة صغيرة بالأقاليم ونعيش في بيت كبير مع شقيقين لأبي متزوجين ولكل منها زوجة وأولاد، وكنا نحن خمسة أخوة ولكل عم 4 أولاد فكنا 13 ولداً وبنتاً في أعمار متقاربة نعيش في بيت واحد من دورين ونتناول طعامنا ـ من مطبخ واحد تتناوب الخدمة فيه أمي وزوجتا عميّ فتعد إحداهن بالتناوب الطعام للأسرة كلها وتقدمه للأبناء بغير تفرقة.. فإذا تأخر أحدنا عن موعد الغداء لم يجد ما يأكله وكنت إذا لم أذهب إلى المطبخ قبل الآخرين فقد لا أجد ما أكله وإن لم أسبق البعض فقد يظفرون قبلي بما لذ وطاب. وانتقلت معي هذه الطبيعة إلى المدرسة.. فتعلمت أن أخذ ما أريد بالحيلة أو بالقوة.. أو بالتفوق وقد حدث أن شكوت لأبي من أن ابن عمي الأكبر مني قد ضربني فلم يزد على أن قال أننا أخوة ولا فرق بيننا ثم لم يفعل شيئاً فتعلمت ألا أشكو لأحد وأن انتقم ممن يؤذيني بنفسي، وبكل الطرق الممكنة.. وساعدني بنياني المتين على فرض سطوتي على إخوتي وأبناء عمي وأصدقاء الشارع، لكني لم أنجح أبداً في أن يكون لي أصدقاء دائمون في مراحل عمري كإخوتي وأبناء عمي. فقد كانت لي دائماً صداقات مؤقتة ترتبط بفترة معينة أو رياضة أمارسها ثم تنتهي سريعا من جانب الآخرين وبلا أي محاولة من جانبي لاستعادتها أو المحافظة عليها، وكان أبي يرقبني بقلق، وقال لي ذات مرة أنه ليس قلقاً على أحد من إخوتي سواي لأني كما قال في عراك دائم مع الدنيا والناس ولن تكون رحلتي في الحياة آمنة، ونصحني كثيراً بأن أحب الناس وأتعاون معهم. ورغم أني اعتبرت الحب أيضاً من أنواع الضعف التي لا تليق بي فإنني وقعت في غرام زميلة لي بالكلية وبذلت المستحيل لكي استميلها إليّ بلا فائدة وغاظني أن هناك زميلاً لنا ترتاح إليه ويجلسان معاً كثيراً.. فانتظرته خارج الكلية وتحرشت به ثم ضربته علقة موجعة.. وأمضيت ليلة في قسم الشرطة حتى جاء أبي من البلدة واستعطف ضابط الشرطة ألا يضيع مستقبلي بعمل محضر رسمي، وبكى أمام والد الشاب حتى تنازل عن المحضر، وأخرجني وسار أمامي صامتاً مهموماً.. ثم توقف فجأة في الطريق واستدار نحوي وهوى بكفه على وجهي فتطاير الشرر من عيني لكني سكت احتراماً له ورغم ذلك فقد أثمرت هذه العلقة تحولاً غريباً في مشاعر زميلتي فقد بدأت تستجيب لمحاولاتي للتقرب منها.. وانتهى الأمر بأن تقدمت لخطبتها بعد تخرجنا وفرضتُ هذه الخطبة على أبي رغم أني كنت قد وعدت ابنة عمي بخطبتها وكانت الأسرة كلها تعلم ذلك لكن إصراري على تفضيل زميلتي أدى إلى نشوء خلافات عائلية انتهت إلى

استقلال عمي بمسكن خاص له بعيدا عن بيت الأسرة.. وإلى اتهامي من الجميع بأني أفسدت ما بين الشقيقين بما أسموه نذالتي لكني لم اهتم كثيراً بذلك بل واعتبرت ما حدث انتصاراً لي.

وعينت مع خطيبتي في هيئة مرموقة يحلم الشباب بالعمل فيها بفضل والد خطيبتي الذي كان من كبار مديريها واضطر أبي لبيع قطعة الأرض التي يملكها ليقدم لي المهر والشبكة اللذين طلبتها وحرصت على أن يليقا بمستوى الأسرة التي صاهرتها وطيبت خاطر أبي عندما قال لي أنني ظلمت أخوتي بإصراري على هذا الزواج الباهظ بالنسبة لنا فوعدته بأن أساعده في زواج إخوتي بعد أن أحقق نجاحي قريباً وتزوجت وواصلت حياتي بنفس منهجي.. وحددت طريقي دائماً في أن أتقرب من «الرأس» الكبير في أي موقع أعمل به وأكافح حتى أنال ثقته، فإذا ما تمكنت منه نفضت يدي من الجميع وركزت جهدي واهتمامي عليه، فأمضيت أيضاً سنوات العمل الأولى بلا صداقات حقيقية مع الزملاء ولولا علاقاتي مع أسرة زوجتي وبعض أقاربي لما زرنا أحداً أو زارنا أحد.. واستاءت زوجتى من كثرة عداواتي في العمل.. ومن كثرة ما سمعته من شكاوى الآخرين مني، وحاولت أن تحسن صورتي أمام الزملاء وهي تقسم لهم بأني لست بهذا السوء الذي يتصورونني به. لكن عيبي أنني لا أهتم بالرد على ما يقال عني!.

فلم تنجح كثيراً في تغيير مواقف الزملاء مني.. ولم أهتم أنا بذلك واكتفيت بأن أعاملها وأسرتها معاملة طيبة وعشنا معاً حياة زوجية هادئة وأنجبنا ولدا وبنتين وحاولت إسعادهم بقدر طاقتي ثم ألححت عليها في أن تحدث أباها في ترشيحي للعمل بأحد مكاتب الهيئة المنتشرة في بعض عواصم العالم لكي نرفع مستوى حياتنا ونحقق أحلامنا في تربية أطفالنا تربية راقية ونكون لأنفسنا ثروة تحمينا من غدر الزمان فتم نقلي للعمل في فرع الهيئة بإحدى العواصم قبل دوري الطبيعي بـ 3 أعوام.. واعتبرني من كان مرشحاً للسفر مغتصبا حقه واتهمني اتهامات سخيفة فتماسكنا بالأيدي وكاد سفري يلغى لولا توسلي لمديري وجهود صهري وسافرنا وبدأت مرحلة جديدة من حياتي وبعد عدة شهور أراد شقيقي أن يعقد قرانه فكتب إليّ أبي يستنجزني وعدي بالمساعدة في زواجه، فرددت عليه بأني لم أستطع بعد تكوين أية مدخرات وأرسلت له مبلغاً بسيطاً فأحزنه ذلك ورد عليّ بخطاب يتهمني فيه بالأنانية والعقوق.

ومضت رغم ذلك سنوات العمل في الخارج سعيدة ونجحت في تكوين مدخرات كبيرة وشراء مستلزمات بيت عصري وعدنا لمصر فأجرنا شقة أكبر وفرشتها بالأثاث الفاخر وبدأت أعيش حياة اجتماعية جديدة، وأسعى لمصادقة الأشخاص المهمين ودعوتهم للعشاء في بيتي، في حين تباعدت زياراتي لأسرتي.. وانقطعت تماما كل صلاتي بزملاء عملي قبل السفر وكان قانون الهيئة لا يسمح بعملي في الخارج من جديد قبل 4 سنوات أخرى فسعيت عن طريق الأصدقاء الجدد وأصهاري للحصول على عمل في هيئة دولية وتم اختياري فعلا بفضلهم للعمل في نفس العاصمة التي أقمت فيها 4 سنوات فعدت إليها وتسلمت عملي رئيساً لأحد مكاتبها وكان نظام العمل بهذه الهيئة يقوم على نظام العقود المحددة المدة لعام أو

عامين حسب الحاجة، وكان معي في هذا المكتب مساعدان مصريان يعملان بعقود محددة المدة ويقيمان مع أسرتيهما في هذه العاصمة منذ سنوات، فتعاونت معهما في البداية وتصادقت أسرتي مع أسرتيهما لكن ذلك لم يمنعني من أن أكون حازماً معهما في العمل بل ولا من عقابهما كلما تطلب الأمر ذلك حتى ضاقا بي وخيل إليّ أنهما يتآمران ضدي فبيت النية على التخلص منهما في أقرب فرصة، واستمرت العلاقات العائلية بيننا وأنا أبذل كل جهدي في عملي وفى نيل ثقة رئيس الادارة التي نتبعها حتى جاءت اللحظة المناسبة وانتهى عقد أحدهما.. وسألني المدير عن رأيي فيه فأكدت له عدم صلاحيته فرفض تجديد عقده وأثنى على إخلاصي للعمل الذي دفعني لإصدار حكم محايد على زميل رغم كونه مصرياً مثلي!. ونزل خبر الاستغناء عن هذا الزميل على أسرته كوقع الصاعقة فقد كان أطفاله في المدارس وليست أمامه فرصة أخرى قريبة للعمل وعدت إلى البيت فوجدت زوجته وأولاده يبكون ويتهمونني بأنني وراء فصله فدافعت عن نفسي قدر استطاعتي وغادرت زوجته البيت باكية وهي تدعو الله عليّ أمام زوجتي وأولادي وتشاءمت زوجتي وبكت فنهرتها.. فشتمتني فصفعتها صفعة احتاجت لأن تتردد على طبيب الأذن بعدها لمدة شهر لعلاجها واضطررت أنا لشراء خاتم سوليتير ثمين لها لاسترضائها خوفاً من أن تشكوني لأبيها، أما الزميل الأخر فقد ضيقت عليه الخناق حتى ضاق فدخل مكتبي ذات يوم ثائراً وحاول الاعتداء عليّ فاستعنت بقوتى للدفاع عن نفسي والسيطرة عليه وأشهدت عليه الزملاء فانتهى الأمر بفصله جزاء لرعونته، ورغم خطئه الواضح فقد تكرر نفس المشهد السخيف في بيتي وجاءت زوجته لا لتبكي وإنما لتتوعدني بانتقام السماء مني وتنصرف داعية عليّ، وضقت بهذه المشاكل فطلبت نقلي إلى مدينة أخرى فنقلت إلى عاصمة أفريقية واحتفظت بمسكني في المدينة الأوروبية وعشت فيها 4 سنوات أخرى شهدت أيضاً بعض المشاكل المماثلة مع الموظفين والمساعدين حتى تعلمت ألا أزور احداً من الزملاء وألا يزورني أحد خاصة ممن يعملون معي. وانتهت إعارتي للعاصمة الأفريقية فعدت للعاصمة الأوروبية وكنت خلالها أسافر كل عام إلى مصر لقضاء الأجازة الصيفية وزيارة أهلي وفي إحدى هذه الزيارات توفى أبي وحزنت عليه كثيرا ولمت نفسي طويلاً لأني انشغلت عنه كل تلك السنوات الماضية، وواسيت أمي وأخوتي ثم اشتريت لنفسي شقة جديدة وشاليهاً على البحيرات المرة وعدت إلى مقر عملي وواصلت عملي وكفاحي لتحقيق أهدافي وأصبحت مديراً لنفس الإدارة. التي بدأت عملي فيها واكتشفت أن حياتي الماضية كلها كانت عملا في عمل وأني بلا أصدقاء تقريبا.

وتمر عليّ معظم الأمسيات.. وأنا حبيس بيتي اتفرج على التلفزيون أو أعمل في بيتي.. وخطر لي أن اسأل عن الزميلين القديمين اللذين كنت أصادقهما في بداية عملي فعرفت أن الزميل الأول الذي لم يتجدد عقده قد ساءت أحواله بعد الاستغناء عنه.. فظل عاطلاً لفترة طويلة، واضطرت زوجته للعمل في فندق صغير عاملة نظافة، واضطر هو للعمل في محل تجاري عاملاً، ثم عمل سائقاً لسيارة نصف نقل عدة سنوات ثم اشترى سيارة أصبح يعمل عليها بالطلب، وأنه قد تدين وأصبح من المحافظين على التردد على مسجد المدينة الذي لم أزره سوى مرة واحدة في

بداية عملي فيها، أما الزميل الأخر الذي فصل فقد هاجر إلى دولة أخرى وما زال على صلة حميمة بصديقة القديم. فركزت كل مشاعري على أولادي، وحاولت أن استعيض بهم عن الصداقة والأصدقاء وكانت ابنتاي تشبعان حاجتي العاطفية للإئتناس بالآخرين أما ابني الوحيد فقد كان دائماً فاتر المشاعر تجاهي رغم شدة إقبالي عليه ورغم محاولاتي الدائمة لاستمالته وإبهاره وإبهاجه فقد كان دائماً مكتئباً بلا سبب مفهوم، ويحن حنيناً غريباً إلى أقاربه في مصر ولا يسافر معنا بعد انتهاء الأجازة إلا بمعركة، فإذا عدنا أمضى الأيام الأولى بعد العودة حزيناً لا يكلم أحداً ويخصني أنا بالذات بخصامه وابتعاده عني، وفسرت ذلك بعدم تأقلمه مع زملاء المدرسة، لكن الأمر زاد حتى بدأت ألاحظ عليه قلة نشاطه، ثم بدأت درجاته المدرسية تتدهور واستدعتني المدرسة لتبلغني بانخفاض مستواه الدراسي، وتنصحني بعرضه على الطبيب، فعرضته على أحد الأطباء فقام بفصحه ثم طلب إدخاله المستشفى لإجراء بعض الفحوص له وانزعجت زوجتي لكني طمأنتها بأن هذا إجراء عادي في هذه البلاد، وأدخلناه المستشفى وأقامت معه أمه عدة أيام، فكأني به قد أدخلناه بيت التيه الذي لا مخرج منه، فمنذ ذلك اليوم يا سيدي وهو لا يخرج من فحوص إلا ليبدأ فحوصا أخرى، والأطباء هنا لا يراعون المشاعر العاطفية ويصدمونك بالحقيقة مهما كانت قاسية، وقد قال لى كبيرهم في هدوء أن هناك شكا في كذا، وأنه سوف يخضع للفحوص والعلاج ثم لإجراء عدة عمليات جراحية متتالية، وإن الأمل قائم لكنه ليس مؤكداً.. و ولم أسمع بقية حديثه لأني رحت في إغماءة انشغل هو ومساعدوه في إفاقتي منها، وعدت لبيتي وقد تضاعف عمري في لحظة واحدة، وحاولت كل جهدي أن أخفف عن زوجتي وطفلتيّ الأمر، ولكن قلب الأم لم يدع لي فرصة لخداعها فانهارت باكية، ووجدت نفسي أبكي معها لأول مرة منذ صباي.

وتغيرت حياتي تماماً منذ ذلك اليوم.. وكرهت العمل الذي حاربت كثيرين لكي أتفوق عليهم فيه، وساءلت نفسي: ما قيمة المركز والنقود والسيارة الفارهة إذا كان قلب الإنسان ينزف دماً؟ وتذكرت مسجد المدينة الذي لم أزره منذ عشر سنوات فسعيت إليه وصليت فيه ورطبت دموعي - التي كنت أعدها قبل ذلك ضعفاً لا يليق بالرجال - سجاد أرضه، ورأيت زميلي القديم في صلاة الجمعة ذات مرة فلاحظت ملابسه البسيطة ولحيته الجديدة وتقدمت منه وصافحته باسماً فصافحني ثم استدار وانصرف قبل أن أتمكن من محادثته، وراقبته وهو يركب سيارته نصف النقل ويبدو هادئ البال راضياً، وجاء موعد الجراحة الأولى لابني ونزف قلبي دماً وأنا أودعه ليبيت في المستشفى ليلتها وحيدا وقد بدا وعمره 14 عاماً في حجم طفل صغير، وجاء الصباح وأنا لم أنم لحظة واحدة فذهبنا إلى المستشفى وجلسنا في غرفة الانتظار أنا وزوجتي وأنا لا يستقر لي مقام، واللحظات تمضي كأنها دهور حتى فوجئت بمن يتقدم منى على استحياء ويقول لي بالعربية «وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ»، إن شاء الله بالشفاء فلا تخف ثم يجلس على أحد المقاعد بجوار زوجتي ويخرج مصحفه ويتمتم بآياته طويلاً وأنا أرقبه من بين دموعي، إنه الزميل القديم علم بجراحة ابني فتناسى كل ما سببته له من آلام وجاء يشد من أزري ولم يفارقنا إلا بعد عودة ابني لحجرته عارضاً علينا خدماته ومعطلاً عمله

ومصالحه ليؤدي لنا أي خدمة، وحين ودعني على باب الغرفة وجدت لساني ينطق ويطلب منه أن يصفح عني، فإذا به يقول لي أنه سامحني منذ زمن طويل وكتب لصديقه المهاجر إلى دولة مجاورة ليصفح عني هو الآخر بعد أن علم بالقصة وأنه يدعو لابني في صلاته فشكرته من أعماقي.

ومضت الأيام بعدها ثقيلة وخرج ابني إلى البيت وبدأنا نتردد على الطبيب كل أسبوع.. وعاد للمدرسة مع التوصية الطبية بعدم مشاركته في أي نشاط رياضي أو بدني، وبدأت اقرأ صفحتك باهتمام وبإحساس جديد بالتعاطف مع هؤلاء المهمومين الذين ضاقت صدورهم بهمومهم. فكتبوا إليك بها بل ووجدت نفسي أذرف الدموع أسفاً للأب الذي تعانى طفلته من كليتها والذي نشرت رسالته منذ أكثر من عام بعنوان الشعر الذهبي وتعاطفاً مع الأم التي أصرت على أن تذهب طفلتها للمدرسة وتواجه الحياة معتمدة على نفسها رغم مرضها المؤلم وأصبحت عيناي تدمعان مع كل هم إنساني يعرضه صاحبه، وأعرف معه أشياء جديدة لم أكن أعرفها عن الحياة التي كنت اتصور أن الفوز فيها للقوي الذي لا يضعف وحده.

ثم صحوت ذات صباح من نومي وغادرت سريري فإذا بي أفقد توازني وأعود للاستلقاء على السرير، وتكررت محاولتي وتكرر فشلي رغم أني لا أحس بأي ألم، ولاحظت زوجتي ذلك فسألتنى عما بي فطلبت منها بصوت هامس أن تدعو الطبيب، وجاء الطبيب وظللت طريح الفراش ممنوعاً من الحركة لمدة 40 يوما ثم نقلت للمستشفى وخضعت لإشراف طبي دقيق، ثم غادرته على أن ألتزم بنظام علاجي صارم، وأعود إليه كل 3 شهور، وخلال ذلك فلا عمل شاق ولا تدخين ولا سهر ولا رحلات ولا طعام شهي الخ .

ولم يؤثر ذلك كثيرا فيّ، فقد كان همي بابني أكبر من همي بنفسى خاصة وقد اقترب موعد جراحته الثانية وقد أصبحت لا أذهب إلى العمل إلا يومين أو ثلاثة كل أسبوع.. ولولا حاجة ابني للعلاج المتقدم في هذه المدينة لتركته وعدت إلى بلدي وحاولت أن أبحث عن كل من أغضبته ذات وسألته العفو والسماح واسترضيت كل أهلي الذين ابتعدت عنهم في السنوات الماضية، بل وحاولت أيضاً ولو بالبريد أن أكتب إلى من أذيتهم خلال عملي في تلك المدينة الأفريقية طالباً منهم جميعاً، الصفح عني، وقد تنبهت فجأة إلى أني لم أخرج زكاتي منذ أصبح لي مال تستحق عنه الزكاة فقررت أن أكتب إليك لاسألك بمن ابدأ في تقديم زكاتي إليهم ثم لأسألك: لقد أراد الله أن يردني عن غيّي بعد كل هذه السنوات وأنا راض بعقابي في نفسي لكن هل يجوز لي أن اسأل مستغفرا الله عن ذنب ابني البرىء فيما فعلت بحياتي وهل يحاسبني ربي على ما أبديه من هلع وخوف عليه الآن بعد أن قال لي قائل أن ذلك من ضعف الإيمان!.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

آه لو تعفف الإنسان عن إيذاء الآخرين وحاول دائما أن يحقق أهدافه في الحياة بغير أن يمشي إليها فوق جثث الآخرين وصراخهم وعويلهم، إذن لاختفت معظم أسباب الشقاء الإنساني ولتخففت الحياة من كثير من آلامها.

لقد استعرض الفيلسوف الألماني «كانت» شريط حياته وهو مستلق في فراشه من الطفولة إلى لحظته الراهنة.. ثم هز رأسه وقال: هذا حسن، وأسلم روحه لبارئها مطمئناً إلى أنه لم يؤذ أحداً في حياته. وأحد الصالحين تولته رجفه وهو في نزعه الأخير فعاتبه صديق صالح قائلاً له: أتخشى لقاء ربك وأنت من عشت حياتك في طاعته؟، فأجابه باكياً: أخشى أن أكون قد أذيت نفساً بغير أن أدري.

فكم منا يا صديقي يستطيع أن يردد نفس العبارة وبعضنا لا يهتز له رمش وهو يطأ الآخرين في طريقه إلى تحقيق مأربه وبعضنا الأخر لا يجد وسيلة لتحقيق بعض أهدافه الرخيصة في الترقي إلا في ايذاء بني وطنه وأبناء جلدته، فيكون كمن قيل عنه أنه قد ظلم ليشتهر بالعدل مع أن أبواب الحياة متسعة للجميع ويستطيع كل إنسان لو أراد أن يحقق سعادته بغير إشقاء الآخرين.. ويستطيع أن يرضى بما حقق ولا يتعجل قطف الثمار إلى أن تأتيه راغبة وحين يأذن الله له بها. وما أحقر ما نتصوره أهدافاً جليلة في الحياة إذا قارناها بما يستحق أن نشقى للوصول إليه كالسعادة.. وراحة القلب.. ودفء المشاعر.. والسلامة من غوائل الدهر.. والإحساس بالأمان. وبأننا في أمن من عقاب الله وعقاب الحياة.

لقد كانت هذه هي الحكمة الثمينة التي أدركتها أنت بعد أن لِهثت طويلاً في الاتجاه الخاطىء. فاكتشفت أخيراً بالتجربة الأليمة أن ضعف الإنسان أمام آلامه حق، وأنه في حاجة إلى من يشد أزره فيما يصادفه من محن واختبارات وأنه بغير حب الآخرين وإحساسه بالرضا الداخلي عن نفسه لا يساوي الكثير مهما تبدى له غير ذلك.

لقد عادت إليك الآن ياصديقي شجاعتك الحقيقية حين اعترفت بخطاياك ورغبت في التكفير عنها، ولقد كان الكاتب الروسي العظيم تولستوي يقول «إن الإنسان لا يقترب من الله إلا إذا كان وحيداً» والأصح في رأيي هو أن الإنسان في حاجة ماسة ودائمة لأن يقترب من ربه لكيلا يكون وحيداً أبداً.. ولكي يحس بأن له دائماً سنداً ونصيراً فاقترب من سندك الأكبر في الحياة يا سيدي وأدعه خوفاً وطمعاً خوفاً من عقابه وطمعاً في رحمته وعفوه.

واستعرض شريط حياتك واكتب إلى كل من تحس أنك قد آذيته في رحلة حياتك منذ صباك وحتى الآن وأبدأ بعمك وابنته التي نكثت بعهدك معها ثم بكل زملاء العمل في مصر والمدينة الإفريقية ثم العاصمة الأوروبية واطلب منهم صفحهم جميعاً واعرض عليهم خدماتك فيما تستطيع أن تقدمه إليهم وكن بلسماً لجراح الآخرين يخفف الله عنك آلام جراحك وينزل السكينة على قلبك ويقرب ابنك الغالي من الشفاء الناجح بإذن الله أما عن تساؤلك المؤلم عن ذنب ابنك فيما فعلت بحياتك فلا ذنب له في شيء وليس عندي من رد على تساؤلك سوى أنه ابتلاء من الله سبحانه وتعالى علينا أن نتقبله بالرضا والتسليم وليس لنا أن نسأل لماذا؟ فحكمته

تجل عن الأفهام، وما من شوكة تصيب الإنسان إلا ويجزيه الله بها خيرا في الدنيا والآخرة فلا تشغل نفسك بهذه الخواطر المؤلمة وتشاغل عنها بتنفيذ برنامج العلاج الدقيق لابنك الغالي ولك، وبالتقرب إلى الله بالعمل الصالح وبالعطاء للآخرين وبخدمة الحياة عسى أن يتقبله منك ويمسح على جراحك وابدأ بحساب زكاتك المتأخرة وأخرجها إلى من يستحقونها وليكن ذوو قرباك من الضعفاء في مقدمة من توجهها إليهم ثم إلى الفقراء من بني بلدتك وما أكثرهم في بلادنا.

أما عن جزعك على ابنك فلا لوم عليك فيه ولا تثريب فهو إحساس إنساني صادق، وقديماً قال الشاعر العربي متوجعاً على ابنه:

أُلام على ما أبدي عليك من الأسى

وإني لأخفي منه أضعاف ما أبدي

ولا عجب في ذلك فلكل إنسان يا صديقي قدرته على الاحتمال والتصبر.. والتحمل «وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ» وأقرب إلى مرضاة ربك.. وانسب إلى حالتك الصحية التي تتطلب منك أن تعين نفسك عليها وعلى آلامك الأخرى.. بالصبر والاحتمال.. أعانك الله على آلامك ومنّ على ابنك العزيز وعليك بالشفاء العاجل الكامل إن شاء الله....

إنه على كل شيء قدير.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

العام الأخيـر !

هذه الرسالة أريد أن أنشرها بغير تدخل مني في صياغتها أو في إعادة ترتيب بعض أجزائها.. ذلك أن اضطراب سياقها أكثر تصويراً لحالة كاتبتها وظروف قصتها من أي محاولة لروايتها بالتسلسل الطبيعي كغيرها من القصص، فإن كنت قد تدخلت في صياغة هذه الرسالة فليس سوى بحذف بعض الكلمات التي تجرح المشاعر.. وتوضيح بعض مفرداتها الغامضة، وإثبات بعض الكلمات التي سقطت سهواً من الكاتبة خلال انفعالها بما تحكيه.. ولنبدأ معاً قراءة هذه الرسالة التي أقضّت مضجعي ووضعتني أمام اختبار رهيب من اختبارات الحياة التي لا حد لقسوتها وبشاعتها في بعض الأحيان. تقول الرسالة المفزعة..

بعد الصلاة والسلام على سيدنا محمد عليه وعلى آله وصحبه أفضل وأتم السلام.. الأستاذ الفاضل..... لا أعرف والله كيف ولا من أين أبدأ رسالتي لكني فقط ادعو الله ألا تصل إليك رسالة مشابهة لها من أحد غيري وقاك الله ووقى الجميع شر ما تحكيه. إنني سأحاول أن أسرد قصتي بدون استخدام عبارات مثيرة للعاطفة أو للشفقة فالحقيقة أني أكتبها تهدئة لي قبل غيري ولا أريد مزيداً من الشحن والإثارة، ولنبدأ القصة منذ 5 سنوات فقد كنت طالبة بكلية الطب على قدر من الجمال ومحجبة ومتدينة ولا أتحدث إلى أي شاب إلا لحاجة ضرورية في الدراسة والعمل، وذات مرة وكنت في السنة الرابعة بكليتي تحدثت مع طبيب امتياز شاب فأعجب بي لكنه فشل في أن يتحدث معي مرة أخرى.. فتقدم إلى أبي وفاتحه برغبته في خطبتي فرحب به أبي لكرم أخلاقه وبالرغم من تواضع إمكاناته المادية، وتمت خطبتي له، وكان أول شاب في حياتي فأحببته بكل جوارحي وأحبني كثيرا، وبعد تخرجي مباشرة تزوجنا وسعدنا بزواجنا رغم قلة إمكاناتنا، فأنا أيضاً من أسرة بسيطة تقطن في حي شعبي وإن كان إخوتي جميعاً قد استطاعوا أن يتعلموا ويشقوا طريقهم إلى أعلى المراكز العلمية.

وبعد عام من زواجنا رزقت بأول مولود لي، وكان رزقه واسعاً والحمد الله فحصلت على عقد عمل في أحد مستشفيات دولة خليجية تداعب فكرة العمل بها أحلام بعض الخريجين، فسعدت به جداً وحسدتني عليه زميلاتي، لكن أبي وأهلي لتدينهم الشديد رفضوا فكرة سفري للعمل وحيدة في تلك الدولة العربية، وأصر أبي على ألا أسافر إلا ومعي محرم أو أعتذر عن عدم قبول هذا العمل، وشاء الحظ أن أحقق رغبة أهلي فعثر زوجي على عقد بمستوصف خاص بنفس المدينة، وسافرنا إلى هذه الدولة أنا وزوجي وطفلي الوليد نحمل أحلاماً ليست مسرفة في الخيال واتفقنا على ألا نطيل اغترابنا إلا بقدر ما نستطيع أن نحقق به مطالبنا الضرور ة، وهي شقة عيادة لزوجي في مصر وسيارة متوسطة تحملنا إلى أعمالنا ونخرج بها في زياراتنا، ومبلغ مدخر لا يزيد على 10 آلاف جنيه نضعه في البنك ليكون أماناً لنا ضد الطوارئ. ومضى العام الأول لنا في الغربة فكنت فيه أبخل من بخيلة على نفسي وطفلي لنوفر ثمن شقة العيادة، واستطعنا فعلاً أن نحصل على شقة للعيادة ليست متواضعة وليست فاخرة وحققنا بذلك أول أحلامنا.

وتمكنا في العام الثاني من شراء سيارة جديدة وادخار عدة آلاف من الجنيهات في البنك في مصر وانقضى العام الثالث فجهزنا شقتنا الزوجية في مصر بالمفروشات اللائقة، وجهزنا عيادة زوجي بالأجهزة الطبية المطلوبة وقام زملاء زوجي بشرائها لنا من مصر ووضعها بالعيادة، لهذا فلم نتمكن من استكمال رصيد المدخرات المطلوب إلى 10 آلاف جنيه كما كنا نخطط لأنفسنا وتوقفنا نسأل نفسينا هل نكتفي بذلك أم نصر على تحقيق الهدف الأخير واستكمال الرصيد إلى المبلغ المطلوب وبعد مناقشات طويلة استقر رأينا على أن نمضي عاما رابعا في تلك الدولة على أن يكون عامنا الأخير فيها ثم نعود بعده لنبدأ حياتنا العملية في مصر راضين بما أعطانا الله من فضله وكنت وقتها حاملاً في طفلي الثاني. واقترب موعد ولادتي، وولدت طفلاً آخر منذ أربعة شهور وطلب مني زوجي أن «أنزل» بطفلي في أجازة وحصلت على أجازة 45 يوما فقط وانتهت الأجازة وعدت إلى المستشفى الذي أعمل به.

ومن هنا على رأي زوجي «تبدأ الحكاية» وبالمناسبة أنا كنت صاحبة دم خفيف وبنت نكتة كما يقولون أما زوجي فلا يُبارى في النكت والضحك العالى لكني «كنت» و «كان».. وهذه مجرد ملحوظة - وأعود إلى روايةِ قصتي، فبعد أسبوع من عودتي للمستشفى حدث ما لا أقول عنه غزواً أو احتلالاً أو تتاراً كما يكتبون في الصحف، وإنما حدث ما لا أستطيع أن أصفه فقد حدث غزو العراق للكويت التي نعمل بها، وكنت ليلة الغزو في نوبتي للمبيت في المستشفى الذي أعمل به وهو مخصص للنساء، فلم أستطع مغادرة المستشفى لمدة يومين لأن كل المستشفيات أصبحت في حالة طوارئ ولم أعلم شيئاً عن زوجي وطفلي الصغيرين، وفي اليوم الثالث حدث ما لم أتخيله في أشد الأحلام المزعجة رعباً، فقد حدث هجوم وحشي على المستشفى من «أبطال الغزو» وأقول لك والسخرية القاتلة تملؤني أن الوضع أصبح فجأة هكذا: الممرضات للجنود الأشاوس والطبيبات للضباط الأبطال!! هل تصدق ذلك؟!! أنا نفسي لا أصدق ولا أعرف شيئاً عما حدث لكني أقسم لك أني قاومت مقاومة لم أكن أتخيل أني قادرة عليها حتى عجزت ووجدت الجميع يصرخن ويولون والمرأة التي تزيد مقاومتها على الحد المحتمل تصبح هي الطبق الشهي للجميع نكاية فيها، وفجأة وأنا في وسط المأساة رأيت زوجي.. نعم زوجي.. لا أعرف كيف حضر ولا كيف دخل إلى المستشفى.. هل أحس بالقلق عليّ فجأة فجاء ليطمئن عليّ؟.. لا أعرف، كل ما أعرفه أني رأيته فجأة ومعه مجموعة من الرجال المصريين والأطباء يحاولون ويحاول زوجي معهم الدفاع عن الممرضات والطبيبات بل والمريضات أنفسهن ضد «الأبطال الغزاة» الذين يعتدون عليهن بلا رحمة ورأيت زوجي والرجال بعد قليل محاصرين والجنود يصوبون إليهم المدافع والبنادق ويهددون من يتحرك بقتله وصرخت حين رأيت من يقف بجوار زوجي مباشرة وهو زميل وصديق يقع على الأرض قتيلا برصاصة في صدره، وصرخت على أطفالي وعلى نفسي وزوجي ولم يستطع أحد أن يفعل أي شيء لأي أحد.. أي شيء لأي أحد ولا أعرف ماذا حدث سوى أني وجدت نفسي بعدها على أرض المستشفى والدماء تنزف مني بغزارة وبجواري زوجي يحاول إنقاذي من النزيف الشديد، فرجوته ألا ينقذني

وأن يتركني أنزف حتى الموت، فتمتم بكلمات مقتضبة بأن الأطفال يحتاجون لي وبأن الذنب ليس ذنبي، وصدقته وقاومت المرض وعدت معه إلى البيت ولم أبك مطلقا ولم تنزل دمعة واحدة من عيني ولم تلتق عيناي بعيني زوجي أبدا فهو لا يرفع وجهه إلى وأنا لا أرفع وجهى إليه ولا نتحدث إلا للضرورة القصوى، وظللنا على هذا الحال عدة أيام لا نغادر البيت ولا نتكلم ولا نكاد نأكل طعاما ثم استطعنا أن نهرب من مدينة الأحلام المنهارة بسيارة الزميل الذي سقط قتيلاً بجوار زوجي، وبدأنا رحلة العذاب الطويلة في الصحراء القاحلة، وفي درجة حرارة لا توصف فلم يحتمل وليدي الصغير هذه الظروف القاسية «فنفق» منا في الطريق.. نعم «نفق» أي مات كما تنفق الهرة أو البقرة الضعيفة.. لأن الحزن سمم اللبن في صدري ولم يكن له معنا طعام ولا ماء «فنفق» بين أيدينا وأنا وأبوه طبيبان ولا نملك له شيئاً فكان آخر وأغلى وديعة أودعتها أرض الأحلام قبل أن أغادرها للأبد.. ولم أبك أيضاً ولم أذرف دمعة واحدة ولم يبك زوجي كذلك وواصلنا الرحلة في الصحراء القاحلة صامتين لا نتفوه بكلمة واحدة طوال المسافة الشاسعة، وكل همنا الوصول إلى بلادنا ولا يشغلني إلا خوف على ابني الآخر الذي أصبح ابني الوحيد وكاد يضيع منا هو الآخر.

وأخيرا وصلنا إلى أرض بلادنا الحبيبة في نويبع ومنها إلى مدينتنا وفي الطريق نطق زوجي لأول مرة وبغير أن ينظر ناحيتي طالباً مني بألا أحكي شيئاً عما حدث وأن أنكر ما حدث إذا سألنا أحد من الأهل عما كان يجري في المستشفيات هناك، لأنه كما قال ليس في حاجة إلى المزيد من الفضائح، واستقبلنا الأهل ولم نرو لهم شيئاً، وعدنا إلى شقتنا بعد عناء الرحلة القاسية والذكريات المريرة.. وأملت أن تخرج العودة لمصر الحزن من قلب زوجي لأني لم أعد أتمنى شيئاً من الحياة سواه لرعاية طفلي أما أنا فقد انتهيت ولا يستطيع أحد أن يمحو من ذاكرتي ما مر بي. لكن الأيام مضت يا سيدي وزوجي يلتهمه الحزن ويتدهور أكثر وأكثر وقد مضى على عودتنا الآن أكثر من شهر وهو لا يغادر الصالون ليلا ولا نهارا وينام على الأرض ولا ينظر إليّ ولا أنظر إليه، أما سبب إرسالي هذا الخطاب لك فهو أن زوجي يحب آراءك كثيرا وقد رأيته يكتب ورقة ثم يمزقها فلملمت أجزاءها بغير أن يعرف وقرأت فيها رسالة كان يكتبها إليك ثم غير رأيه وكان يقول لك فيها ما معناه: أنه فقد الإحساس بالرجولة لأنه لم يفعل شيئاً لحماية امرأة غريبة ولا حتى للدفاع عن زوجته وأنه لا يستطيع أن ينظر في عيني لإحساسه بأنه خاف من البندقية والموت أكثر من خوفه على ضياع شرفه وأنه رآني... (لا أستطيع كتابتها) ويتساءل لماذا أنقذني ويقول لك أنه يريد التخلص مني لأنه لن يستطيع لمسي بعد الآن ولكن بأي حجة يكون الطلاق.

هذا يا سيدي هو سبب إرسالي هذا الخطاب إليك ولا أعرف إذا كان ستغضبه كتابتي إليك أم لا.. لكني أتساءل معه لماذا أنقذني ولم يدعني للموت نزفاً بعد أن متُّ روحا من قبل، وأتساءل هل ما حدث كان عقابا لي على ذنب لا أعرفه أم عقاباً لزوجي على شيء ارتكبه في شبابه وهل تعلم أنني بدأت أشك في زوجي بل في أبي وفي احتمال أن يكون ما حدث لي عقابا من الله على شيء ارتكبه في حياته

أحدهما، لأن الله سبحانه وتعالى عادل ولا يعاقب أحدا بغير جريمة أم ترى أنه ابتلاء من الله علينا أن نصبر عليه ولا حول ولا قوة إلا بالله. إن كان ابتلاء فإني صابرة لكني انتهيت ولولا الخوف من الله عز شأنه لكان الإنتحار.. ولكن أبعد الصبر نموت كافرين؟

أعود لاستكمال الرسالة..

فلقد بكيت.. ولا أعرف هل كنت أبكي على شرفي ويا لها من كلمة؟ أم أبكي على وليدي الذي ضاع مني في رحلة الهوان أم أبكي على زوجي الذي يقتله الهم والغم كل يوم أم أبكي على طفلي الآخر الذي يفتقد ابتسامة الأب والأم ولم يعد يرانا إلا واجمين، أم أبكي على أحلامنا الضائعة في حياة سعيدة أم أبكي على حالي وحيرتي وأنا لا أعرف هل أطلب الانفصال.. وإذا فعلت فاذا عن ابني وإخوتي وكلام الناس.. وإن لم أفعل فكيف تستمر الحياة هكذا؟ إنني لا أعرف ماذا سيقول زوجي بعد نشر خطابي بهذه الصراحة.. لكن عزائي أننا كنا عدة طبيبات لهن مثل ظروف وممكن أن تتوه القصة بيني وبينهن وبين كثيرات غيرنا، وعزائي أيضا أني في حالة من الحزن واليأس لن تتحملها صحتي طويلاً لهذا فقد كنت أريد زوجي لابني، وكان يرادوني هذا الأمل لأنه يحبني وإلا لما أنقذني وأحضرني معه وقد كان في مقدوره أن يتركني أموت -كما فعل زميل له ترك زوجته رغم أنها تحملت وكانت في صحة معقولة وتركها لأنه لا يطيقها بعد ما حدث لها.. طبعا نذل ولكن «نعذره أيضاً لأن عذره أكيد»..

وهذا ما يحيرني في زوجي فكيف أنقذني، وكيف يريد الآن التخلص مني، إنني لست المشكلة، فأنا قد انتهيت وضعت وما جرى قد كان، لكن المشكلة هي زوجي، إني أريدك أن توجه له كلمات تحاول بها مسح جراحه وأن تقول له أنه رجل كريم فاضل، ماذا كان يستطيع أن يفعل وزميله قد مات بجانبه والرصاص في صدره، وإن ابنه يحتاج إليه أكثر مني، وشكراً لك على صبرك على قراءة قصتي التي أقول من كل قلبي ليتها كانت قصة قرأتها في كتاب أو شاهدتها في تمثيلية تليفزيونية ولم تكن قصة حقيقية أنا بطلتها وضحيتها ولا حول ولا قوة إلا بالله.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

هذه هي الرسالة المروعة التي تلقيتها

وأقول بداية أنني لا أشك في صدق أي كلمة من كلماتها، لأنه يستحيل على أعتى خبراء الحرب النفسية ان يزيفوا رسالة مماثلة تصور مثل أحاسيسها التلقائية والمضطربة والتي تصل إلى حد الهذيان في بعض المواقف، كما يستحيل على غير من عاش مثل هذه التجربة المروعة أن يحكي عنها بمثل هذا الصدق الإنساني المؤلم.

والحق إنه ليس يعنيني هنا الجانب السياسي في الرسالة بقدر ما يعنيني مصير أسرة مصرية صغيرة سافرت إلى بلد آمن تحلم بحل مشاكلها الصغيرة فباءت بهذا

الخسران الأليم، وابدأ بكاتبة هذه الرسالة فأقول لها، مباشرة: يا سيدتي الفاضلة لا يلام المرء على ما لم تجنه يداه، ولم تكن له حيلة في دفعه عن نفسه أو توقِّيه وأنت قد تعرضت لعملية «سطو مسلح» على حرمة جسدك تحت تهديد السلاح، من الممكن أن تتعرض لها أي سيدة فضلى إذا وضعتها الأقدار في نفس الظروف الأليمة التي وجدت نفسك فيها، لهذا فإن ما جرى لك رغم بشاعته لم يكن عقاباً إلهياً على جريمة ارتكبها أحد، لا أنت ولا زوجك ولا أبوك، وإنما هي الظروف القاسية التي اختارتك مع زميلاتك بالمصادفة لهذا الابتلاء الذي - توقيًّا لمثله - يبتهل المسلمون إلى الله ألا يختبرهم بما لا طاقة لهم به، ويدعو المسيحيون في صلاتهم «ولا تُدخلنا في تجربة»، وليس من العدل أن تستسلمي لهذا الإحساس المرير «بالدونيّة» وبأنك قد انتهيت ولم تعودي جديرة بالحياة لولا خوفك من عقاب ربك، فشرفك مصون يا سيدتي ولم يمس لأن ما يؤخذ من الإنسان على رغمه لا يمس شرفه ولا ينتقص من فضائله، وعاره إنما على السارق الغاصب لا على المسروق.. واستسلامك لهذا الإحساس المدمر يمكن أن يقودك إلى الرغبة في تدمير الذات بغير أن تتنبهي إلى أعراضها ويمكن أن يؤثر تأثيراً بالغ الضرر على شخصيتك ونفسيتك وحياتك.

والحق أنك في حاجة أنت وزوجك إلى علاج نفسي طويل لعلاج آثار هذا الحادث البشع على شخصيتيكما بغض النظر مؤقتاً عن مستقبل علاقتكما الزوجية، فالمهمة العاجلة هي إنقاذ كل منكما على حدة من الانهيار النفسي والجسدي الذي يتهددكما إذا تجاهلتما حاجتكما إلى هذا العلاج، وهو علاج معروف في دول الغرب التي تكثر فيها مثل هذه الحوادث، ويخصص لإزالة آثاره النفسية الضارة عمن يتعرضون له، لأن حرمة الجسد شيء مقدس عندهم، ولو نال شخص امرأة محترفة تبيع جسدها لراغبي المتعة بالثمن على غير رغبتها لهوت فوق رأسه مطارق القانون القاسية، ولخضعت هي على الفور لهذا البرنامج العلاجي على نفقة الدولة رغم اختلاف مفاهيم الشرف بيننا وبينهم في هذا المجال، فمرحى مرحى بما صنعه «الأبطال المغاوير» الذين نزلوا بحرمة أجساد الفضليات من بني جلدتهم إلى ما دون مستوى حرمة أجساد بائعات الهوى في دول الغرب، لكن هذا حديث آخر لا أريد أن انجرف إليه، أو ابتعد به عن مشكلتك الدامية.

يا سيدتي الفاضلة.. ان الخطوة الأولى في الطريق الصحيح لمحو آثار هذه المحنة ليست في تكتمها ومعاناتها أنت وزوجك وحدكما وإنما في التماس العلاج النفسي السليم لك ولزوجك أيضاً.. وبطرح هذا الأمر بشجاعة على طبيب متخصص وليكن من مدينة أخرى إذا تحرجتما من مكاشفة أحد أطباء مدينتكما به، وبعد الشفاء من آثار المحنة اجلسا معا وناقشا الأمر معا بموضوعية وقررا مستقبلكما على ضوء تحليل هادئ للموقف وسوف تكتشفان معا أنه لا ذنب لكام ولا جريرة فيما جرى وإنه ليس من الحكمة أن تضاعفا من خسائركما بما جرى بفقد كل منكما للآخر لمجرد أن كلبا متوحشا قد عقر زوجة فاضلة وعجز زوجها عن أن ينقذ لحمها من بين أنيابه.

أما زوجك العزيز فإني أقول له بكل الصدق وربي على ما أقول شهيد: أنك رجل بحق ونبيل وكريم وشجاع حقاً وصدقاً، لكن ما حدث كان أكبر منك وأكبر من شجاعة أي إنسان يواجه مثل هذا الاختبار القاسي الذي واجهته، وإن لشجاعة الإنسان حدودا إذا تجاوزها اعتبرت خُبالاً وحمقاً لا شجاعة وان الخوف من الموت والمدفع إحساس إنساني طبيعي يستوي فيه الجميع، وعرفه أشجع الشجعان على مر التاريخ، وأنت بكل تأكيد اشجع من النذل الذي ارتكب جريمته في حماية عصبة من الرجال المدججين بالسلاح وأكثر رجولة ممن استباح لنفسه حرمات الآخرين تحت تهديد مدفعه الرشاش إذ لو كان بغير هذه الحماية لجبن عن الإقدام على ما فعل، أو لصارعته فإما صرعته وإما من دون عرضك شهيداً، أما وقد كان مدججا بالسلاح ومحاطا بالأنذال من كل جانب فلم يكن لإقدامك على مهاجمته سوى نتيجة واحدة هي أن تسقط قتيلاً إلى جوار زوجتك، وأن تلفظ زوجتك أنفاسها الأخيرة متأثرة بجرحها الدامي بغير أن تجد من ينقذها ويعيدها إلى أرضها وأهلها وأن يضيع ابنك الصغير إلى الأبد فلا يجد من يعود به إلى وطنه. لقد كان الموقف أكبر منك ومن زوجتك ومن كل إنسان يا صديقي، فلا تجلد نفسك بجريمة ارتكبها نذل لا يستحق صفة الإنسانية ويكفيك أنك حاولت فلم تجد أي جدوى للمقاومة ورأيت زميلاً لك يسقط قتيلاً إلى جوارك ربما لأنه قد تحرك حركة غير مقصودة ارتعد لها الأوغاد الجبناء فعاجلوه بالرصاص وهذا هو الجبن الحقيقي الذي هو عار على صاحبه.. لأن استخدام السلاح ضد المدنيين الغزل جبن وأي جبن وانتهاك حرمات الضعفاء كما كان يفعل التتار حين يقتحمون مدينة فيستبيحونها ثلاثة أيام يفعلون بها ما شاءت لهم شياطينهم هو العار الحقيقي على من ارتكبوه وليس عارك الشخصي بأية حال من الأحوال، وأقولها لك صريحة إنه لم يكن بمقدورك ولا بمقدور أي إنسان آخر يواجه ما واجهته أن يفعل غير ما فعلت ثم يعتصره الألم والقهر كما يعتصرك الآن بلا رحمة، وبلا ذنب لك فيما جرى، ولقد تصرفت بنبل وإحساس كامل بالمسؤولية حين أنقذت زوجتك وأمّ طفليك من الموت وعدت بها في رحلة الآلام إلى بلادك، فلماذا تحمّل نفسك ما لاطاقة لها به؟ ولماذا تضاعف من خسارتك لابنك الوليد بخسارتك لزوجتك الفضلى وأكررها للمرة الألف الفُضلى بكل ما تعنيه حروف الكلمة، وبخسارتك لنفسك ولصحتك وسلامك النفسي إلى الأبد.

يا صديقي الفاضل النبيل.. إنك رجل مثقف وطبيب وتدرك أهمية حاجتك إلى العلاج النفسي للتخلص من آثار هذه المحنة فلا تتردد في التماسه لزوجتك أولاً ولك ثانياً، وكل ما أرجوه منك هو أن تؤجل اتخاذ القرار بشأن علاقتك بها إلى ما بعد تجاوز آثار هذه المحنة وعلاجها..

وكلي ثقة بعد ذلك في أن قرارك حينئذ سوف يكون في صالح زوجتك، وفي صالح رجولتك التي لا شك فيها، وفي صالح النظر إلى ما جرى في إطاره الصحيح كحادث مؤلم اختارتكما الظروف ضحايا له، ولا لوم عليكما فيه.. وإنما اللوم كل اللوم على البغاة الظالمين.. وليس من الحكمة أن نعاقب أنفسنا بما فعله الظالمون بنا.. وإنما العدل أن نضيف ما جرى لنا إلى قائمة جرائمهم التي لابد أن يأتي يوم

قريب يحاسبون فيه عليها ويدفعون فيه ثمن جرائمهم غاليا ألا لعنة الله على الظالمين في كل زمان ومكان.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لهيب النار

أخيراً تلقيت الرسالة التي كنت أنتظرها بلهفة منذ أسابيع.. ولم أطق صبراً حين عرفت شخصية كاتبها.. فالتهمت سطورها التهاماً ثم عدت لقراءتها مرة أخرى بترو شديد وأسرعت لأضعها تحت أنظار قراء هذا الباب الذين أعرف أنهم كانوا ينتظرونها مثلي:

تقول الرسالة الهامة: أخي العزيز.....

ها هو الفأر يخرج أخيراً من مخبئه بعد طول صمت واختفاء.. ولا أعرف والله ماذا أقول.. إذ هل تتكلم الفئران؟. لكني سأستجمع شجاعتي وصبري وتفكيري لأتكلم بعد أن وجدت أن هناك من ينتظرون كلمتي كأنني ممثل مشهور أو صحفي كبير.. وأعتقد أنك الآن قد عرفتني - فأنا الطبيب زوج «الطبيبة» التي كتبت إليك الرسالة الشهيرة عما جرى لها ولنا في «العام الأخير».

لقد صمتُّ خلال الفترة الماضية لأني لم أكن أجد كلاماً أقوله واعترف لك أن الفكرة الوحيدة التي خطرت لي يوم نشر الرسالة هي أن أكتب لك رسالة أقلد فيها خط زوجتي.. ونحن متشابهان في كل شيء حتى في الخط وأزعم لك فيها على لسانها أني خدعتك وألفّت لك هذه القصة من خيالي لكني وجدت الفكرة حماقة لا داعي لها فصمتُّ حتى قرأت تعليقات قرائك على رسالة زوجتي وتأثرت بمشاعرهم وقررت أن أتكلم معك حديث النفس للنفس وأحادث زوجتي لأول مرة بعد ما جرى -من خلالك. وقبل أن أبدأ أحب أن أشكر الأخ الفاضل الذي أرسل لك دعوة لنا لأداء العمرة على نفقته وأعده بأنني خلال هذا الأسبوع سوف أقوم باجراءت سفري للعمرة ولكن على نفقتي وأعتذر له ولك عن عدم قبول دعوته الكريمة لأني صراحة لن أستطيع أن تحمل الإحساس بأن هناك شخصاً أو أسرة تعرفني وتعرف قصتي وما جرى لنا، وأنا اعتذر مرة أخرى له ولك، وسوف أؤدي العمرة وسأغتسل بماء زمزم وأشرب منه - و «ماء زمرم لما شرب له» - وأدعو الله بالمغفرة والنسيان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولأنني بفضل رسالة الطبيبة قد أصبحت من «المشاهير» - ولكن أي شهرة وأي ألم - فقد أصبحت موضوعاً للمناقشة.. لهذا فأني أريد أن أرد أيضاً على الأخت التي كتبت لك تستغرب من تسامح الرجل الغربي مع زوجته في مثل هذه الظروف وعدم تسامح الرجل الشرقي معها مع أنها ضحية، فأقول لها يا أختاه أن تقاليد الغرب شيء ونحن شيء آخر ولا دخل بالتسامح الإسلامي في ذلك، فالنفسية الشرقية يصعب تغييرها وهي نفسية يشترك فيها الجميع بغض النظر عن أديانهم.. والزوجة عندنا شيء مقدس وشديد الخصوصية بالنسبة للزوج.. وحاولي أن تفهمي ذلك!

والآن جاء دوري للكلام.. وفى البداية أحب أن أعرفك يا أخي بأنني بشر ولست ملاكاً: أحب وأكره وأنسى وأتذكر.. فلا تطالبني بأن أكون ملاكاً.. ولقد تجمعت الشفقة حول «الطبيبة» ولكن من يشفق عليّ أنا؟.. وهناك فارق كبير كما بين

الأرض والسماء بين أن تسمع أن زوجتك قد خانتك وبين أن تراها بعينيك.. إنه شيء لا أستطيع وصفه ولا أحب أن أتذكره وان كنت لا أنساه.. لقد ثرت حين وجدت الرسالة منشورة وأحسست بأن الجميع قد عرفوني.. وتصورت أن «الطبيبة» قد كتبت لك أيضاً بالاسم والعنوان، لكني وجدتك في الأسبوع التالي تكتب أنها لم ترسل إليك الاسم والعنوان فهدأت قليلا، خاصة أن الأهل لم يساورهم. الشك كثيراً في أننا أبطال القصة.. ثم تأكدوا أننا لسنا المقصودين بها، والحمد لله على ذلك.

والآن أريد أن اناقش مع نفسي ومعك ما حدث وأعترف لك في البداية بأنني ظللت أفكر منذ تلك اللحظة القاسية وللآن هل أنقذتها من الموت لأنني أحبها.. أم لأنني طبيب وهذا هو واجبي؟ ولم «أعلم» الإجابة! لقد تزوجتها باختيار العقل لأننا حين نتزوج فإننا نتزوج من تحمي البيت وتحفظ نفسها وزوجها، ولم يخدعني عقلي في اختيارها فكانت دائماً زوجة صالحة لم يرتفع صوتها أمامي مرة واحدة منذ عرفتها.. ولم تختلف معي يوماً وكنا دائماً نناقش كل أمورنا على انفراد بهدوء ولا نشرك فيها أحداً. ولم تفرق يوماً بين نقودي ونقودها فكل شيء باسمي. الشقة والنقود وكل شيء بالرغم مما كنت أسمعه في الغربة عن المعيشة بالمناصفة بين الأزواج والزوجات والمعارك المستمرة بين الزوجين بسبب النقود والمدخرات الخ، لهذا فقد أحبتها أمي كثيراً وقالت لي أن من يرضى عنه ربه يرزقه بالزوجة الصالحة، وحسدني عليها الجميع حتى إخوتي - وقد سمعتها ذات مرة تنصح أختي بأن تبر زوجها وتطيعه لأن الرسول صلوات الله عليه قال أنه لو كان ليأمر أحداً بأن يسجد لغير الله لأمر الزوجة بأن تسجد لزوجها وبصراحة فقد أعطاني هذا الحديث الذي سمعته - وزوجتي ترويه لأختي غروراً شديداً، وزوجتي أكثر تديناً مني ومحبوبة من الجميع فأحببتها.. نعم أحببتها لأني لم أر معها إلا كل خير وكانت نعم الزوجة لي.. وكما قلت لك فنحن متشابهان في أشياء كثيرة حتى في الخط لأنها عشرة السنين وقد كنت حين تمرض أقلد خطها وأنجز بعض أعمالها نيابة عنها.. والجميع يغبطوننا على ما نحن فيه من وفاق وحب وسعادة. إذن ماذا غير حالي الآن؟. لقد راجعت حياتي وأوراقي فلم أجد سبباً لهذا إلا الابتلاء وهذا العقاب.. حتى خطبة الجمعة الماضية سمعت فيها أن أكثر الناس ابتلاء أكثرهم إيماناً.

أعرف أنني أتكلم بلا ترتيب لأني أتجنب الموضوع إياه، لكني أريد أن أقول «للطبيبة» ما عجزت عن أن انطق به طول الأيام الماضية.. اريد أن أقول لها: آسف.. آسف حقاً لأنه لم يكن بيدي شيء.. لم يكن بيدي شيء كان يجب أن تلوميني.. أن تعاتبيني. إن نظرة البراءة في عينيك تقتلني وتشعرني بعجزي.. لكن ربما يطهرنا ماء زمزم مما نحس به.

أما أنت يا أخي فأريد أن أقول لك بصراحة شيئاً عن سر هذا الحزن العميق الذي يحرقني بالنار.. إنه طبعاً ما حدث للطبيبة.. ولي.. ولابني الرضيع الذي ضاع منا في الزحام ثم هذا الشيء الآخر الذي لا يعرفه كثيرون.. ولا يخطر لك على بال فهل تعرف أنني تطوعت في المقاومة الشعبية سنة 73 رغم صغر سني.. وهل

تعرف أني كنت في صباي من المشبعين بالأفكار الاشتراكية حيث اصطادني .. نعم اصطادني أستاذي وأنا في السنة الثانية الإعدادية بسبب نبوغي ولقنني كل شيء عن الماركسية، وهل تعرف أنني سرت في مظاهره ضد كامب ديفيد وضد أي تعاون مع إسرائيل وكنت من أنصار الفلسطينيين، وعندما دخلت الجامعة تخليت عن أفكاري الماركسية واتجهت للتدين وواجهت تحديات كثيرة بصلابة واعتقلت مرة وأنا طالب بسبب نشاطي مع الجماعات الدينية.. وهل تعرف أنني كنت من النوع الذي يجيد الكلام ويعجب بكلامه من يسمعه وكانت زوجتي دائماً مبهورة بي وتحس أنها قوية وهي معي وأنها بكلماتي تصبح أقوى على مواجهة الحياة.. هل تدرك معي عمق هذه المفارقة حين انهار كل ذلك. فجأة وتبخر عندما رأيت بندقية مسددة إلى صدري؟. لقد خرست الكلمات المبهرة وتبخرت الجرأة والشجاعة.. وظهر الجوهر خاوياً من كل شيء.. من كل شيء يا سيدي.. فكيف أنظر في عين من كانت تظنني شجاعاً لا أبالي بالمعتقل.. ولا أتردد في الاشتراك في المظاهرات.. وتحس بأني حاميها وسندها في الحياة؟ لقد تعريت أمامها تماماً وأصبحت أحس بنظرتها كرابيج تلسعني وتقول لي: يا جبان يا من لم تحمني والذئاب تنهشني .. أين كلامك المنمق.. أين الأمان الذي تمثله بالنسبة لي؟ - أين.. وأين.. وأين؟

إنني أعلم أنني لست ملاكاً وإنما إنسان له جبنه وله قوته.. لكن ألم أكن أستطيع أن أبدي قليلا من الشجاعة؟

إن كل كلمات العالم لا تستطيع أن تعبر عن مشاعري.. فأرجوك أنت أن تتفهم مشاعري وموقفي وأن تتولى إفهامها بكلماتك الجميلة كل ذلك. أما فكرة الطلاق الملحة فهي أنانية مني لكني لا أقوى عليها ولا أقدر عليها كما لا أستطيع أن أحضر إليك.. ولا أن أكتب إليك اسمى ليس لعدم ثقة فيك ولكن لخوفي من الإحساس بالنقص وعجزي عن أن تستقبلني في أول لقاء لي معك وأنت تعرف نقطة ضعفي وربما أحضر إليك يوما ما فيما بعد.. والمؤكد أني سوف أكتب لك بعد عودتي من العمرة كما أني إذا حضرت فسوف أسافر إليك وأنا قد أصبحت أخاف السفر وأخاف الخروج من البيت وكلما هممت بالخروج تذكرت ما حدث «لمن خرج من داره» ولولا العمرة وإحساسي بأني إنها أسافر إلى الله ما سافرت ولا تحركت رغم ذلك فاكتئابي يشعرني بأنني حتى إذا ذهبت إلى الأراضي الحجازية فسوف تدخل إليها قوات «الأشاوس» وستكون النهاية أيضاً.. وليتها تكون نهايتي وحدي فقد أصبحت أحس أني «شؤم» لكني أعود وأتذكر قول الله سبحانه وتعالى «قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ ».. فأهدأ قليلاً وأسلم أمري إلى من بيده الأمر وفي الختام قل لزوجتي ما تشاء «فقد لاحظت إنها أول مرة أكتب عنها في هذه الرسالة بكلمة «زوجتي».. «فلعلها بشرى خير» قل لها ما تشاء يا أخي..، ولك الوعد الصادق مني أن أؤجل التفكير الآن في الطلاق كما طلبت مني.. والحقيقة أني لا استطيع تنفيذه.. وهو عموماً غير وارد في تفكيري بصورة أكيدة.. لكنه يظهر في رأسي في لحظات اليأس..

فأنا أعلم اني لا أستطيع الاستغناء عن الطبيبة أقصد عن زوجتي وأم ولدي.. والله المعين والسلام عليكم ورحمة الله.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

اذهب يا صديقي لأداء عمرتك وتوجه بقلبك إلى خالقك واستنصره على شدّتك واشرب من ماء زمزم..

وقف بباب الملتزم واسكب عبرتك حيث تسكب العبرات وتطهر من آلامك.. وثق من أنك تمضي في الطريق الصحيح لاجتياز آثار هذه المحنة القاسية.

وما إمساكك بالقلم لتكتب عنها إلا خطوة على هذا الطريق، ومؤشر إلى أن فوران أحزانك الداخلية قد بدأ ينزل عن درجة الغليان.

لقد كنت تتجنب الإشارة إلى ما حدث بأي صورة من الصور مع أي إنسان في الوجود حتى مع زوجتك وتناقشه في كل لحظة نفسك على لهيب النار التي تتأجج في أعماقك والآن قد استطعت أن تناقش الأمر مع إنسان آخر خارج حدود نفسك، وحتى ولو جرى ذلك على الورق وعن بعد.

ولن يمضي وقت طويل حتى تجد في نفسك القدرة على مناقشته بعقلانية وهدوء مع زوجتك الفاضلة..، وعندها سوف تقتنع أنت لا هي لأنها مقتنعة تماماً بأنه لم يكن في مقدورك أن تفعل إلا ما فعلت.. وبأن ما جرى لا يتناقض مع ماضيك في الصلابة والإيجابية والشجاعة وتحدي الصعاب.. ولا مع اعتماد زوجتك عليك واستمدادها القوة منك، فالشجاعة لا تتعلق بالمستحيل.. وأشجع الشجعان يترددون أمام الموت لأن الخوف أمام الموت إحساس طبيعي عند البشر الأسوياء. وأنت قد حميت زوجتك وطفلك من الموت حين أدركت الفارق بين الممكن والمستحيل فاخترت صالح زوجتك وطفليك رغم قسوة الاختيار.. وما كان أيسر عليك من أن تتحرك حركة واحدة للأمام لحظة الجريمة فترديك رصاصة غادرة وتحكم على زوجتك وطفليك بالهلاك وتستريح أنت من كل ما تعانيه الآن من آلام! لكن الشجاعة الحقيقية ليست في الانتحار وإنما في انكار الذات وتقدير المسؤولية وتفضيل سلامة الأعزاء.. لهذا لم يقل أحد أبداً أن الانتحار شجاعة وإنما قيل دائماً أنه الجبن الحقيقي واختيار الفرار من الحياة حلاً للمشاكل، وهذا ما لم تفعله أنت إذن فإيجابيتك وتقديرك للمسؤولية عن أسرتك هما عنوان رجولتك وشجاعتك الحقيقية.. وليس أي شيء آخر. إنني أدرك عمق معاناتك والتمس لك فيها كل العذر لكني أطالبك بالحكمة والعدل مع نفسك وعدم الانزلاق إلى هاوية تحقير الذات لأمر لم يكن لك فيه حيلة ولا لأي إنسان آخر ولولا أني لا أريد أن أنشر المزيد من هذه القصص الدامية بعد ما أثارته رسالة زوجتك الفاضلة من مشاعر الألم لدى القراء لرويت لك ما هو أبشع من قصتك بكثير وحبذا لو أرسلت إليّ عنوانا ولو بغير اسم وليكن عنوان صندوق بريد لأرسل إليك عليه هذه الرسائل

ولتعرف أنك قد تصرفت التصرف الوحيد الذي كان متاحا أمامك في مواجهة هذا القهر البشع.

يا صديقي هدىء من روعك فأنت ما زلت موضع انبهار زوجتك بحكمتك ونبلك وشجاعتك في تفضيل إنقاذ زوجتك وطفليك على حساب آلامك ومعاناتك الشخصية.. وهكذا كنت دائماً - ومازلت - فارسها الشهم ومنقذها وسندها وحصن أمانها ضد غوائل الحياة وليست رسالتك في الحقيقة سوى شهادة جديدة لها بعفتها وفضائلها ومزاياها وجدارتها بألا تتخلى عنها وبأن تقف إلى جوارها في محنتها وبأن تتساندا معا لاجتياز آثارها.. ثم تتركا للزمن بعد ذلك أن يداوي الجراح ويشفي الآلام.. إلى الأبد ان شاء الله.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

المنطقة المحرمة

قرأت لك مرة كلمة لأحد الأدباء الفرنسيين كتب يقول فيها «بولادتي» بدأ سوء حظي في الحياة، وأنا يا سيدي واحدة ممن تنطبق عليهم هذه العبارة. فقد ماتت أمي فور ولادتي فكرهني أبي لذلك وتشاءم مني ثم تزوج بعد فترة من أخرى وعهد بي لجدتي التركية فرعتني إلى أن بلغ عمري 13 سنة فبدأ أبي يطالب بي وجنّ جنون جدتي وجنون أسرتها ذات النفوذ، وأسفرت المنازعات والخلافات عن حل سعيد من وجهة نظرهم هو أن يسرعوا بزواجي وأنا في الرابعة عشرة من عمري خوفا عليّ ونظراً لجمالي اللافت للنظر، وهكذا أرغمني أبي على قطع دراستي.. ووجدت نفسي بعد قليل زوجة لرجل يكبرني بعشرين سنة فكرهته منذ اللحظة الأولى كما كرهت أبي الذي تسبب في توقفي عن الدراسة.. ولم يكن أمامي خيار آخر سوى أن أنضم إلى أسرة أبي وأصبح خادمة لزوجته فرضيت بالزواج كأهون الضررين، لكني لم أسعد به وكان زوجي مهندساً بإحدى الشركات لكنه كان بخيلاً كئيب المنظر ورغم بخله فقد أغدق على أهلي بالهدايا والنقود ليتزوجني. وبعد عام من زواجي كدت أكرر مأساة أمي وأنا أنجب ابني الأول ونجوت منها بمعجزة وبعدها بعامين أنجبت ابني الثاني وأصبحت أما لطفلين قبل أن أبلغ الثامنة عشرة من عمري ثم فجأة وجدت نفسي أضيق بكل شيء وأرغب في مواصلة دراستي لأعيش حياة فتاة في سني ورفض زوجي فتمردت عليه لأول مرة وثرت وطالبت بالطلاق وطرقت كل الأبواب للحصول عليه ورفض بإصرار أن يطلقني كما رفضت أسرتي وأبلغتني بصرامة أنه لا طلاق عندنا ولابد أن أعيش مع زوجي على أي وضع لأربي الطفلين.. فانفجرت البراكين داخلي وحرمت نفسي على زوجي نهائيا بعد 3 سنوات من زواجنا وخيرته بين قبول ذلك أو الطلاق فأبى إلا أن يضايقني ومرت السنوات على هذا الحال وأنا منطقة محرمة بالنسبة له مهما فعل وكان قد ترقى مديراً وانتقلنا إلى شقة فاخرة بالإسكندرية بغير أن يحدث أي تقدم في حياتنا ثم ماتت جدتي وورثت عنها بعض المال فحزمت أمري واشتريت شقة وأثثتها بأثاث فاخر وانتقلت إليها وأنا في الثانية والعشرين من عمري ومعي الطفلان ورفعت دعوى طلاق استمرت في قاعات المحاكم بلا نتيجة لمدة 3 سنوات ويئست من الحصول على الطلاق ويئس هو من استرجاعي فعشت مع الولدين وحدي واحتويتهما. وحاولت أن اشغل حياتي بالعمل بشهادتي وهي الاعدادية الإنجليزية فخرجت أبحث عن عمل مناسب فوجدت جمالي يفتح لي أبوابا كثيرة لكني رفضت دخولها إذ كنت لا ألبث أن اكتشف أنهم لا يريدون عملي وإنما يريدون الصحبة، فعدت إلى بيتي.. وعجزت عن احتمال تكاليف الطفلين اللذين لم ينفق عليها أبوهما قرشا واحدا منذ انفصلت عنه فأعدتهما إليه وسافرت إلى لندن للعمل والإقامة ولم أتحمل الابتعاد عنهما أكثر من سنة عدت بعدها واستردتهما وقررت أن استكمل دراستي التي انقطعت بزواجي فالتحقت بمدرسة ليلية وأصبحت استذكر دروس الدراسة الثانوية مع الولدين سنة بسنة.. وتقدمنا نحن الثلاثة إلى امتحان الثانوية العامة في نفس السنة وحصلنا عليها معا وكانت فرحة لا توصف.. والتحق ابني الأكبر بكلية عملية والتحقت أنا كطالبة

منتسبة مع ابني الأصغر بإحدى الكليات النظرية وواصلنا الكفاح وبعت خلال ذلك كل ما تبقى من ميراث جدتي ومجوهراتي وبعد طول انتظار تخرج ابني الأكبر من كليته العملية وعمل عملاً مناسباً وتخرج ابني الأصغر وعمل بوظيفة مرموقة أما أنا فقد تعثرت في دراستي الجامعية بكل أسف بسبب مرض عصبي ألمّ بي فعجزت عن الحصول على الليسانس وفرحت فرحة طاغية بانتهاء العبء وتخرج الولدين وعملهما.. وغبطتني كثيرات على أن مسؤوليتي قد انتهت وأنا دون الأربعين وأستطيع أن أعيش حياتي إذا أردت لكني كنت قد كرست حياتي للولدين ويئست من الحصول على الطلاق وكففت عن المطالبة به ورضيت بحياتي هكذا حرصاً على مشاعر الولدين، لكن فرحتي لم تطل بتخرجهما وعملهما يا سيدي فمنذ تخرجا واستقلا مادياً عني حتى تغيرت معاملتهما لي وتباعدا عني بعد أن كنت الأم والصديقة الأولى والوحيدة لهما في الحياة فقد فوجئت بابني الأصغر يتزوج رغما عني من ابنة خياطتي ويمضي في المشروع غير حافل باعتراضي.. ويؤجر شقة مفروشة ويقيم بها معها ثم بعدها بقليل تعرف ابني الأكبر وهو الأكثر حنانا والتصاقا بي بطبيبة في مثل سنه ورغب في زواجها فزوجتها له بإرادتي. وهنا بدأت المشكلة فقد مات أبوهما وترك لي معاشا كبيرا لكنه حجب ميراثه الذي يبلغ حوالي ربع المليون جنيه عني وعن ولديه وأخفاه لدى أهله.. وقال أنه قد فعل ذلك عقاباً لي على كراهيتي له طوال 30 سنة بلا سبب. فكرهني إبناي لذلك وفوجئت بالأصغر يعد أوراقه فجأة للهجرة إلى امريكا ثم يصطحب زوجته ويهاجر إليها دون أدنى التفات لاعتراضي على هجرته وابتعاده عني، أما ابني الأكبر الذي تزوج وأنجب طفلا وكان يزورني بانتظام والذي اعتبرت طفله هو تعويض الحياة لي عن وحدتي، فقد عز على البعض أن يحمل لي مشاعر الحب فحيكت المكائد بيننا ووقعت الكارثة منذ عام حين تهور عليّ وأتلف الشقة وقاطعني وحرمني من طفله وانهرت ومرضت ببوادر ذبحة صدرية ونقلت إلى المستشفى فلم يفلح أحد في إقناعه بالسؤال عني في المستشفى.. وها أنا يا سيدي أعيش في شقتي في الثامنة والأربعين من عمري والوحدة تقتلني وقد مات الأهل وتنكر لي الابنان وابتعد عني أحدهما بالهجرة! والأخر بالقطيعة - فماذا أفعل هل أقتل نفسي وأستريح أرجوك أشر عليّ بما أفعل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

في رسالتك الكثير والكثير مما يستحق أن يتوقف عنده المرء ويعتبر به إبتداء من درس الزواج المبكر غير المتكافىء.. إلى درس التمرد والمنطقة المحرمة التي استمرت ثلاثين عاما! إلى درس الإنتقام بعد الرحيل وقد ينتقم الموتى أحياناً من الأحياء.. إلى درس جحود الأبناء الذي هو أشق من عضة الحية الرقطاء على حد تعبير شكسبير إلى دروس أخرى كثيرة لا أريد أن أشير إليها حتى لا انكأ جراحا قديمة لكني لم أفهم بعد كيف يقتص الأب الراحل من ابنيه بحجب ميراثه عنهما إلا أن يكونا قد باعداه في حياته ولم يعوضاه حرمانه منك فآثر ألا

يخلف لهما ولا لك ما تهنأون به في مغيبه، إنه انتقام قاس على أية حال ومهما كانت مبرراته.. ولا أفهم كيف كرهك ابناك بسببه فإذا كانا قد فعلا ذلك لاعتقادهما أن مجافاتك لأبيهما طول هذه السنين هي سر حرمانها من ثروته فلماذا لم يحاولا التقريب بينكما بعد أن شبا عن الطوق وأصبحا شابين راشدين.. بل ولماذا لم يؤديا هما حق الأب عليهما فأشعراه بأبوته لها وتوادا معه بغض النظر عن خلافكما فإذا كانا لم يفعلا وهو أغلب الظن فالمسؤولية مشتركة بينكم جميعا بغض النظر عن موضوع الميراث. ولا يحق لهما أن يكرهاك أو يجافياك لهذا السبب بل ولا لغيره من الأسباب، لأن حق الأم على الأبناء لا يرتبط بأسباب ومن واجبهم أداء حق الرعاية لها سواء قدمت الأسباب أو لم تفعل لأن الابن إنما يتعامل مع ربه في ذلك وليس مع أحد غيره. غير أني أخشى يا سيدتي أن يكون بعض ما تعانين منه مع ابنيك راجعا إلى أزمة بعض الأمهات اللاتي يكرسن حياتهن لرعاية الأبناء بعد الانفصال عن الزوج فيحاولن أحيانا تعويض النقص العاطفي في حياتهن بالتغلغل في حياة الأبناء والالتصاق الزائد بهم والرغبة غير الواعية في التسلط عليهم.. وعدم القبول النفسي لنزوعهم الطبيعي نحو الجنس الآخر.. ونحو تكوين أسرة صغيرة والاستقلال بحياتهم عن حياة الأم. وهي أزمة كثيرات يعشن ظروفك ويعجزن عن إدراك الخيط الرفيع بين نزوع الأبناء الطبيعي للاستقلال بحياتهم وبين ما يعتبرونه جحودا وتنكرا لتضحياتهن من أجلهم.. فإذا كان الأمر كذلك فلعله يفسر لك رفضك زواج ابنك الأصغر وانزعاجك الشديد من استمراره في مشروع زواجه غير حافل باعتراضك عليه.. ثم إحساسك بالمرارة لإقدامه على الهجرة بغير التوقف أمام رغبتك المشروعة في ألا يبتعد عنك.. لكن ذلك لا يعفيه أبداً من تقصيره في محاولة استرضائك إلى أن ترضي عن زواجه.. وتقصيره في نيل موافقتك وقبولك بهجرته ليبني حياته كما يتصورها تقديراً منك لظروفه وليس رغماً عنك فإن كان لا يحرص أيضاً على الاتصال بك ومودتك من مهجره فإن جرمه يكون أشنع وحسابه عنه مع ربه أشد عسرا أما الابن الأكبر فبغض النظر عن حقيقة ما جرى.. ومن المخطئ ومن المصيب فيه فإن قطيعته لك لا يمكن تبريرها أو الدفاع عنها حتى ولو كنتِ المخطئة في النزاع فمن واجبه تجاه ربه قبل أن يكون تجاهك ألا يقطع ما بينك وبينه أبدا وألا يباعدك وألا يجافيك.. مهما كانت المبررات وهجرته لك وهو على بعد خطوات منك وحرمانك من طفله أشد مرارة على القلب من هجرة من تفصلك عنه البحار والمحيطات ذلك أنه قد أصبح الشمعة الوحيدة التي كان ينبغي لها أن تضيء ظلام وحدتك فعسى أن يشفق على نفسه مما يفعل الآن قبل أن تدور الأيام دورتها ويرد إليه ابنه الجزاء من جنس العمل.. إذا كان لم يعرف بعد أن جحود الأبناء للآباء والأمهات هو الإثم الوحيد الذي يعجل الله العقاب لمرتكبه في الدنيا مع ما يدخره له من عقاب أشد في الآخرة.

فاصبري يا سيدتي.. واشغلي نفسك بنشاط اجتماعي مفيد...

وزوري واستزيري واشك لربك بُعد البعيد وجفوة القريب.

ورددي لابنك الغائب الحاضر مع الشاعر العربي:

وكنـت أذم إليـك الـزمـان

فأصبحت أذم منك الزمانا

وكنـت أعـدك للنـائبات

فها أنا اطلب منك الأمانا

فعسى أن يعود إليك نادماً.. ومستغفرا.. ومتنازلاً عن أية مبررات لما فعل.. وشكرا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

العـودة!

أنا الأم التعسة التي كتبت إليك منذ شهور تروي لك قصة حياتها مع زوج لم تحبه طوال زواجها وابنين كرست لهما حياتها فما أن تخرجا وعملا حتى تزوج الأصغر على غير رغبتها ثم هاجر إلى الخارج وتزوج الأكبر ثم انساق وراء بعض الأهواء فقاطعني منذ عامين كاملين وحرمني من رؤية طفلته الوليدة، وتركني لوحدتي وأحزاني في شقتي الواسعة بالاسكندرية مع أن مسكنه ليس بعيداً عن مسكني، وقد نشرت هذه الرسالة بعنوان «المنطقة المحرمة» ثم نشرت عدة تعقيبات عليها كان آخرها رسالة الخوف التي تخشى فيها أم لها بعض ظروفي من أن تواجه نفس مصيري في المستقبل لما بدر من بعض أبنائها الذكور من علامات للجحود آثارت مخاوفها .. واليوم أكتب لك مرة أخرى لأشكرك على اختيارك لهذه النوعية من المشاكل الهامة ولأروي لك ما جدّ في قصتي، فلقد جاء اليوم الأول من شهر رمضان الكريم وكان رمضان الثاني الذي أستقبله وحيدة منذ مقاطعة إبني - سامحه الله - لي مع أن مسكنه لا يبعد عن مسكني كثيرا، وجهزت لنفسي طعام الإفطار البسيط الذي يتناسب مع حالتي الصحية.. وأعددت المائدة فوضعت طبق الشوربة والسلاطة الخضراء والعصير وطبق اللحم المسلوق أمامي وجلست أنتظر مدفع إفطار الاسكندرية.. بعد أن أذن المؤذن في إذاعة القاهرة لصلاة المغرب وانتهى، وخيم على المكان صمت حزين وتذكرت أيام السعادة التي كانت مائدة رمضان تجمعني فيها مع ابنيّ والأحاديث الجميلة والضحكات التي نقطع بها وقت الإنتظار ثم انطلق المدفع ومددت يدي لأرشف أول ملعقة من الشوربة فوجدت دموعى تتساقط بغزارة فيها وتختلط بها فلم أحتمل الجلوس إلى المائدة أكثر من 5 دقائق ثم نهضت عنها وقد عافت نفسي الطعام رغم الصيام وخرجت إلى الشرفة ونظرت طويلاً إلى البحر الذي لا يكف عن الصخب وتطلعت إلى السماء وأشهدت ربي على ما أعانيه من إحساس بالمرارة والوحدة والنكران ومضى وقت طويل وأنا في الشرفة ثم عدت للداخل ومضت السهرة كئيبة ونمت ليلي بغير سحور.. وفي الصباح استيقظت على صوت جرس الشقة فنهضت لأفتحه وأنا أتساءل عمن يدق بابي في هذا الوقت من الصباح فوجدت أمامي إبني الأكبر العاق.. يحمل طفلته ذات العامين.. وقبل أن أنطق بشيء أو أسمع شيئاً فوجئت به وهو على الباب يضع طفلته التي لم أرها منذ ولدت بين يدى فتلقفتها ولساني معقود من الدهشة واقترب هو مني خجلاً ومنكسراً ثم قبلني وهو يبكي بكاءاً مراً ودعوته للدخول وجلست وطفلته في أحضاني ولا أستطيع أن أرفع عيني عنها.. فروى لي أنه قد تعرض أمس أي في اليوم الأول من رمضان الذي أمضيته حزينة باكية لحادث تصادم بشع بسيارته وكانت معه زوجته وطفلته فكسرت ذراع زوجته وتم تجبيسها وأصيبت بشلل مؤقت في وجهها وما زالت في المستشفى وأصيب هو بكدمات شديدة ونجا مع الطفلة بأعجوبة وتهشمت السيارة تماما وهي غير مومّن عليها، وطلب مني السماح لأنه قد تعرض لظروف سيئة كثيرة منذ قاطعني، ثم استأذنني في أن يقيم معي شهر رمضان كله تكفيراً عن ذنبه لعل الله يغفره له، فرحبت به وبطفلته التي حرمت منها منذ مولدها، وبعد أيام

خرجت زوجته من المستشفى وجاءت إليّ بالجبس في ذراعها لتقبل يدي بدموعها ولم أنطق بكلمة عن الماضي وطلبت منهما ألا يفتحا أي حديث عنه ورحبت وسعدت بهما كثيرا، وعاد إبنى الأكبر إبنا رائعا كأنما أدبه ربه فأحسن تأديبه، فإن كان بعض قلبي ما زالت به مرارة منه فإني سعيدة بعودته وبعودة زوجته.. وسعيدة سعادة الدنيا بأسرها بحفيدتي الجميلة التي أعادتني إلى الحياة، وجعلت لأيامي مذاقا حلوا جديدا خاصة حين تناديني بكلماتها المتقطعة وقد وجدت من واجبي أن اكتب لك مرة أخرى لكي تشاركني فرحتي كما شاركتني من قبل محنتي وشاركني فيها معك قراؤك الأفاضل، فالفضل بعد الله يرجع إليك في عودة إبني إليّ.. فقد عرف بالمشكلة بعد نشر الرسالة كثيرون من أصدقائه ورؤسائه وقاطعوه شهوراً.. إلى أن أذن الله له بالهداية وعاد.. وحمدت الله على ذلك وقلت «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ» ولذا أهمس للأم صاحبة رسالة الخوف، الخائفة من جحود أبنائها في المستقبل بأن تهدأ وتتخفف من مخاوفها وتدع الأمر لعدالة الإله الواحد القيوم الذي يمهل ولا يهمل ولن يضيعها الله أبداً بإذن الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

من أحسن فإنما يحسن لنفسه قبل أن يحسن للآخرين، وهكذا فعل ابنك بعودته إليك نادماً وطالباً الصفح عنه وعن زوجته فإن كان لأحد فضل في ذلك بعد الله العادل المتعال الذي أذن له بالهداية إنقاذاً لروحه من الهلاك فهو لأصدقائه ورؤسائه الذين قاطعوه حين عرفوا بالمشكلة.. وهذه هي أهمية الرادع الإجتماعي في تقويم الخاطئين وإعادتهم إلى جادة الصواب إذ أن الحياة لا تتعقد إلا حين يهمل البعض استخدام هذا الرادع في دائرة علاقاته.. فينهض مثلاً تحية للمنحرف وهو يعرف بإنحرافه.. ويهش للمختلس والمرتشي والكذوب والمستغل والعاق والماجن والمقصر في عمله وواجباته وهو يعلم بكل نقائصه، فتختلط الحدود بينهم وبين الشرفاء ولا يحسون هم بأي دافع اجتماعي يدفعهم للعودة للطريق القويم ما دام المجتمع الذي يحيط بهم لا ينبذهم بل ويرحب بهم تماما كما يرحب بالأسوياء.. وربما انقلبت الآية فنال من ترحيبهم ما لا يناله البسطاء الشرفاء بسبب إمكانياتهم المادية، لهذا كله فإنى أحيي أصدقاء إبنك ورؤساءه الذين عاملوه بما يستحقه في فترة «جاهليته» وحبذا لو تصرف الجميع مع كل المنحرفين بهذا الاحساس الفطري السليم الذي ينفر من الإنحراف الخلقي ويدينه إدانة صامتة باجتناب أهله ونبذهم والحمد لله كثيرا على ذلك.. وشكرا لك على إسعادي وإسعاد قراء هذا الباب برسالتك المبهجة هذه.. فإن كان لي أن أطلب منك بعد ذلك شيئا فهو أن تذيبي ما بقى ببعض قلبك من ذيول المرارة السابقة تجاه إبنك العائد إليك ممدود الذراعين نادماً لأن الصفح من شيم الكرام ولأن الحياة يا سيدتي أقصر من أن نقصرها بالمرارة والشحناء والأحزان ومن أكرم من أم

خلقها الله سبحانه وتعالى نبعا دائما للحنان ونهرا لا يجف أبدا من العطاء لأبنائها.. وللحياة؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فـي المنفـى

أعرف أنك لا تحب مثيلاتي لكني رغم ذلك أريد أن أعرف رأيك في مشكلتي.. فأنا يا سيدي مهندسة في الرابعة والثلاثين من عمري نشأت في أسرة طيبة بمدينة من مدن الوجه البحرى.. وحصلت على شهادتي الدراسية من جامعة عين شمس بالقاهرة وعدت للإقامة في مدينتي انتظاراً للعمل.. ثم تقدمت للعمل في مكتب مهندس استشاري معروف في المدينة.. فعملت معه وأولاني رعايته ودربني وعلمني الكثير من أسرار العمل.. فوجدت نفسي بعد أقل من ستة شهور غارقة في حبه بغير أن أعبر له عن مشاعري وساعدتني ظروفي على الإستغراق في حبه رغم أنه متزوج فقد كان أول رجل أتعامل معه عن قرب في حياتي.. حيث لم أتعامل قبله مع أي شاب طوال دراستي بالكلية، وقد جذبني برقته وخبرته بالحياة.. وبشخصيته القوية.. وكنت أظن أن سري سيظل خافياً عليه إلى أن فاجأني ذات يوم بأنه يعرف أنني أحبه.. وبأنه يحبني ويعرض عليّ الزواج بشرط عدم المساس بزوجته وبيته.. وأقسم لك أني ما حاولت أن أخطفه من زوجته.. بل لقد كنت على وشك أن أترك العمل بمكتبه حتى أهيىء نفسي لأن أنسى هذا الحلم المستحيل.. لكنه فاجأني بهتك سري وبرغبته في أن يتزوجني لأنه ليس مستريحاً في حياته الزوجية مع زوجته.. وأقنعني بأن زواجي منه لن يؤثر على حياته الأخرى بل ربام أنقذها من الفشل نهائياً لأنه سيجد سعادته عندي فيستطيع الصبر على تعاسته مع زوجته.. ويحمي أبناءه من الضياع.

وترددت قليلاً في قبول عرضه.. لكني اعترفت لنفسي بأني أريده وأني سأشقى إذا لم أتزوجه فوافقت وتقدم لأسرتي يخطبني منها فعارض أبي وأمي وقرر أبي أن أتوقف عن العمل معه إلى أن تأتيني فرصة العمل بالقطاع العام أو الحكومة واستجبت لرغبة أبي.. واعتكفت في البيت لعدة أيام.. وتحدثت مع أمي طويلاً.. وأقنعتها بأني لم أرغب في خطف رئيسي من زوجته لكنه أول رجل دخل حياتي.. ولن يكون سهلاً عليّ أن أنساه وعاجلا أو آجلا سوف أعمل بالحكومة أو القطاع العام وسيجمعني معه مجال العمل في مناسبات مختلفة.. لهذا فمن الأوفق أن ألتقي به وأنا زوجته على سنة الله ورسوله.. واقتنعت أمي وبدأت محاولاتها لإقناع أبي، وكان «رجل» أحلامي من ناحية أخرى قد وسّط كثيرين لديه.. فوافق وتم الزواج.. وأثث لي شقة جميلة في أحد أطراف المدينة.. وتوقفت عن العمل معه في مكتبه وسعى زوجي حتى نجح في تعييني في فرع هيئة عامة بنفس المدينة وغرقنا معاً في بحر السعادة.. وأنجبت طفلة بعد عام من زواجي سعد بها زوجي كثيرا رغم أنه له من زوجته الأولى ولداً في سن المراهقة وفتاة تصغره بعام، وفي قمة هذه السعادة فوجئت بزوجي يسعى لنقلي من المدينة التي نعيش فيها إلى فرع الهيئة بمدينة الاسكندرية. وحين ناقشته في ذلك إعترف لي بأن زوجته الأولى تضغط عليه بشدة لكي يطلقني وأنه يرفض الاستجابة لها ويتمسك بي لهذا فمن الأوفق أن أنتقل إلى مدينة أخرى حتى يخف ضغطها عليه، واستسلمت لرغبته وانتقلت بطفلتي للإقامة في سكن الهيئة بضواحي مدينة

الاسكندرية لمدة عامين كان يزورني خلالها أياما كل شهر ثم إنتهى المشروع هناك فعدت إلى مدينتي بالوجه البحري ومضت أسابيع فإذا بزوجي الحبيب يعد لي مفاجأة جديدة هي أنه نقلني لفرع الهيئة بالقاهرة ويريدني أن أستفيد من وجودي بالعاصمة في الحصول على دبلوم من كلية الهندسة.. وأنه قد قدم لي طلباً للكلية ونجح بطرقه الخاصة في قبول طلبي ولابد من سفري للقاهرة للإقامة في بيت للمغتربات مع طفلتي الصغيرة حتى أحصل على الدبلوم وسوف يزورني كل أسبوع فكدت أرفض هذه المرة خاصة وأنه لم يستشرني في شيء من ذلك.

لكني قررت فجأة أن أقبل التحدي.. وانتقلت إلى القاهرة فعلاً وأقمت في غرفة غير مريحة ببيت للمغتربات.. وأصبحت أترك طفلتي كل صباح في دار للحضانة وأذهب للعمل ثم يجيئني كل أسبوعين أو ثلاثة.. فنقيم معا في فندق صغير ليلتين، وحصلت على الدبلوم ولم يعد هناك مبرر لوجودي في القاهرة بعيدة عن أسرتي وشقتي فطلبت نقلي لمدينتي وعدت إليها.. فلم تمض شهور حتى فوجئت بزوجي العزيز وقد قدم لي طلباً آخر للعمل بدولة عربية.. وراح يقنعني بضرورة السفر لكي أدخر بعض النقود لطفلتي مع أنه ثري ولا يحتاج إلى نقود.. وبكيت واتهمته بأنه لا يريد سوى إبعادي عن أسرتي ومدينتي بسبب زوجته هناك وقلت له أني لم أطلب الزواج منه.. ولم أسع لأستأثر به.. ورضيت بوضع الزوجة الثانية لأني أحبه.. فلماذا هذا التشريد.. وأين حقوقي وحقوق إبنته عليه.. فراح يقنعني بكلامه المعسول بأنه لا يريد سوى مصلحتي ومصلحة ابنته وأنه يحبني.. إلى آخره.. فسلمت أمري لله ووافقته على كل ما طلب ونفذت الإجراءات والإختبارات المطلوبة ودعوت الله في صلاتي كل يوم أن ترفض جهة العمل طلبي لكن تأتي الريح بما لا تشتهي السفن.. فقد قبلوا طلبي بكل أسف.. وسافرت مع طفلتي وأمضيت في تلك الدولة عاماً ذقت خلاله الأمرين من الكفيل الذي يأكل حقوقي بلا حياء وشعرت بذل وهوان لم أشعر بهما طوال حياتي فأنهيت عقدي قبل موعده وتنازلت للكفيل عن مبلغ كبير من مستحقاتي لكى أنجو بنفسي.. وعدت إلى بلدى وبيتي.. وكان أول ما طلبته من زوجي هو ألا أسافر مرة أخرى مهما كانت الظروف خاصة وأننا لسنا في حاجة إلى شيء وافقنى زوجي على ذلك.. واستراح قلبي وعشت شهوراً في هدوء وسعادة.. ثم بدأ القلق يساورني حين لاحظت فجأة أنه يهتم بقراءة إعلانات الوظائف في الصحف ويراسل جهات مختلفة في الدول العربية فنبهته إلى أني لن أغادر مدينتي وبيتي مرة أخرى.. فلم يعلق وبعد أسابيع فوجئت به وقد أوجد لي عملا آخر في دولة أخرى وبدأ يقنعني بقبوله.. بحجة أنها ستكون آخر مرة.. وأنها فرصة لتحقيق كل الأحلام فبكيت.. وتوسلت إليه ألا يجبرني على السفر.. وطلبت منه الطلاق إذا كان عاجزاً عن مقاومة ضغط زوجته عليه لإبعادي.. لكنه رفض أن يطلقني وأكد لي أنه لا يجد سعادته إلا معي.. فلما رأيته مصرا بهذا الشكل الواضح على إبعادي اضطررت للموافقة ليس عن رغبة في السفر أو في جمع المال وإنما حفاظاً على كرامتي من أن أعيش مع رجل يحاول بشتى الطرق أن يبعدني عنه، وأنهيت الإجراءات وأنا حزينة وسافرت منذ ستة شهور وأنا في قمة التعاسة ومازلت أقيم هناك إلى الآن لا أعرف لماذا جئت ولا لماذا أعمل وأعيش مغتربة وحيدة بعيداً عن أسرتي وزوجي وأهلي، لقد بقى

عام ونصف العام من عقدي مع الجهة التي أعمل بها.. ولست أظن أني سوف أستطيع استكمالها لكني أسأل نفسي كلما اشتد ضيقي.. وإذا عدت فإلى أين يا ترى ستكون «الترحيلة» القادمة التي يخبئها لي زوجي الحبيب وأسألك يا سيدي.. أليس للزوجة الثانية حقوق على زوجها كحقوق الزوجة الأولى؟.. إنني أعرف من قراءاتي لردودك أنك لا تحب الزوجة الثانية.. لكن هب أنه قد حدث وانتهى الأمر وأصبحت زوجة ثانية هل يجردني ذلك من حقوقي الإنسانية على زوجي؟

أوليس من حقي أن أحس بالراحة والأمان في كنف زوجي كما تفعل زوجته الأولى.. وهل من العدل أن أظل شريدة ومغتربة بلا هدف خاصة وأنني لا أسعى لجمع النقود ولا أطمع إلا في حياة بسيطة معقولة في حين يستمتع هو في مصر مع زوجته الأولى ولا يفكر إلا في راحتها هي فقط.. وهل يجوز له أن يجرح كرامتي هكذا ويبعدني ليس فقط عن مدينتي وإنما عن مصر كلها.. إنني أحترق حين أتذكر أني تزوجته منذ 8 سنوات فلم أهنا بالحياة في بيتي خلالها إلا لأقل من عامين.. فهل هذا عدل يا سيدي؟ أنني أرجوك أن تنسى كراهيتك للزوجة الثانية وأن تجيبني بأمانة عن هذه الأسئلة؟ وشكراً لك

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

لم تعد القضية.. قضية كراهية أو استحباب فلقد حدث ما حدث وقضى الأمر، وما دمت قد أصبحت زوجته، فلك مثل ما لزوجته الأولى من الحقوق وأبسطها أن تعيشي في كنفه وفي رعايته بغير أن تفصل بينكما بحار ومحيطات، وعلى زوجك أن يعدل بينكما في نفسه وماله ووقته.. فإن لم يفعل ومال في ميزان عدالته إلى إحداكما على حساب الأخرى «جاء يوم القيامة وشقه مائل» كما جاء في الحديث الشريف، أما أن يتحايل زوجك لإبعادك عن مدينتك وأهلك وبلدك بهذه الطريقة المؤسفة 4 مرات خلال 8 سنوات فأمر لا يقره شرع ولا دين، ومع إشفافي عليك مما تعانين فإني لا أعفيك من اللوم ليس لأنك قبلت وضع الزوجة الثانية فقد فات أوان اللوم في ذلك وإنما لأنك قبلت أوضاعاً لا تليق بك ولم يكن لك أن تقبلي بها مهما حدث إذ ما معنى أن يشردك زوجك بين المدن والدول بغير حاجة أو ضرورة تبرر ذلك، وما معنى أن يشحنك إلى دولة عربية لتسافري إليها وحيدة بدونه وتعاني فيها ما عانيت، وهو الثري الذي لا يحتاج إلى مال.

الحق أنك مغلوبة على أمرك معه إلى حد مذهل.. ولست أفهم أن يصل ضعفك العاطفي معه إلى هذا الحد الذي تفقدين معه حتى قربك منه، وهو غاية كل محب ناهيك عن مسألة الكرامة واحترام آدمية المحب نفسه، فتماسكي قليلاً يا سيدتي - فإني أخشى أن تكوني مغلوبة معه ليس فقط بمشاعرك تجاهه وإنما أيضا بما يسمى في علم النفس بنزعة جبر التكرار، وهي حالة يكون فيها المرء رافضاً لما يفعل لكنه يجد نفسه يكرره بنفس الطريقة وبغض النظر عن النتائج التي يعلم مسبقاً أنه سوف يعاني منها وبهذه النزعة يفسر بعض العلماء حالات الأخطاء

الشخصية المتكررة بنفس الطريقة رغم سوء العواقب.. فأنت في كل مرة تكرهين السفر والاغتراب عن بيتك وأهلك لكنك لا تبدين إلا مقاومة واهية سرعان ما تنهار ثم تستجيبين بعدها لقرارات النفي والإبعاد التي يتخذها زوجك بأعصاب باردة.. مع أنه لا شيء يرغمك على قبولها.. ولا حاجة فعلية لك بها اللهم إلا خوفك المبالغ فيه من أن تفقدي زوجك إذا تمسكت بالرفض فإذا سألتني المشورة قلت لك بلا تردد: عودي يا سيدتي إلى بلدك ووظيفتك وقري في بيتك واطلبي من زوجك أن يواجه نفسه ويرى إن، كان يستطيع أن يواجه زوجته الأولى بوجودك معه في نفس المدينة أم لا فإن كان عاجزاً عن ذلك فليعترف به وليطلق سراحك. أما إذا كان قادراً عليه بشيء من التضحيات من جانبه فليفعل وليتحمل من أجل سعادتك بعض ما تحملت أنت حرصاً عليه وأملاً فيه فإذا حاول بعد هدنة قصيرة أن يدبر لك منفى جديدا فتشبثي بالأرض التي تقفين فوقها.. واحتمي بأسرتك واطلبي الإنفصال وتمسكي به إلى أن يكف عن تدبيره.. أو يسرحك بإحسانٍ ولا تقدمي أي تنازل جديد بل احفظي لنفسك قدرها يا سيدتي بعد أن أهنتها طويلاً وأن الأوان لأن تنصفيها من ضعفك تجاه زوجك، فمن لا يكرم نفسه لا يكرمه الآخرون ومن يعتد التفريط في حقوقه يعتاد البعض منه هذا التفريط ويعتبرونه حقاً لهم عليه!

أما آخر ما أقوله لك في هذا المجال فهو ما قاله الإمام علي بن أبي طالب منذ 14 قرنا «إذا وضعت أحدا فوق قدره فتوقع منه أن يضعك دون قدرك»

ولا أزيد عن ذلك كلمة أخرى.. وشكرا!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

صوت الصمت

توفي أبي وكان تاجراً للحديد المسلح تاركاً لنا ما يكفينا من النقود فواجهت أمي الحياة وحيدة مع ستة من الأطفال أكبرهم في الثالثة عشرة من عمرها، وأرادت أن تخفف عنها بعض مسؤولياتها فزوجت أختي الكبرى في سن السابعة عشرة من رجل فاضل وبعدها بقليل زوجت أختي الثانية في نفس السن أيضا، فأصبحت أنا البنت الوحيدة بين ثلاثة أشقاء ذكور، وشاء قدري أن تمرض أمي وأن تلازم الفراش عامين كاملين بلا حراك فأصبحت المسؤولة عن رعايتها وخدمتها وخدمة أشقائي، وواجهت صعوبة شديدة في التوفيق بين واجبي تجاه أسرتي وبين دراستي، وكنت طالبة في الثانوية العامة حين اشتد المرض على أمي وأسلمت روحها لبارئها.

وتقدمت للامتحان بعدها بأسابيع فرسبت، ووجدت نفسي وأنا في الثامنة عشرة من عمري مسؤولة عن نفسي وأخوتي وحصلت على الثانوية العامة والتحقت بالجامعة الأمريكية ـ ولم يكن لنا أصدقاء لأن أمي كانت تؤمن بأن الصديق قد يفسد صديقه فنشأنا «في حالنا» واعتدت أنا ألا أشرك أقاربي في مشاكلنا وأن اواجه كل الأمور وحدي بلا سند واخترت ذلك رغم مشقته لكي أتجنب أن تصبح أمور حياتنا مشاعاً في بيوت الأقارب واستراحوا هم لذلك وابتعدوا عنا وتركونا نواجه أقدارنا وحدنا، وفى هذه الفترة بدأ أخوتي يكبرون ويقضون معظم أوقاتهم خارج البيت فازداد إحساسي بالوحدة وحاولت التغلب عليها بالقراءة والانهماك في الأعمال المنزلية وسماع الموسيقى لكني كنت أتمنى أحياناً أن يكون لي خطيب أتحدث معه وأحس بالقلق اللذيذ وأنا انتظره في البيت كبقية زميلاتي.. وكنت حين أحضر زفاف زميلة لي أقارن بين حالها وهي بين أبيها وأمها حيث الأمان والاطمئنان.. وحالي يوم زفافي حين أكون وحيدة بلا أب ولا أم، وأتساءل هل قدرت زميلتي هذه «النعمة» التي هي فيها أم أن اعتياد الأشياء يفقدها قيمتها؟

وكانت كل حفلات الزفاف التي أحضرها لفتيات أصغر مني في السن، لأن ارتباطي بأشقائي دفعني لرفض كل الفرص الجيدة التي أتيحت لي في ذلك الوقت، ومضت بي الأيام وتخرج شقيقي الأكبر وتزوج فور تخرجه من زميلة له وسافر للعمل بدولة عربية، وتخرج بعده بعامين شقيقي الثاني وتزوج أيضاً فور تخرجه وعمل طبيباً بأحد المستشفيات الاستثمارية، وتخرج شقيقي الثالث وهو أصغرنا جميعا وتزوج بعد تخرجه بعامين وانتقل للإقامة في الاسكندرية حيث يعمل عملاً حراً فيها.

أما أنا فقد تخرجت وعملت بإحدى الشركات بمرتب كبير، وخلا البيت من أخوتي فأصبحت وحيدة تماماً أعود إليه من عملي بعد الظهر فلا أجد من أحدثه أو يسمعني منذ أضع المفتاح في باب الشقة.. إلى أن أغادرها للعمل في صباح اليوم التالي فإذا ضقت بوحدتي وفكرت في أن أزور أحد أخوتي لأتحدث معه ازددت إحساسا بالوحدة لأني إذا زرت شقيقي هذا وجدته يشكو لي من شقاوة أولاده ومشاكلهم أو من زوجته وكثرة شجارها معهم ومعه وإذا ذهبت إلى أختي تلك

وجدتها تشكو لي من تسلط زوجها عليها وعناد أولادها معها - فأسمع مشاكلهم ولا أجد من يسمعني وأتحدث إليه عن نفسي وهمي ووحدتي فأعود إلى البيت وكأني لم أخرج منه فقد سمعت وأنا في البيت أسمع أيضاً ولا أتعلم حيث أسمع الراديو والتليفزيون ولا أتكلم إلا مع نفسي والجميع مشغولون بأنفسهم ومشاكلهم وليس عندهم متسع لمشاكل الآخرين.

ومضت الأيام ووجدت نفسي اليوم احتفل بعيد ميلادي الخامس والثلاثين وحدي وبلا معايدة أو تليفون من أخوتي الذين لم يتذكروا عيد ميلادي وقد أصبحت زيارتهم لي عملة نادرة ومحسوبة بالدقيقة والثانية.

أما حين أمرض وأحتاج إلى من يرعاني فأعاني الكثير لكي يأتي أحدهم ويقيم معي بضعة أيام.. وأحياناً أمرض ولا أجد من يجلس إلى جواري فماذا جرى في الدنيا يا سيدي حتى أصبحت أعاني من مشكلة إني لا أتكلم مع أحد في بيتي وأعاني من الصمت.. وما الخطأ فيما حدث؟

هل اخطأت من البداية لأني لم أهتم بنفسي على حساب أخوتي أم اخطأوا هم بانشغالهم عني.. إنها أسئلة كثيرة تدور في ذهني. ورأيت أن أكتب إليك بها لعلي أجد في الكتابة بعض الراحة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

في قلب الإنسان المنصف متسع دائماً لهموم الآخرين إلى جانب إنشغاله بأموره ومشاكله.. وكلما اتسع هذا المكان في قلبه كان الإنسان غيرياً يضع الغير في اعتباره ويهتم بأمرهم وكلما ضاق أو تلاشى كان الإنسان فرديا أنانياً يرى الحياة من زاويته فقط ومصالحه واعتباراته وحدها.

والحياة تزداد صعوبة كلما تراجع فيها استعداد البشر للإستماع للآخرين ومشاركتهم أمورهم ومشاكلهم ولو بالكلمة الطيبة. فما بالك إذا كان هؤلاء البشر هم أهله وعشيرته، لا لم تخطئي يا آنستي في انشغالك بأمر إخوتك إلى أن تخرجوا وتزوجوا وانصرفوا عنك إلى حياتهم وإنما أخطأوا هم في حقك حين جرفتهم أمور الحياة اليومية عن الاهتمام بأخت لهم تكابد الوحدة بمفردها في شقتها الواسعة بل وقصروا أيضاً في بذل الجهد المطلوب باستمرار وعلى المدى الطويل لمحاولة إتاحة فرص الزواج اللائق لك مع أن الساعي في زواج شقيقته ساع في عمل نبيل يقدره له الله ويجزيه عنه خيراً عميماً حتى ولو لم يحقق هدفه.

إن الوحدة تثقل على الرجال الأشداء. ويضعفون أمامها حتى ليتحول بعضهم إلى أشباه مجانين إذا كابدوها طويلاً، والروائي الروسي مكسيم جوركي يقول «إن المرء في خلوته يكون أقرب إلى الجنون منه إلى الرشد.. إذا راقبت سلوكه»

فكيف بها مع أنسة وحيدة مثلك؟

إن نصيحتي لك هي أن توسعي من دائرة صداقاتك زميلات العمل وأسرهن وأن تزوريهن وتستزيريهن كثيراً وأن تستعيدي روابطك العائلية التي تقطعت خلال معركتك مع الحياة، وألا تتوقفي عن زيارة شقيقاتك وأشقائك وأن تطالبيهم بحسم أكثر بحقك عليهم في الاهتمام بأمرك وفي زيارتك في فترات متقاربة، وفي رعايتك والإقامة معك إذا مرضت، وأطالبك بأن تكوني أكثر تمسكاً بحقوقك عليهم فأنت لا تطلبين منهم خدمة تطوعية لهم أن يؤدوها أو لا يؤدوها وإنما بحق لك ليس مقبولاً منهم التقاعس عنه فالتهاون في حقوقنا لدى الآخرين قد يشجعهم أحياناً على التكاسل عن أدائها واعتياد تجاهلها، وأنت قد أديت واجبك كاملاً تجاههم وأفضل الأوقات لأداء الديون هو الوقت الذي يكون الدائن فيه في حاجة إلى دينه القديم، وليس هناك وقت أفضل من هذا الوقت لكي ينهض إخوتك لأداء دينهم لك والاهتمام بك وإشعارك بأن حياتك الماضية لم تكن عبثاً بلا طائل ويبقى الأمل بعد ذلك في أن تجد وحدتك حلها الأمثل في حياة زوجية وأبناء يملأون عليك حياتك وتشكين من مشاكلهم لإخوتك كما يشكون لك على أن يكون في قلبك دائماً وإلى الأبد متسع أيضاً لمشاكل الآخرين وهموهم دائماً بإذن الله .

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ألــوان الـورد!

أكتب لأروي لك قصتي.. فأقول لك أنني فتاة من أسرة مصرية عادية نشأت في بيت يسوده الحب والحنان والتفاهم بين أبي الموظف بوزارة الزراعة وأمي الموظفة بوزارة الري وأختي التي تصغرني مباشرة وأخي الأصغر، وككل الأسر العادية كانت أفراحنا بسيطة.. وهمومنا صغيرة فتعلمنا في المدارس المصرية.. ونجحنا ورسبنا.. واستعنا بمجموعات التقوية في المدارس حتى اجتزنا السنوات الصعبة في دراستنا والتحقت أنا بكلية نظرية.. وتعودنا على أن يذاكر الكبير للصغير فكان أبي وأمي يذاكران لي..

وحين كبرت بدأت أنا أذاكر لأختي.. وحين كبرت أختي بدأت تذاكر لأخي.. وتقبلنا حياتنا راضين وسعداء بها نعرف بعض الرخاء في أوائل الشهر ثم نستعد للأيام الجافة بعدها فلا نضيق بها ونحرص على أن نرتدي الملابس اللائقة في حدود إمكانياتنا ونشتري معظمها من مشروع الكساء الشعبي..، ومع ذلك يشهد لنا الأهل والجيران والأصدقاء بالأناقة وحسن المظهر، وأبي وأمي متحابان ومتفاهمان دائماً ويتفاخران أمامنا بأن كلا منها قد اختار الآخر عن حب عميق وبأن حبهما يزداد مع الأيام!

وبسبب هذا الجو العائلي الذي تفوح منه رائحة الحب والتفاهم استقر في أعماقي أني لن أتزوج أبداً إلا ممن أحبه ويحبني فانصرفت إلى دراستي الجامعية.. ولم استجب لأي محاولة للتودد لي لا أتوسم فيها الجدية.. ولا تستجيب مشاعري لصاحبها وفي عامي الثالث بالجامعة تقدم لي ابن أحد أقارب أبي البعيدين.. وهو الثري الوحيد في الأسرة.. ويملك الكثير، أما ابنه فهو شاب مدلل متعثر في دراسته وشبه متفرغ لمشروعات خاصة لا تربح ولا تخسر لكنه يتعزى بها عن تعثره في الدراسة ويركب سيارة مرسيدس بيضاء.. ولم يكن أبي يستريح إليه.. لكن أباه رجاه أن يعطيه فرصته لعله ينجح في إقناعي فيكون زواجي منه كما قال بداية لانصلاح حاله.. وافق أبي وفاتحني وأبدى رأيه فيه بصراحة وهو أن قد يكون ثرياً وجاهزاً وقادراً على الزواج على الفور.. لكنه مدلل.. ولا يعتمد عليه.. فإذا اقتنعت به فلن يرغمني على عكس ما أريد، ورغم نفوري من الفكرة فقد قررت أن أعطي نفسي الفرصة للتعرف عليه عن قرب لكيلا أظلمه.. فوافقت على أن يزورنا في البيت وأن أجلس معه في الصالون عدة مرات.. على أمل أن يخلق ذلك التفاهم بيني وبينه، ورفضت قبول أيه هدية منه خلال فترة الاختبار رغم أنه جاءني في ثاني زيارة بهدية من «الألماظ» تدير الرأس، وبعد عدة زيارات وبسبب وجدت نفسي لا أميل إليه.. ولا تعجبني فيه ليونته وعدم جديته وتخيلت نفسي أعيش حياة رخية بلا حب فلم أتهلل لهذا الخاطر.. فحسمت أمري وأبلغت أبي بأني لا أوافق عليه فلم يدهش.. أما أمي فقد ضحكت وقالت لي: أنت «فقرية» مثلي تريدين الحب ولا يهمك العز.. وأشارت لأبي فأجاب باسماً:

الله يسامحك!

وكانت أمي تنوه بذلك للقصة التي عرفناها منذ طفولتنا.. من أنها فضلت أبي الموظف الذي لا يملك الإمكانات لأنها أحبته في صمت وهو صديق شقيقها على ابن عم أبيها الوارث الغني الذي كان يعدها بالثراء والراحة!

وانتهت هذه القصة سريعاً.. وفي عامي الجامعي الأخير احتجت إلى أن أصور بعض مذكراتي فتوجهت إلى مكتبة غير بعيدة عن بيتنا لتصويرها.. وصورتها.. ودفعت الثمن وشكرت الشاب الوسيم الذي قام بالمهمة فلم يرد عليّ فانصرفت مستاءة منه، ونسيت الأمر بعد لحظات.. ثم احتجت إلى تصوير مذكرات أخرى بعد شهر فتوجهت إلى المكتبة.. وتذكرت فجأة «غلاسة» الشاب الذي يعمل فيها فكدت أعدل عن الذهاب وأبحث عن أخرى.. لكني استثقلت المشي فدخلتها.. وتكرر نفس الشيء - فثرت وعدت إليه وسألته لماذا لم ترد.. ففوجيء بثورتي.. واندهش وأقسم لي أنه لم يسمعني وأنه مشغول الذهن بامتحانه القريب واعتذر طويلا وعرفت منه أنه طالب في السنة النهائية باحدى الكليات العملية وأنه يعمل بعد الظهر في هذه المكتبة ليساعد نفسه ورق قلبي فقبلت اعتذاره وانصرفت وترددت على المكتبة بعد ذلك عدة مرات كان خلالها يقابلني بكل احترام ومودة.. وبعد فترة فاجأني بأنه يعرف أبي وأختي وشقيقى وباختصار انطلقت الشرارة السحرية التي تكتب عنها في ردودك في قلبينا في لحظة واحدة تقريباً ونجحت في الليسانس.. ونجح هو في البكالوريوس وتقدم لأبي يطلب يدي.. وفاتحني أبي في الموضوع وهو ينذرني بأن الشاب من أسرة طيبة.. وأباه مدير عام بأحدى الوزارات لكنه لا يملك شيئاً وأمامه مشوار طويل لكي يستطيع أن يدبر الشقة.. ووافقت.. وسعدت أمي بأن ابنتها مثلها لا ترضى بغير الحب بديلاً.. وتمت الخطبة.. ودخل محمود أسرتنا فأحبه كل أفرادها.. وبدأنا مشوار الألف ميل لتحقيق أحلامنا ونجح أبي بعد عذاب في توفير عمل لي يدر عليّ 80 جنيها.. ونجح أبوه في توفير عمل له براتب 120 جنيها.. واستمر محمود يعمل في المكتبة بعد الظهر مقابل 60 جنيها.. وبحثت في الصحف عن عمل إضافي لندبر تكاليف الزواج.. فوجدت عملاً كموظفة استقبال في فندق 3 نجوم لا يبعد كثيراً عن مسكننا وتقدمت إليه ونجحت في الاختبار فأصبحت أبدأ يومي في السابعة صباحاً فأذهب إلى عملي الحكومي في الثامنة.. وأخرج منه في الثانية فأركب المواصلات إلى الفندق لأتسلم عملي في الثالثة وأبقى فيه إلى العاشرة مساء إلى أن يجيء محمود ويصطحبني إلى البيت.. أما هو فيبدأ عمله في الثامنة صباحا إلى الثانية.. ثم ينتظرني على باب الفندق ليطمئن عليّ ونتحدث لمدة دقائق قبل أن أتسلم عملي، ثم يذهب إلى بيته للراحة لمدة نصف ساعة ويتسلم عمله الإضافي الجديد في أحد المكاتب المهنية في الرابعة ويغادره بإذن خاص في العاشرة إلا ربعا ليأتيني في الفندق، أما في يوم الأجازة الأسبوعية فإني اصحو من نومي فأجده في بيتنا! ولا نفترق حتى الليل.. وقد أثار هذا بعض الحرج.. وتحدث فيه أبي مع أبيه فأجابه ببساطة ولماذا لا نعقد قرانهما الآن ونؤجل الباقي إلى أن تتيسر الأمور.. فينتفي الحرج.. فلم يملك أبي إلا أن يوافق.. وفي الجمعة التالية عقدنا القرآن بلا احتفال.

وواصلنا الكفاح.. وقدم والد خطيبي له المبلغ الذي أعلن أنه سيساهم به في زواجه وهو أقصى ما يستطيع أن يقدمه له.. واستبدل أبي جزءا من معاشه وقدم لي المبلغ وانشغلت أمي منذ اللحظة الأولى في دخول «جمعيات» بجزء من راتبها وشراء بعض الحاجيات لي. ورفض أبي أن يأخذ المبلغ الذي أراد خطيبي أن يدفعه لي مهراً وطلب منه أن يخصصه لمشروع الشقة وأصبحت أنا أمينة الصندوق لكل ما نوفره.. وكل شهر أسجل ما وفرته وما وفره خطيبي وأضيفه إلى ما تم ادخاره وجاءت الفرصة عن طريق نقابته فحجزنا شقة نتسلمها خلال 4 سنوات ودفعنا المقدم ألفي جنيه واشتريت غرفة النوم وخزنت قطعها في «فراندة» الشقة.. وواصل محمود عمله الصباحي والمسائي.. وكلما فقد العمل الإضافي بحث عن غيره.. وتنقل بين جميع الأعمال التي يمكن أن تتخيلها فعمل في مكتب هندسي.. وفي مكتب محام.. بل عمل سكرتيراً في عيادة طبيب.. وفي وسط هذه الدوامة دعينا لحضور حفل زفاف قريبي الذي رفضته.. وجاءنا هو بنفسه ليدعونا ويدعوني أنا وخطيبي بصفة خاصة ويصر على حضورنا وأحسست بأنه يريد أن يقول لي «تعالي لتتفرجي على العز الذي حرمت نفسك منه» فقررت قبول التحدي وقلت لنفسي «.. ولماذا لا نتمتع بسهرة جميلة تخفف عنا جفاف حياتنا وعملنا المتواصل؟» وذهبنا مع أسرتي إلى فندق هيلتون.. وكانت المرة الأولى التي أدخله فيها.. وتوجهنا إلى قاعة ألف ليلة فرأيت ما لا عين رأت ولا أذن سمعت.. رأيت الديوك الرومية والخراف المشوية بالأكوام واستمتعنا بسماع ورؤية نجوم الطرب المشاهير الذين نراهم في التليفزيون وعرفت أن أحدهم تقاضى خمسة آلاف جنية خلال نصف ساعة.. ورأيت رأي العين التورتة ذات الإثني عشر دورا التي يفتح عنها الستار في مسرح جانبي وسط المشاعل والأضواء.. ربما تتصور أني ندمت أو أحسست بالحسد.. لكني أقسم لك بالله العظيم أني لم أحسد الفتاة التي نالته.. ولم أسخط على اختياري أو عجز خطيبي.. لأني تربيت في بيت لا يعرف الحسد والحقد ويؤمن بأن لكل إنسان نصيبه.. فأمضيت السهرة سعيدة أداعب أسرتي وأضحك من قلبي على نكت خطيبي «الغلس» إذ نسيت أن أقول لك أنني اكتشفت بعد الأيام الأولى أنه يخفي تحت غلاسته معي في اللقاءين الأولين روحاً مرحة ولا عادل إمام وظرفاً وأدباً كبيرين..

واستمررنا في كفاحنا 4 سنوات فوجئنا خلالها بأن مقدم الشقة قد ارتفع إلى 6 آلاف جنيه.. ولابد من دفعها فدفعنا فيها المبلغ الذي كنا نخصصه للأثاث..، ورأت أمي أن الخطبة طالت فقررت أن نتزوج على أن نقسم إقامتنا بين بيتنا وبيت أسرة خطيبي بالعدل فنمضي هنا 6 شهور وهناك 6 شهور ورحب خطيبي وأسرته بالفكرة.. وتم الزفاف السعيد في حفل بسيط بقاعة أفراح متواضعة في كازينو على النيل ودعا أبي رؤساءه وأصدقاءه وأقاربه، ومن بينهم القريب الوحيد الثري، فجاء الجميع وجاء الشاب الذي حضرنا زفافه التاريخي في فندق هيلتون ومعه فتاة قدمها لنا على أنها خطيبته! فرحبت بهما بحرارة ولم أندهش لأننا كنا قد عرفنا منذ شهور أنه طلق زوجته بعد خلافات عاصفة معها بسبب استهتاره وعدم توافق طباعهما.

وانتهى الحفل على خير ما يرام.. وفعلنا كما يفعل أبناء الذوات فتوجهنا إلى الفندق الذي أعمل به لأمضي الليلة في جناح العرائس كهدية من مدير الفندق لي وفوجئت عند ذهابي عند منتصف الليل بزملائي يقفون على باب الفندق في صفين بالملابس الرسمية وهم يحملون مشاعل كالتي رأيتها يوم هيلتون ثم يزفوننا إلى داخله.. ثم إلى تورته كبيرة ستة أدوار في الصالة الداخلية ومصور الفيديو يصور كأننا من أبناء الأكابر وشربات.. وبالونات.. وسياح يتفرجون والجميع يهنئون ويضحكون وأمي وأبي وأختي وأخي في غاية السعادة.. وأنا أضحك.. وأدمع.. وأهمس لزوجي «شفت»؟. ربنا دائما.. مع الغلابة!

وبدأت حياتي الزوجية وبعد يومين غادرنا الفندق إلى بيت أسرة زوجي وعشنا 6 شهور تفاهمنا خلالها على أنه مهما حدث من احتكاكات متوقعة بسبب الإقامة مع الأهل عندي أو عنده فلن نغضب من أحد ولن نعتب على أحد.. ثم أمضينا 6 شهور مع أسرتي.. ورأت أمي أن الوقت مناسب للإنجاب بعد أن بلغت السابعة والعشرين فأنجبنا «عمر» ولم يتغير شيء في حياتنا فالعمل من الصباح حتى العاشرة مساء ويوم الأجازة عيد! وشقيقي الذي كبر وأصبح في الثانوية العامة يحمل إليّ طفلي كل مساء على باب الفندق إذا كانت الإقامة عند أهل زوجي لأصطحبه معي للبيت وهو يقول لي في كل مرة متسخطا «انتو تحبوا واحنا نشيل!» لكنه أخ رائع وأحبه كل الحب!

ومن حين إلى آخر يذهب زوجي إلى النقابة.. أو إلى شركة المقاولات التي تنفذ المشروع.. ويسأل ويتشاجر.. ويذهب إلى الصحف وينشر الشكاوى من تأخر تسليم الشقق.. وقد نشرت له في بريد الأهرام إحدى هذه الشكاوى مند عامين، وكل عدة شهور يطلبون زيادة في المقدم فنعصر جيوبنا لنجمع المبلغ وندفعه..، والحياة تسير.. وكل تعب اليوم يتلاشى حين نعود إلى البيت.. ونتحدث في صفاء، وحصل زوجي من عمله الصباحي على أول أجازة سنوية تستحق له.. فإذا به يرفض أن يستريح ويذهب إلى العريش ليعمل في قرية سياحية هناك ويعود ومعه مائنا وخمسون جنيها.. ليواصل الكفاح.. وأخيرا حدثت المعجزة.. وتسلمنا مفتاح الشقة.. ولم نحاول أن نشكو من التشطيب وإنما قررنا أن نحولها إلى جنة.. فنقلنا إليها غرفة النوم التي اشتريناها منذ 4 سنوات ورحنا نصلح أخطاء التشطيب ونعيد طلاء الأبواب بأنفسنا وباللون الوردي وأنا أكتب إليك الآن من عش الأحلام الذي انتظرته 6 سنوات. وأريد أن أصفه لك: الشقة مكونة من غرفتين مغلقتين ومساحة مفتوحة مفروض أن تضم الصالون والسفرة والأنترية.. إحدى الغرفتين وضعنا فيها غرفة النوم.. والغرفة الثانية وضعت فيها كليما ملونا وسريرا للأطفال أضع فيه طفلي ومائدة أضع عليها طقم الصيني والبقية تأتي المساحة الخالية وضعت فيها مائدة مستديرة و 6 «كراسي» وسنكمل باق السفرة خلال عام أو عامين.. قل يا رب! إلى جوارها انتريه هو في نفس الوقت صالون يكفي للغرض عدة أعوام ثم ملأت المساحات الخالية من الصالة ببوفات شرقية رخيصة.. وبعض كراسي القش التي لونتها كلها باللون الوردي وتليفزيون ملون 14 بوصة من مدخراتي ومدخرات زوجي.. والحوائط كلها تقريبا مغطاة ببراويز -

يجيد زوجي صنعها ـ تحمل صور الزفاف.. وبعض المناظر الطبيعية.. أما مطبخي ففيه ثلاجة 12 قدم وبوتاجاز مصانع عملي ومائدة وفي الحمام غسالة أطفال صغيرة وفي الخطة الخمسية القادمة شراء غسالة نصف أتوماتيك بالتقسيط.. والحمد لله على كل حال.

وقد جلسنا في أول يوم اختلينا فيه بأنفسنا في شقتنا نراجع موقفنا فوجدنا أني قد قاربت الثلاثين.. وزوجي الثالثة والثلاثين وقررنا أن استمر في العمل الاضافي إلى أن يسدد زوجي النقود التي اقترضها من شقيقه الأصغر لنشتري الثلاجة والبوتاجاز والغسالة.. وسينتهي ذلك خلال عام إن شاء الله..، وبعد ذلك أتوقف عن العمل المسائي وأكتفي بعملي الصباحي لأتفرغ لطفلي وزوجي وبيتي أما زوجي فسوف يستمر فيه إلى أن نستكمل تأثيث شقتنا ثم يستريح.. أو ربما يستمر ليشتري سيارة هو حر! أما أنا فهذا كاف بالنسبة لي.. وأنا سعيدة بما حققت وأشكر الله عليه وأقول لكل شاب وفتاة لا تيأسوا من رحمة الله .. وكافحوا مثلنا واصبروا ولا تتخلوا عمن تحبون بسبب الشقة أو الإمكانات ولا تتسرعوا بقبول من لا تحبون لمجرد أنه جاهز.. فسعادتي مع من أحب ويحبني ويراعي الله في معاملتي في هذه الشقة شبه الخالية لا تقدر بمال ولو عشت في شقة فاخرة مع من لا أحبه ولا يسعدني فلا شيء يعوضني عن تعاستي.. ولا أريد أن أنهي رسالتي إليك دون أن أذكر أن بابك الجميل هذا كان خير عون لنا في كفاحنا.. وأننا كثيراً ما تعزينا عن شقائنا بما كنا نقرؤه فيه من مشاكل الناس.. وآلام الحياة وبما قرأنا لك من ردود تدعو فيها الشباب إلى ألا يتنازلوا عن أحلامهم وأن يتسلحوا بالإرادة والصبر لتحقيقها.. كما شدت أزرنا قصص الحب والكفاح التي نشرت فيه خاصة قصة الطبيب الشاب وحبيبته «المجنونة» - كما وصفها - التي رفض أبوه زواجه منها بسبب الوضع الاجتماعي واضطهده وسلط عليه الشرطة ليطلقها فتحملا الضغط والحرمان وناما على مرتبة من الأسفنج ودفعته زوجته بإرادتها الحديدية للأمام وشجعته على الحصول على الماجستير، والنجاح في حياته حتى عاد لمصر من الخارج في إجازة بعد 8 سنوات فأصر على أن يقيم لنفسه حفل الزفاف الذي حرم منه عندما تزوج.. وأصر على أن يزف من جديد إلى عروسه بعد 8 سنوات من الزواج.

ولا تكفي الكلمات لشكرك.. لهذا فسوف أقدم لك مشكلة جديدة في حياتنا الآن لكيلا يفقد بابك لونه وهو باب للمشاكل.. فأقول لك أن أختي الصغري قد أصبحت الآن طالبة في ليسانس الآداب وقد تقدم لها محاسب عمره 39 سنة يعمل بإحدى الدول العربية منذ 10 سنوات، ويملك شقتي تمليك في مدينة نصر.. وعنده سيارة فولفو مكيفة وجاهز من كل شيء ويريد أن يقدم لها شبكة بـ 8 آلاف جنية ومهراً 10 آلاف جنية ومتمسك بها ويحاول إقناعها بإصرار وأبي وأمي لا يعترضان على شيء فيه لأنه على خلق ومن معارف الأسرة.. لكن أختي «الفقرية» أيضا وتفضل عليه معيدا بنفس الكلية على «فيض الكريم»، ولا يملك شقة وأمامهما معا 7 سنوات على الأقل من الشقاء المتواصل لكي يحصلا على شقة ويتزوجا.. وهي تريد أن تعلن خطبتها عليه في إجازة نصف السنة الدراسية في يناير القادم..

وأكثر المتحمسين له في أسرتنا بعدها هو شقيقي الذي أصبح طالبا بالسنة الثانية بكلية التجارة.. لأن المعيد سعى للتعرف عليه في الكلية وكسب صداقته وأعجب شقيقي بأخلاقه.. فماذا تقول في هذه الأسرة التي تجري وراء الفقر برهوان؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة:

أقول فيها يا سيدتي أنها أسرة رائعة تستهدي بفطرتها السليمة وبقيم دينها الحنيف التي تقول: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير»، وأسرة تستهدي بكل القيم السماوية التي تكرم الإنسان وتستهدف سعادته، وتعرف أن أكرم الخلق أجمعين حين خطب له عمه السيدة خديجة قد اعتذر لآلها في كلمته التقليدية التي يقدمه بها لهم عن فقره بأن المال ظل زائل وعارية مسترجعة، وبأن قيمة الإنسان في شرفه وخلقه وليست في أي شيء آخر.. وأنت بالطبع تداعبين بسؤالك غير الاستنكاري هذا نفسك وشقيقتك.. وتؤكدين به ما عرفته أنت بالتجربة الشخصية من أن السعادة حيث يستكين القلب.. وليست في أي مكان آخر ولا عجب في ذلك فلقد نشأت أنت وشقيقتك في بيت يتنفس أنفاس الحب والسعادة والوئام.. وفي ظل أبوين متحابين، وأم لها تاريخ قديم في تفضيل الحب والسعادة على الثراء بلا سعادة.. لهذا فإن نجمة هذه الأسرة في رأيي هي السيدة والدتك التي انتقلت إليكما منها هذه الفطرة السليمة.. ولا ينقص ذلك من فضل أبيكما العظيم الذي لا يحكم على البشر بمقياس الإمكانات وحده. إذن فلا عجب فيها رويت لي وإن كنت قد أسعدتني برسالتك هذه ولا عجب في أن تعرفي بفطرتك السوية أن غاية الحياة هي السعادة وليست المال في حد ذاته.. وأن من حق كل إنسان أن يبحث عن سعادته بالوسائل المشروعة حيث يجدها. فإن جاءته مع الثراء فأهلا بها وبه وإن جاءته عن غير طريقه فلكل شيء في الحياة قيمته وما نصل إليه بالعناء تزداد أهميته لدينا ونزداد استمتاعا به وحرصا عليه وأنت وزوجك وامثالكما من الشباب المكافح من هؤلاء الذين ينطبق عليهم المثل الشرقي القديم الذي يقول أن النار تتلف الخشب لكنها تزيد الحديد قوة، لهذا قد زادتكم نار الكفاح قوة وصلابة وقدرة على الاستمتاع بكل خطوة تحققانها على طريق الأحلام الطويل ولسوف يحقق الله لكما كل احلامكما ما تمسكتما بالحب والإرادة والصبر والكفاح. فأنتم بلا شك ممن عناهم الحديث الشريف الذي تحدث عن ثلاثة «حقٌ على الله عونهم» أحدهم «الناكح الذي يريد العفاف».. لهذا فكلي ثقة من أن شقتك شبه الخالية هذه التي طليت أبوابها بلون الورد سوف تصبح قصرا جميلا خلال سنوات معدودة بإذن الله بل هي من الآن أفخر من قصر وأكثر قيمة منه.. لأن في رحابها تجدان السعادة والسكينة وراحة القلب التي عجزت ملايين البعض عن أن تشتريها لهم. وأي شقة مهما كان مستواها تصبح قصرا حقيقيا إذا خلت من الشقاق.. والبغضاء.. والآلام ولقد كان الأديب الروسي العظيم انطون تشيكوف يقول: لو أن كل إنسان فعل ما بوسعه لتجميل رقعة الأرض الصغيرة التي يعيش فوقها بالحب والتفاهم ولمسات الجمال

لـصـار كوكبنـا فتنة للأنظار! وأنـت يا سيدتي قد فعلت ما بوسعك لتجميل الحياة فوق رقعة الأرض الصغيرة التي كافحت كفاح الأبطال للحصول عليها.. وسوف تفعلين المزيد والمزيد لكي يصبح عشك فتنة للأنظار.. وللقلوب المتلهفة على الحب والسعادة والسلام.. فهنيئاً لك وشكرا على رسالتك.. وعقبى لمن ينتظر!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

هدوء العاصفة

لا أعرف هل تذكرني أم لا إنني السيدة التي كتبت لك رسالة نشرتها منذ أكثر من 3 شهور تحت عنوان «قلب العاصفة» وتفضلت بإبداء الرأي والمشورة في قصتي التي رويتها لك، وكان ملخص قصتي أنني نشأت بين أب صارم لا يعرف إلا إصدار الأوامر بسبب نشأته العسكرية وأم طيبة مستكينة وشقيقين، والتحقت بإحدى كليات جامعة الاسكندرية فأقمت مع جدي في الثغر بعيداً عن بيت أسرتي، وتعرفت خلال دراستي بشاب مهذب هو ابن صديق لجدي ونما بيننا حب طاهر عميق، ثم أنهيت دراستي وعدت إلى القاهرة وانتظرت تخرج فتاي في كلية الطب حتى تخرج وجاء مع أبيه وجدي لمقابلة أبي رجل الأعمال فردهم بجفاء بحجة أن فتاي ليس من مستواي الاجتماعي ولا يحق له أن يطمح إلى الزواج مني، ورويت لك أنني عشت على أمل أن يغير أبي رأيه عامين ثم يئست من ذلك نهائيا بعد وفاة جدي رحمه الله.. فاستسلمت وقبلت تحت ضغط أبي الزواج من شاب آخر وجد فيه الشروط الملائمة لعريس ابنته، وكيف صارحت خطيبي بقصتي وحاول بإخلاص أن ينسيني آثار تجربتي السابقة، وتزوجنا لمدة عام لم نختلف خلاله يوما واحدا لكنه أحس أنه لم ينجح معي فتفاهمنا على الانفصال بلا مرارة وطلقت ثم نقلت إلى فرع الشركة التي أعمل بها في الأسكندرية، والتقيت بفتاي الأول وكان قد تزوج من ابنة أستاذه الطبيب الكبير ويعمل معه في عيادته ومستشفاه ويستعد للحصول على الماجستير بمساعدة صهره، وروى لي أنه لم ينجح في نسياني وأن زوجته لا تكف عن تذكيره بفضل أبيها عليه، واعترف كل منا أنه لن يسعد إلا مع الآخر فتزوجنا على الفور وأبلغت أمي بالخبر لتتولى إبلاغ أبي فهبت علينا العواصف من كل ناحية، فأبلغ أبي صهر زوجي بما حدث وحاول الطبيب الكبير أن يقنعه بتطليقي وهدده بأن زواجي منه سيدمره لأنه سيفقد عمله في العيادة والمستشفى ولن يحصل على الماجستير ولن يجد عملاً في الاسكندرية ما دام هو على قيد الحياة، فترك زوجي عمله بالعيادة والمستشفى وصرف نظراً عن رسالة الماجستير، وتوالت علينا العواصف والمشاكل فاتصل صهر زوجي بمديري في العمل وافترى عليّ - سامحه الله - عدة افتراءات ونجح بنفوذه في وقفي عن العمل والتحقيق معي واستمر التحقيق مفتوحاً بلا داع إمعاناً في إذلالي وحاصر بنفوذه زوجي الطبيب الشاب فلم ينجح رغم تكرار التقدم لفرص العمل في الحصول على عمل وقاطعني أبي نهائياً وأكد أنه لن يعترف بهذا الزواج وأنه سيحرمني من كل شيء وأصبح يغلق سماعة التليفون كلما حدثته وسد أبواب رحمته في وجهي وقاطعني تماماً فلم يعد لي أحد سوى أمي التي لا تملك من أمرها الكثير خاصة بعد سفر الشقيقين للدراسة في أوروبا وكتبت أروي لك كل ذلك وأسألك لماذا يغضب منا الآخرون ونحن لم نفعل شيئا يغضب الله. وسألتك ماذا نفعل حتى نعيش في سلام وبلا حروب في الرزق وبلا ضغوط من جانب أبي وأنني لا أريد مالاً من أبي لكني أريد عطفه وحنانه واعترافه بزواجي ممن أحببت فقط، فرددت عليّ بأن لكل اختيار في الحياة تبعاته التي ينبغي أن نتحملها راضين بها ما دمنا قد اخترنا بملء إرادتنا حياتنا ونحن نعرف ما سوف ندفعه من ضريبة

لهذا الاختيار وقلت لي أننا الآن في قلب العاصفة وقمة هياجها وأن أفضل ما نفعله هو أن يتشبث كل منا بالآخر لكيلا تقتلعه الرياح الهوجاء إلى أن تهدأ العاصفة ولابد أن تهدأ بعد حين ويتكفل الزمن بعلاج الجراح، وتمنيت ألا يكون لزوجي أطفال من زوجته الأولى يدفعون ثمن اختيارنا لسعادتنا على حسابهم حتى تصفو لنا الحياة بلا مرارات وطالبتني بألا أيأس من محاولة استرضاء أبي إلى أن يرضى ذات يوم وبالصبر والصمود للعاصفة إلى أن تخمد.. ثم نشرت في الأسبوع التالي أن أحد قرائك الأفاضل على استعداد لأن يوفر عملاً لزوجي واليوم أكتب لك لأشكرك على نصائحك التي عملنا بها وشدت من أزرنا ولأطمئنك إلى أن زوجي لم ينجب من زوجته الأولى أطفالاً والحمد لله ولأزف إليك بشرتين سعيدتين في حياتنا الأولى هي أني حامل في شهري السادس وأن الطبيب قد أخبرني أنني سأرزق بتوءم إن شاء الله والثانية أنه بعد نشر الرسالة قرأها طبيب فاضل يملك مستشفى في الدولة التي يدرس بها شقيقاي وعرف منهما أنني شقيقتهما فأبدى استعداده لأن يوفر لزوجي عملاً في مستشفاه وأن يساعده في دراسته العليا وبالفعل أرسلنا أوراق زوجي إليه.. وسوف يتسلم عمله خلال أيام بإذن الله لكني لم أشأ أن أكتب إليك بهذه الأخبار السعيدة إلا قبل سفرنا من مصر بيومين خوفاً من أن يعرف صهر زوجي أو أبي الخبر عند نشر الرسالة فيحاولا منعنا من السفر بطريقة أو بأخرى، وقد تعلمنا مما تعرضنا له من أهوال خلال الشهور الماضية أن نتعلم الحذر، وأن نفوذ صهري أكبر مما كنا نتصور وحين يصل إليك خطابي هذا نكون قد حططنا الرحال في بلاد الغربة غريبين في بلاد غريبة - كما يقولون - لكن الحب يجمعنا.. والأمل يضيء قلوبنا بحياة هادئة سعيدة وقد قررنا أن نؤدي العمرة شكرا لله بعد ولادتي إن شاء الله أما أبي يا سيدي فقد عملت بنصيحتك وحاولت بشتى الطرق كسب وده لكنه أصر على ألا يعترف بزواجنا وألا يسمع لي أو يفتح لي باب الرحمة وظل طوال الشهور الماضية يضع سماعة التليفون بغير كلمة واحدة وبمجرد أن يسمع صوتي ولا يرد على خطاباتي وتوسلاتي له بأني لا أريد شيئاً سوى حبه ورضاه وهأنذا أغادر مصر هاربة منه ولا يدري إلا الله متى نعود إليها.. ومتى يجمع الله بيننا وبين من فارقناهم، لكنه وكما قلت لي في ردك يجب على أن أتمسك بزوجي حتى لا يفقد كل منا الآخر بعد أن فقدنا من فقدنا وسوف أواصل الكتابة إليك من الخارج لأطمئنك على أخباري.. واطمئن منك على أخبار مصر .. وفي النهاية أجد نفسي عاجزة عن شكرك لكن لي عندك طلبا آخر هو أن توجه كلمة لأبي ليصفح عني ولا يقطع ما بيني وبينه إلى الأبد فأنا ابنته مهما حدث وأحبه مهما فعل معي ولن أكره شيئا في الحياة مثلما سوف أكره أن يجيء اليوم الذي يسألني فيه أطفالي عن جدهم فلا أدرى بماذا أجيبهم به..، وختاما لك سلامي وتحيتي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

ما نحصل عليه بثمن رخيص ننظر إليه غالبا بدون اهتمام أما ما نحصل عليه بالثمن الغالي فهو وحده الذي يستحق البقاء والاهتمام والتكريم! هكذا كتب ذات الكاتب الانجليزي توماس بين.. وهي كلمة صادقة تنطبق بدقة على قصتك وعلى مواقف كثيرة في الحياة ولقد كانت العواصف الهوجاء التي هبت عليكما جزءا من هذا الثمن الغالي الذي حصلتما به على سعادتكما.. لهذا فهي جديرة بالاهتمام والرعاية والاستمرار لكيلا تذهب معاناتكما بلا طائل، واستمرار جفاء أبيك لك بعد كل ما جرى هو أيضا جزء من هذا الثمن الغالي وإن كان باهظا وقاسيا ولا مبرر لاستمراره. لقد هدأت، حدة العاصفة من حولكما.. لكنها لم تخمد نهائيا بعد، لا تنسيا أبداً يا سيدتي هذا الثمن الغالي لكي تدركما دائما قيمة السعادة وأهمية استمرارها وحمايتها من صدأ الاعتياد.. وفتور الأيام.

أما أبوك فلا تكفيّ مرة أخرى عن محاولة استمالته واسترضائه ولا تفقدي الأمل في ذلك مهما أبدى لك من جفاء.. واكتبي إليه من الخارج في كل مناسباته العائلية وفي الأعياد، وابعثي إليه بصورة طفليك القادمين بإذن الله لعلها تحرك مشاعره وتذكره بما يحاول عبثاً تجاهله وهو أنك ابنته وهو أبوك مهما صنعت تصاريف الأيام. ولا تتوقفي عن الكتابة إليه ولو لم يرد على رسائلك لأنك إنما ترجين رضاء ربك قبل رضائه ولابد أن يلين قلبه ذات يوم. والكلمة الوحيدة التي أوجهها له بناء على رغبتك هي: يا سيدي لقد قضى الأمر وتزوجت ابنتك على سنة الله ورسوله وهي تنتظر الآن طفلين سيجيئان إلى الحياة بعد أسابيع.. ولن تتخلى عن زوجها الذي اختارته وسارت معه على طريق الأشواك وتوثقت روابطها به بالحمل.. فاذا يجدي الآن إصرارك على قطيعتها سوى أن تحرم نفسك من ابنة تتحرق شوقاً إلى رضائك عليها ولا تطلب منك شيئا سوى ذلك، يا سيدي إن العدل والرحمة والحكمة تطالبك بألا تغلق أبواب قلبك في وجه ابنتك وبألا تقطع ما بينك وبينها، لقد أطاعتك ابنتك في زواجها الأول الذي تم بمعاييرك أنت فشقيت به، ثم تزوجت على غير إرادتك بمن أرادته منذ البداية وأعيتها كل الحيل في إقناعك به، فسعدت معه وحملت منه ولم يفرق بينهما شيء.. وأقدمت على ذلك لأنها كانت تعرف جيدا أنها لن تحصل على موافقتك مهما فعلت.. وهي تعترف لك بأنها اخطأت في ذلك لكن عذرها أنها لم تستطع أن تدع فرصة السعادة تفلت من بين يديها حين جمعتها الأقدار مرة أخرى مع من أرادته وانتظرته طويلا.. فهل يستحق ذلك كل هذا العقاب القاسي؟ وألا تحن إليها وتئن عليها أحشاؤك كما تحن هي إليك وتئن عليك أحشاؤها؟ يا سيدي إن قيمة الإنسان الحقيقية تتحدد بمن يعنيهم أمرنا وبمن يمثل لهم رضاؤنا عنهم أو جفاؤنا لهم شيئا ذا قيمة واعتبار.. فلماذا تريد أن تحرم نفسك من ابنة شابة سعيدة في زواجها ومن ابن شاب جديد هو زوجها لم تتكلف جهدا في تربيته وتعليمه ويحمل لك مشاعر الاحترام والتهيب ويتحرق لنيل قبولك ورضاك ثم من أحفاد صغار سوف يأتون من عالم الغيب.. فيمثلون امتدادك وتواصلك مع الحياة، هل حقا تريد أن تحرم نفسك من كل هذه «النعم» التي يتلهف غيرك على بعضها.

ومن تعاقب سوى نفسك إذا أصررت على أن تحرمها من كل ذلك؟ يا سيدي إن الله يغفر الذنوب جميعا.. فكيف لا تتسع رحمتك لما فعلت ابنتك وهو هيّن، فإذا كنت تقدّر كل ذلك فترقب أول رسالة تصل إليك من ابنتك.. وأعلن صفحك عنها يهدأ خاطرك وتصفو حياة ابنتك من الكدر.. وتهنأ قلوب أمها وشقيقيها وزوجها ويتضاعف احترامك وإجلالك في عيون الجميع. فهل تفعل ذلك حقاً؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

حـــــادث الشـــاطئ!

مشكلتي تؤرقني لكن أملي كبير في أن أجد لها حلاً فأنا يا سيدي زوجة في مقتبل العمر.. تزوجت من زوجي عن حب واقتناع به وبشخصيته فقد كنا جيرانا ومستوانا العلمي والاجتماعي والديني واحد وكنت بطبيعتي معتدلة في كل أمور حياتي.. ومتدينة بلا تزمت فلم أرتد يوماً ملابس لافتة للنظر أو خارجة عن المألوف، ولم أكن اضع المساحيق اللهم إلا في مناسبات الخطبة والزواج العائلية وهي نادرة بطبيعتها فأضع قليلاً من البودرة الهادئة ومنذ تزوجت زوجي أصبحنا لا نفترق إلا فترة عمله وعملي فما أن ينهي كلانا عمله حتى يعود إلى البيت وكله شوق إلى الآخر.. فنمضي الوقت نتناقش ونتحدث في ود واحترام.. ونتفق دائما في كل شيء.. ومن أهمه أن علاقة الإنسان القوية بربه مع التربية السليمة في رعاية أسرة متدينة كفيلان بأن يقودا الإنسان دائما إلى التصرف الذي يتقي به غضب ربه.. لهذا لم يطلب مني زوجي أن أرتدي الحجاب.. وحرصت أنا على الاحتشام في مظهري.. وكانت أسعد أوقاتنا دائما هي التي نمضيها على شاطئ البحر حيث نقيم في الاسكندرية فنتحدث وموج البحر يهدر أمامنا.. ونستمتع بالتهام الآيس كريم الذي أحبه.. ومضت حياتنا في هدوء وتفاهم ثم لاحظت منذ شهور أن زوجي قد بدأ ينفرد بنفسه طويلا ليقرأ بعض الكتب.. ثم بدأ يعتذر عن العودة للبيت بعد انتهاء عمله ويمضي اليوم بعيدا عني ولا يعود إلا متأخرا ليلا، وسألته عن سر هذا التغيير فأبلغني بأنه يقضي بعض الوقت مع أصحاب له، فبدأت معه احس بالقلق.. واستبعدت أن تكون لزوجي علاقة نسائية، لكن التغير استمر وطالت فترات غيابه عن البيت.. فتملكني القلق تماما.. ومن شدة خوفي عليه سمحت لنفسي بأن اتصل تليفونيا بأحد أصدقائه الذي أعرف إخلاصه لزوجي لاستطلع منه تغيره وحرصت في حديثي على ألا أشعره بشيء وإنما سألته فقط عن أسباب انقطاعه عن زيارتنا، ففوجئت به يقول لي أن زوجي قد أصبح له أصدقاء من نوع آخر.. وأنه حاول أن يلفت نظر زوجي إلى عدم ارتياحه لهذه الصحبة الجديدة فبدأ منذ ذلك الحين يتجنبه ولم يعد يقبل عليه كما كان يفعل قبل شهور.

وازداد قلقي واضطرابي.. وكعادتي مع زوجي في ألا أخفي عنه خواطري ناقشته فيما عرفت ففوجئت به ينفعل وينهي المناقشة بأني سأعرف كل شيء في الوقت المناسب بعد أن يتخذ قراره! وتضاعف قلقي وخوفي، وبعد فترة لاحظت أن زوجي لم يحلق ذقنه لعدة أيام فلفت نظره إلى ذلك فأخرسني بنظرة لائمة.. وبكلمات مقتضبة بأن علي أن أتعود على ذلك لأنه سيلتحي، ثم بدأ زوجي يرتدي الجلباب والطاقية في البيت ويخرج بهما بعد الظهر لمقابلة أصحابه الجدد ويقضي معهم أغلب الليل ثم يعود حاملاً بعض الكتب الدينية، ثم امتنع عن الخروج بصحبتي نهائيا إلا اذا تحجبت فلم أعارضه في هذه الرغبة وارتديت الحجاب وظللت أرقبه بصبر اعتقادا مني أنه سيعود إلى طبيعته بعد فترة.. لكنه أبلغني ذات يوم أننا سنستقبل ضيوفا أعزاء عليه وجاء الضيوف فكانوا مجموعة من السيدات

المنقبات والرجال الملتحين الذين يرتدون الجلباب والطاقية البيضاء، وانقسمنا على الفور إلى مجموعتين.. فريق من النساء في حجرة وفريق من الرجال في حجرة أخرى.. واستمرت الزيارة إلى ما بعد منتصف الليل في أحاديث وأفكار غريبة لم أسمعها من قبل ولا أدري من أية مصادر دينية أتين بها، واستمرت هذه اللقاءات وأصبحت أصاحب زوجي إلى هذه الزيارات وفرض عليّ زوجي أن أرتدي النقاب مع أني لست صاحبة فتنة وجمالي متوسط بحجة أن أصدقاءه يعترضون على وجودي بينهم بدون نقاب، فتنقبت وأنا غير مقتنعة بذلك ولا راضية.. وإنما مرغمة إرضاء لزوجي وطاعة له.. وبعد فترة طلب مني أن أستقيل من عملي وألح في ذلك فقدمت استقالتي منه وأنا أعيش على أمل ألا تطول هذه الحالة الطارئة.. وأن نعود قريباً إلى حياتنا الطبيعة، وأصبحت حبيسة جدران البيت لا أفتح الباب لأحد ولا أخرج إلا للاجتماعات مع نفس المجموعة، ولا أسير في الشارع بجانبه كما تفعل كل الزوجات وإنما خلفه ولا حديث بيننا إلا عن الحرام والحلال فقط.. ولا حديث عن المشاعر، ولا الذكريات التي تربطنا.. ولا أي شيء آخر..

وذات يوم من أيام الخريف التي ارتفعت فيها الحرارة فجأة ضاقت نفسي بالحر والرطوبة فتوسلت إليه أن نخرج لنجلس على البلاج كما كنا نفعل في أيامنا الجميلة.. فوافق بصعوبة شديدة وعلى شرط أن يتم ذلك في المساء وسعدت بذلك وطلبت إليه أن نذهب إلى نفس المكان الذي شهد أجمل ذكرياتنا وكلي أمل في أن تحرك الذكريات القديمة مشاعره التي ماتت تجاهي، وذهبنا إلى نفس المكان في سيدي بشر ولم يكن على الشاطئ سوى أسرة واحدة مكونة من أب وأم وطفلتين صغيرتين.. وجلسنا نتحدث وأنا بالنقاب الأسود الذي لا تظهر منه سوى عيني وسط ظلام الليل واردت أن أستعيد ذكرياتنا الجميلة فطلبت منه آيس كريم، وغادر البلاج ليشتريه من أحد محلات الشاطئ ورفعت رأسي إلى السماء واستغرقت في الدعاء إلى الله أن يساعدني على استعادة زوجي الذي أحس بأني فقدته.. وفي هذه الأثناء كانت الطفلتان تجريان أمامي وما أن اقتربتا مني حتى انتابهما فزع شديد وصرختا خائفتين فنهض إليهما أبوهما وأمهما فارتمت الطفلتان عليها وهما ترددان في خوف ورعب.. عفريت يا ماما وبدون أن أشعر وجدت نفسي أنهض إليهما وأرفع النقاب الأسود وأقول لهما أني إنسانة مثل ماما تماما وأنه لا داعي لخوفهما.. واستغرقت تهدئة روع الطفلتين بضع دقائق عادا بعدها مع أبويهما إلى مجلسهم.. وعدت أنا إلى مجلسي فإذا بزوجي واقف في جمود يرقب الموقف صامتا وفى يديه الآيس كريم وسألني عن هؤلاء الناس وكيف سمحت لنفسي بأن اكشف وجهي أمامهم.. ثم استدار وغادر الشاطئ دون أن يسمع جوابي وتفسيري لما حدث وأسرعت وراءه وهو لا يتكلم ولا يسمع إلى أن وصلنا إلى البيت، وبصعوبة شديدة سمح لي بدخول بيتي، وحاولت بكل الطرق أن أشرح له الظروف التي وضعتني في هذا الموقف الحرج لكنه أنهى المناقشة بأني ما دمت قد سمحت لنفسي بأن أكشف وجهي أمام غرباء فقد أصبحت محرمة عليه وأنه سوف يستشير «الإخوة» غدا في ذلك عسى أن يكون لديهم حل لهذه المعصية الكبيرة التي ارتكبتها.

وأحسست فجأة بمهانة لم أحسها من قبل.. وتفجر سخطي على كل شيء.. هل إلى هذا الحد أصبح زوجي لا يملك قراره ولا إرادته.. وهل أصبح كل ما جمع بيننا طوال هذه السنوات مرهونا بقرار «الإخوة» بشأني.. وأمضيت الليل وحيدة لا يغمض لي جفن، وفي الصباح غادر البيت إلى عمله صامتا فكتبت له رسالة اعتذار عن عدم استطاعتي انتظار رأي «الإخوة» في أمري وركبت أول قطار من الاسكندرية إلى القاهرة وأقمت في بيت شقيقي وخلعت النقاب ولن أعود إليه ومضى أكثر من شهرين ولم يحاول زوجي الاتصال بي رغم أني أبلغته أين أقيم ولا أعرف بماذا قضى «الإخوة» في أمري وهل جعلوني محرمة عليه كما قال أم لا وأنا الآن في صراع خطير.. وارجو ألا تتهمني بالسلبية فقد كنت طوال الفترة السابقة لحادث الشاطئ استجيب لكل ما يطلب منى على أمل استعادته وعدم التفريط فيه، وأرجو أن تخلص لي النصيحة هل أخطأت حقا وهل خطئي جسيم إلى هذا الحد.. وهل تنصحني بالاستمرا مع إنسان لم يعد يملك أمر نفسه.. ولا يملك أن يتخذ قرارا بشأن علاقتنا كزوجين إلا برأي الإخوة أو على الأصح رأي رئيسهم؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

النقاب ليس أمرا واجبا وهذا هو الرأي المعمول به في الفتيا.. ولهذا فلن أطيل في هذه النقطة.. وإنما أقول لك أنك لم ترتكبي جرما يحرمك على زوجك باضطرارك إلى كشف وجهك أمام غرباء لتهدئي من روع طفلتين مذعورتين لأن وجه المرأة ليس عورة بإجماع جمهور الفقهاء.. ولست أريد أن ابتعد عن مشكلتك الخاصة لأغرق في جدل لا طائل تحته حول ما استقر عليه الرأي وجئنا نحن الآن لنعيد فتح باب النقاش فيه كأنه لم يعد لدينا من مشكلات الحياة ما يستحق أن نبذل فيه الجهد والوقت سواه أو كأنه لم يبق لنا من كل شئون الحياة المتعددة والمتشابكة سوى حديث الحرام والحلال وحده مع أن المحرمات محدودة في القرآن الكريم وليس من حق أحد أن يتوسع فيها أو يضيف إليها، ومع أن أئمة المسلمين الأجلاء الذين أفنوا العمر في دراسة علوم القرآن الكريم لم يعطوا لأنفسهم حق الفتوى بالتحريم لأن تحديد الحلال والحرام في الإسلام لله جل شأنه وحده، فكان هؤلاء الأئمة العظام يكرهون الإفتاء بأن هذا حرام إلا اذا كان منصوصا عليه في القرآن وواضحا لا يحتاج إلى تفسير، وكانوا يتحرجون من الإفتاء بحرمة هذا أو تحليل ذاك فيستخدمون عبارات من نوع هذا مكروه.. وهذا لا بأس به.. وكان الامام ابن حنبل يرد على سائله في أمر من الأمور: هذا أكرهه.. أو لا أستحسنه.. أو لا يعجبني تحرجاً من استخدام كلمة التحريم إلا فيما جاء به نص قطعي من القرآن الكريم فمن أين جئنا نحن بالعلم الذي نتصدى به للإفتاء بالتحريم والتحليل في كل شيء بهذا اليسر وبهذه السهولة؟

ثم من يبني إذن ويعمر ويكافح الفقر والجهل والتخلف ونحن لا يشغلنا سوى حديث الحرام والحلال وحده وسوى الإفتاء بغير علم في مثل هذه الأمور وترى

كيف انتشر الإسلام من حدود الصين إلى شواطئ الأطلسي؟ أبقوم يعملون ويجاهدون ويكافحون ويتحدون الصعاب إلى جانب عنايتهم بالحلال والحرام أم بقوم متكئين على الأرائك لا يشغلهم سوى هذا الحديث؟

لا يا سيدتي لم ترتكبي جرما ولقد بالغ زوجك في تزمته حين اعتبرك محرمة عليه لهذا السبب العجيب لكنك اخطأت بكل تأكيد حين استقلت من عملك بلا ضرورة من رعاية أطفال أو قيام بأعباء منزلية يعوقك عملك عن الوفاء بها ففقدت بذلك مورداً للرزق الشريف كان يمكن أن تعتمدي عليه في ظروفك الحالية أو في المستقبل وأغلب ظني أن «الإخوة» لم يوافقوه على حرمتك عليه بدليل أنه لم يطلقك حتى الآن.. وهذه كارثة أخرى أن يستفتي زوج كامل الأهلية والإرادة جماعة مهما كان شأنها في أمر زوجته ثم يلتزم بما تشير عليه به كأن مشورتهم حكم واجب النفاذ.. كما أنها كارثة أشد أن يصبح استمرارك معه أو انفصالك عنه رهنا بمشورتهم بغير أي دور لرأي الزوج وتفكيره المستقل ناهيك عن روابطك الخاصة به وتاريخكما الطويل. على أية حال فإني أتصور أن زوجك غاضب عليك الآن لهجرك بيتك قبل أن يعود إليك «بالبراءة»، ولعله يتوقع منك الآن أن تعودي إلى بيتك تكفيرا عن خروجك منه بغير إذنه فإذا كنت ما زلت تأملين فيه خيرا فأوفدي إليه من يتفاهم معه على شروط مقبولة منك ومنه للحياة معا في المستقبل أهمها أن يكون أمره في يده هو وليس في يد أحد غيره مهما بلغ شأنه.. و أن يكون من حقك ألا تفعلي إلا ما تقتنعين بصوابه وابتغاء مرضاة الله وحده.. ثم رضا زوجك من بعده، وليس التزاماً بتعاليم أحد أو طلباً للقبول منه، فإن قبل بذلك فلا بأس باستمرار الحياة معه لأنه سيكون علامة على بداية إسترداده لزمام نفسه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الجوائز

هل تذكرني؟.. لقد كتبت إليك منذ عام ونصف العام رسالة طويلة أروي لك فيها قصتي مع زوجي الذي ظلمني.. واستجاب لتحريض أخوته ضدي وطلقني.. رغم دموعي وتوسلاتي له ألا يستجيب لهم.. إلى حد أني قبلت يده أمامهم في مجلس الطلاق..

وقلت له أنت زوجي أنت رجلي لا تسمع لمن لا يريدون لك الخير.. فكانوا كلما لاح لهم أنه سوف يلين أو يتذكر العشرة يتطاير الشرر في عيونهم كأنما مسهم الشيطان وينتحون به جانبا ويطالبونه بألا يضعف.. وأنا أبكي - وأؤكد له أن كل ما بيننا يمكن التفاهم عليه وأنه لا شيء يستحق الهدم والطلاق الذي هو أبغض الحلال إلى الله.. وهم يتقافزون حوله كالمردة والشياطين ويشحنونه ويحذرونه إلى أن ضعف لهم وأجرى الطلاق.

ورأيت الفرحة الآثمة في وجوههم جميعا.. والشماتة في القلوب السوداء مع أني لم أسئ إلى أحد منهم.. وإنما ظلموني واتهموني بالعقم وسكت على ظلمهم وترددت على الأطباء للعلاج الذين كانوا يؤكدون لي أني سليمة وأن العيب ليس من جانبي وعز عليهم أن يصدقوا ذلك وجاراهم هو في هذا الظلم، حتى أفسدوا الحياة بيننا.. وجاءوا معه يوم الطلاق سعداء كأنهم في عيد وأنا لا أصدق أننا قد وصلنا إلى هذا الحد.. حتى فوجئت بالأحقاد وتهللهم لهدم البيوت.. فسلمت أمري لله.. وتكاثروا عليّ وأنا وحيدة وليس لي أب ولا أخ يدافعان عن حقوقي .. فأخذ زوجي كل حقوقي وراح يقول هنا وهناك أنني تنازلت بمحض إرادتي عنها.. ولقد تنازلت عنها فعلا بعد أن يئست من رجوعه عن الطلاق ولكن ليس بمحض إرادتي وإنما تنازلت يأساً وكمداً.. وضعفاً.. وقد قرأت لك في ردك على إحدى الرسائل حديثا شريفا يقول «أن ما أُخذ بسيف الحياء فهو حرام» فهزتني هذه العبارة.. لأن ما حرمني منه زوجي.. قد ناله بسيف الحياء والضعف وقلة الحيلة.. فأخذوا كل شيء حتى ملاءات السرير والفوط التي دخلت بها وغادرت بيتي مرغمة وهو يتفرج عليّ مع أخوته المحرضين الذين وقفت بجوارهم جميعا ولم أقصر تجاه أخ منهم.. وخرجت وأنا كسيرة وذليلة ولا أصدق أن العشرة قد هانت على شريك حياتي بهذه السهولة وانحفر هذه اليوم الأسود في ذاكرتي فلم أنسه أبداً.. وما زلت كلما تذكرته أردد حسبي الله ونعم الوكيل، وبعد شهور من الطلاق كتبت إليك تلك الرسالة ورويت لك ما حدث.. وقلت لك فيها أني منذ طلاقي أشعر أنني بلا وطن.. لأن زوجي هو وطني، واخترت أنت هذه العبارة ونشرتها بعد عدة شهور بعنوان «كلمات في البريد» وعشت أنا «اجتر أحزاني» واحرص على قراءة بريد الجمعة وأتعزى بكلامك الجميل عن المظلومين ودعوتك لهم ألا ينتقموا من خصومهم. لأن عدالة السماء لا تغفل وسوف يرون بعد قليل جثث ظالميهم طافية فوق الماء وكم أعجبت بالكلمة التي استشهدت بها لكاتب إنجليزي - أو فرنسي لا أذكر تقول «ما الحزن إلا مقدمة للسرور»، وبالكلمة التي قلت فيها أن الحرص على استمرار الحياة الزوجية لابد أن يكون متكافئا بين الطرفين لأنه إذا تمسك به

طرف إلى النهاية بغير أن يبادله الطرف الآخر نفس الحرص يصبح مذلة وهوانا.. كما أعجبت بباقي ردودك المؤمنة بالله وبالعدل الإلهي.

ولقد انتظرت السرور الذي يجيء بعد الحزن.. وانتظرت عدالة السماء وطال الانتظار لكني لم أفقد ايماني بالله أبدا.. ثم بدأت أرى انتقام العزيز الجبار من كل من ظلمني وافترى على امرأة ضعيفة لا حول لها ولا قوة مثلي.. فأما زوجي الذي قبلت يده وذرفت دموعي فوقها لكيلا يخذلني أمام إخوته.. فلقد أراد أن يتزوج من امرأة ثرية متبرجة.. متحررة.. منطلقة فلعبت به فترة ثم رفضته أمام كل زملائه وأهانته قائلة له كيف تتصور أني أتزوج من موظف شحاذ مثلك؟ ثم حاول بعد ذلك الزواج من أخرى.. وأخرى، لكن ربك كان له بالمرصاد وفشلت كل مشاريعه، الواحد تلو الآخر.. وأما الأخ الذي كان أكثر المحرضين تحمساً وتحريضاَ.. وكلما رأى أية بادرة صلح يوم الطلاق.. جرى هنا وهناك.. وأمسك أذن أخيه يضخ فيها السم ويحذره بأنه لو تراجع في نيته فلن يكون رجلاً.. وسوف.. وسوف هذا الأخ الذي كان متهللاً وسعيداً بعد الطلاق كأنه يوم عيد، فقد عرف الجميع في مناسبة أخيرة أنه لا حول له ولا قوة مع زوجته التي تملك كل شيء.. وأنه مغلوب على أمره معها ولا يستطيع أن يرفع صوته عليها مهما قالت أو فعلت وإلا كان مصيره الطرد وعرفوا الآن فقط أنه إنما كان ينفس عن القهر الذي يحسه تجاه زوجته في تحريض شقيقه عليّ.. وأن سر تكراره لعبارة كن رجلاً في حديث لأخيه لكي يطلقني هو أنه محروم من أن يكون رجلا مع زوجته الحاكمة و بأمرها في حياته والتي تملك كل شيء.. ولا يملك هو شيئا.. وسبحان من يكشف الأسرار وأما أنا.. فلقد مضت أيامي.. ودعائي في صحوي ونومي هو حسبي الله ونعم الوكيل إلى أن هدأت نفسي قليلا وتصبرت.. وسلمت بما حدث ورحت اتطلع إلى رحمة الله.. فإذا بجائزة السماء التي تتحدث عنها كثيرا في ردودك تهبط عليّ بغير انتظار في شخص إنسان كريم حنون محترم، استراحت نفسي إليه ووجدت عنده شفاء لكل جروحي فتزوجته ولست أحلم بشيء سوى بأن أعيش مع إنسان يرعى الله في معاملتي ويعطيني من الحب والحنان والرعاية نصف أو ربع ما أعطيه.. فإذا بزوجي الحبيب يغدق عليّ من حبه وعطفه وحنانه.

ويعطيني كل شيء.. ما حلمت به وما لم أحلم وإذا بناصر المظلومين يغير من حالي إلى الأفضل في كل شيء.. في كل شيء، فبدلاً من الشقة المتواضعة التي كنت راضية بها وبكيت حين طردت منها.. أعطاني الله شقة تعد قصرا بالقياس للشقة الصغيرة المتواضعة البائسة التي بكيت عليها.. وبدلاً من الأثاث البسيط الذي كنت سعيدة به أعطاني الله أثاثا ثمينا جميلا فاخرا تتيه به أية امرأة وبدلا من أشيائي التي اغتصبها مني زوجي السابق وجدت في شقة زوجي الحبيب كل الكماليات.. وكل ما أريد ومن كل شيء اثنين.. اثنين. حتى التليفون، ووجدت أهم من كل ذلك الحب والحنان.. والعطف والكرامة..

أما جائزة ربك للمظلوم الذي يقول له في الحديث القدسي «وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين» فهي أني يا سيدي حامل في شهري الرابع والحمد لله والشكر له والحمل طبيعي وبلا أية متاعب ولم يطلب مني الطبيب أية احتياطات

غير عادية.. وهكذا جاء نصر الله على من اتهموني بالعقم وأساءوا إلي وتحملت اتهاماتهم لي 8 سنوات رغم أن هذا الجنين كان أمنية لي منذ أول يوم لزواجي.. وأنا الآن أسعد إنسانة في الوجود مع زوجي الحبيب.. وقد وعدني - أكرمه الله - بأن نؤدي معا فريضة الحج بعد أن أضع مولودي بإذن الله.

وقد كتبت لك هذه الرسالة لتسعد معي.. كما كتبت لك من قبل عن تعاستي ولكي تقول لقرائك أن رحمة الله واسعة فلا تيأسوا من رحمة الله ولكي تحذرهم من أن يظلموا غيرهم لأن من يظلم آخر هو إنسان غبي في الحقيقة لأن الله سبحانه وتعالى سوف يقف بجانب المظلوم ويدافع عنه ويقتص له خير القصاص والسلام عليك وعلى قرائك ورحمة الله وبركاته.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

إنها ليست جائزة واحدة يا سيدتي وإنما جوائز عديدة.. أثمنها في تقديري هو أنك استعدت الثقة في جدارتك بأن تسعدي مع إنسان آخر.. وبأن تجدي عنده كل ما افتقدته في حياتك السابقة من عطف وحنان وقيمة إنسانية لشخصك.. بل وأمومة غالية طالما تلهفت عليها وحرمت ظلما منها.. وطعنت في كرامتك بسببها.. هذه هي الجوائز الحقيقية، أما الشقة الأفضل والإمكانيات الأكبر فليست بشيء ذي بال إذا قيست بها. لكنها تضاف أيضا إلى تلك الجوائز السابقة ليحق عليك قول أصدق القائلين: «وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ »! فلقد كان ما كرهته لنفسك وأنت تتذللين لزوجك السابق ألا يخذلك وما تعرضت له من المهانة والجحود والظلم خيرا مدّخرا لك وإن كرهته.. ولم يطل انتظارك له.. أليس هذا دليلاً جديداً على أن الإنسان ينبغي ألا تفقده عثرات الحياة وجحود الآخرين ثقته بعدالة السماء وبجدارته بأن ينال ما يستحقه من تقدير ذات يوم أوليس ذلك دليلاً جديداً على أنه إن كان البعض قد جحدنا فليس ذلك لعيب فينا وإنما لسوء تقدير من جانبهم.. ولابد أن نجد ذات يوم.. وفى مكان ما من الأرض من سوف يعرف لنا قدرنا.. ويرى فيما اعتبره الآخرون نقائص فينا مزايا لنا جديرة بالاعجاب والتكريم؟

هذا هو الدرس القديم الجديد.. الذي ينبغي أن نؤمن به دائما مهما تخفّى أحياناً وراء الغيوم.. وهذا ما أثبتته الأيام لك بعد وقت قصير من محنتك.. فاستمتعي بجوائزك يا سيدتي وبحب شريك حياتك وحنانه.. وبأمومتك التي طال انتظارك لها.. ولا تبددي لمحة واحدة من سعادتك بالحقد على من آذوك وظلموك لأن السعادة الحقة لا تصفو أبداً لمن يحمل ذرة حقد في قلبه تجاه أي إنسان في الوجود.. حتى لو كان ممن ظلموه وآذوه.. ولا بأس بأن تتأملي عدل السماء ينزل بمن افترى عليك.. ولكن لا تشمتي بأحد.. ولا تشغلي نفسك بتتبع مصائر ظالميك إلا أن تجيء إليك عرضاً.. فحتى هذا التتبع يمثل نوعاً من الاهتمام بهم لا يستحقونه.. وسوف تصفو لك الحياة حقاً إذا نسيت آثار تلك التجربة بكل آلامها

ورموزها وشخوصها حتى تمسي إذا عرضت لك لم تجدي في قلبك تجاههم لا الحب ولا الكراهية.. ولا الحقد.. ولا المرارة.. ولا شيء إلا الخواء.. إلا الخواء!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

رســـالة ممنوعة

أكتب إليك يا سيدي من مدينة ساحلية لأتحدث إليك عن سيدة من النوع الذي لا تحبه من النساء لكن لا مفر من أن أحدثك عنها لأنها سبب مأساتي.. والمؤسف أني سوف أحدثك في رسالتي عن أمي وليس عن أي سيدة أخرى!

فأنا سيدة شابة متزوجة من شاب طيب من أسرة طيبة ويشغل مركزا مرموقا ولي منه طفلة صغيرة جميلة ومأساتي التي بدأت منذ طفولتي تكمن في جمال والدتي وأناقتها فلقد كان لها دائما سطوة كبيرة على كل العاملين معها بل وعلى كل من تقع عينه عليها.. وقد جئت أنا وأختي الصغيرة إلى الحياة لأن أمي الجميلة الطاغية هذه أحبت أبي صاحب المركز الكبير في مدينتنا مع أنه كان متزوجا وأبا لخمسة أبناء وتزوجته وأنجبتنا ثم ملته بعد قليل فطلبت منه الطلاق وعادت بنا إلى بيت جدي، وانطلقت بكل معنى الكلمة.. حتى عثرت على شخص آخر ذي مركز مرموق في بلد مجاور وتزوجته وأصبحت تسافر إليه في بلدته في نهاية كل أسبوع، وتتركنا طفلتين في رعاية زوجة خالي المشغولة ببيتها، حتى سقطت شقيقتي الوحيدة ذات مرة من النافذة وماتت أبشع ميتة رحمها الله بسبب انشغالها بنفسها وجمالها عنا. وبعد هذا الحادث الأليم أشارت على زوجها أن يؤجر شقة في مدينتنا لكي يلتقيا فيها بدلا من أن تسافر إليه كل أسبوع، ففعل واستمرت حياتها الزوجية فترة ثم ملته هو الآخر وتخلصت منه بالطلاق وبعد طلاقها مباشرة ركزت بطاريات جاذبيتها على مديرها فتزوجته سرا رغم أنه متزوج وله أبناء في مدينة أخرى.. وبعد فترة نقل من مدينتنا إلى بلده حيث تعيش أسرته، وأصبح يحضر إليها، مرة أو مرتين كل شهر ثم ملته هو الآخر وطلبت منه الطلاق لكنه رفض طلاقها ولعله كان أول من استطاع الصمود لرغبة من رغباتها فلم تبدد حياتها في المشاحنات لتحصل على الطلاق ـ وإنما عادت لرقتها وليونتها معه وعاملته أفضل معاملة حتى تيقن تماما أن طلبها الطلاق كان نزوة عارضة وانتهت وكانت أسرته تقضي الصيف كل سنة في مدينتنا الساحلية فانتظرت أمي في صبر حتى جاءت أسرته إلى المصيف.. وبهدوء القاتل المحترف دبرت أن تفاجئها زوجته - التي لا تعرف بالزواج - معا، وتمت المكيدة بكل إحكام وكان لها وقع الكارثة على الزوجة والأبناء فاضطر زوجها تحت وطأة الفضيحة والاضطراب إلى طلاق أمي، وعادت الزوجة مع أبنائها من المصيف، فلم يمض عليها وقت طويل حتى لقيت وجه ربها متأثرة بأحزانها أما أمي فلم تهتز شعرة واحدة في رأسها الجميل وحصلت على وثيقة طلاقها وأصبحت تحتفظ بها في حقيبة يدها دائما. وانطلقت في الحياة في حماية هذه الوثيقة!

وبعد فترة أخرى عاد مطلقها الذي أصبح أرمل بعد مأساة وفاة زوجته وأم أبنائه، فتزوجته سرا ودون علم أهلها بمهر كبير ومؤخر صداق أكبر والأدهى من ذلك أنها تزوجته بوثيقة طلاقه منها واحتفظت هي في حقيبة يدها بوثيقة طلاقها الأول منه، واشترطت عليه أن يلتقيا في شقق بعض أهله في مدينتنا وألا تذهب إليه في بلدته، واستمر الحال هكذا حتى مرض الرجل ولزم بيته ولم يعد يراها وطلب منها

أبناؤه أن تذهب لتعيش معه وترعاه في مرضه فأبت أن تفعل ذلك وبقيت في مدينتنا تنتظر موته لترثه، وقد قاربت الآن الستين من عمرها لكن جمالها وأناقتها يزدادان إشراقا وخطرا كشيطان جميل.. بل لعلها ازدادت أنوثة ودلالا وشخصيتها ما زالت طاغية على الجميع ما عدا من تقرر أن تسيطر عليه فإنها تلين وتتدلل له حتى تشعره بأنه أعظم رجل في العالم فيخر ساجدا أمامها!

والكارثة التي لا أعرف كيف اقترب في حديثي لك منها هي أن هذا ما تفعله الآن مع زوجي وليس مع أي إنسان آخر فلقد انتقلنا إلى شقة في ضاحية من ضواحي المدينة لكي نبتعد عنها، لكنها بدأت تكثر من زيارتنا ومن محادثته بليونة أعرفها حق المعرفة وأعرف معناها وبنظرات وضحكات وهمسات كرهتها منها من أعماقي طوال عمري وكلما حاولت أن اتخذ منها موقفا حادا نهرني زوجي، ثم بدأ يقوم بتوصيلها إلى بيتها عندما تكون في زيارتنا ثم يعود شاردا ثم بدأت المكالمات التليفونية الطويلة التي أواجهه بها فينكر مضطربا ثم تلاحق الإيقاع حتى لم أعد أدري ماذا افعل لمنع الكارثة من الوقوع أو إيقافها، إنني أفكر في قتلهما معا.. أو في قتلها وحدها بالسم لكي يبقى زوجي من أجل طفلتنا، لكن لماذا يا سيدي لا يسحبون وثيقة الطلاق من المطلقة عند زواجها من مطلقها مرة أخرى لكيلا تحتمي بعض السيدات في هذه الوثيقة ويفعلن ما يشأن بغير حسيب أو رقيب.

إنني أعرف أن رسالتي مملة ولا فائدة منها لأحد وأنك لن تجد ما تقوله لي عنها لأننا نعيش في الزمن الظالم.. ولأنها من امرأة مجهولة قد تقرأ عنها قريبا في صفحة الحوادث قبل أن ترد عليها.. لكني أرجو الله أن يلهمني الصبر حتى اقرأ ردك عليها إذا رأيت ذلك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

يا إلهي كأني تلقيت هذه الرسالة من عصر ما قبل الديانات السماوية حين كان كل شيء مباحا بلا قيود ولا سدود، ولا يحرك البشر فيه سوى نزواتهم وشهواتهم!

لقد وضعت رسالتك هذه بعد قراءتها في ملف الرسائل الممنوعة وهو ملف احتفظ فيه ببعض الرسائل التي أحجبها عن النشر لاحتوائها على بعض ما يخدش الحياء العام، أو بعض ما أخشى من تأثيره السلبي على الأخلاق خاصة أخلاقيات النشء، أو بعض ما أراه يدخل في باب تبرير أو تجميل الخطيئة بالمبررات الواهية مما قد يغري آخرين بتكرارها أو يبرر للبعض الآخر الاستمرار في خطيئته حين يقرأ عن «زملاء» له في ضعفه البشري والمرء يرضيه دائما أن يحس بأنه ليس الخاطئ الوحيد في العالم.

لكني وجدت نفسي بعد قليل أمد يدي إليها مرة أخرى وأسأل نفسي كيف استطيع أن أعينها على أمرها بكلمة قد تخفف عنها بعض همومها إن لم أنشر الرسالة؟

أوليس من الممكن أن يتحقق احتمال الواحد في المليون فترتكب فعلا ما تندم عليه بعد ذلك؟ ثم كيف نعرف نحن الحياة بكل وجوهها إن لم نعرف وجوه الشر لنتجنبها. ووجوه الخير لنتبع خطاها ونحاول أن نتأسى بها بل وكيف نعرف للفضليات فضلهن إن لم نضعهن موضع المقارنة مع غيرهن لنزداد إكبارا لهن والأشياء تعرف أحيانا باضدادها لقد روى لنا القرآن الكريم بلا حرج ولنفس العبرة عن امرأتي نوح ولوط وقد كانتا تحت نبيين وعبدين صالحين فخانتاهما في العقيدة وحقّ عليهما العقاب، وروى لنا على الجانب الآخر عن الفضليات من أمهات المؤمنين ومريم ابنة عمران وامرأة فرعون الصالحة. فإذا كان الأمر كذلك فلأنشر الرسالة ولأقل لك يا سيدتي إفعلي كل ما ترينه في صالحك لإنقاذ زوجك من براثن هذه السيدة التي لا أسميها بغير ذلك تنزيها لرمز الأم النبيل أن يقرن بها ما عدا التفكير في أي عمل غير مشروع شرعا وقانونا ولا يؤذي في النهاية إلاك ولن يضر ضررا بليغا إلا بطفلتك البريئة.. افعلي كل ما تشائين وقاتلي بكل سلاح في يدك لإبعاد هذه «السيدة» عن حياتك وزوجك وسعادتك، واجهيها بكل ضراوة وبلا أية موارية فهي لن تفزع من لومك ولن تضطرب وهي من لا تهتز شعرة في رأسها الجميل لوفاة ضحية من ضحاياها. ومن عجب أن زيجاتها الثلاث كان لها ضحايا باستمرار هم زوجات وأبناء أزواجها، إذن فالعبي معها «المباراة» على المكشوف فليس ثمة ما يبرر التجمل أو الاستحياء وأوراقها كانت دائما علنية ومكشوفة فربما تحرك المواجهة ما بقي لها مما يربطها بجنس البشر فتعفيك من سمومها ثم استعيني إن فشلت المواجهة بكل أهلك عليها وهم أكثر الناس دراية بها وطالبيها بصرامة بالامتناع عن زيارتك والامتناع عن الاتصال بزوجك وطالبي أهلك بمساندتك في ذلك وواجهي زوجك لكن مع الحكمة والاحتفاظ معه بشعره معاوية وبصريه بحقيقة الخطر الذي يتهدده والإثم الذي ينحدر إليه خاصة أنه حتى لو أراد زواجها بعد طلاقك فإنها لا تحل له شرعا لإنها من المحارم بالنسبة له بعد أن تزوج ابنتها ودخل بها، ولا بأس إذا اقتضت الضرورة القاسية بأن تصارحيه ببعض مالا يعرفه عنها رغم إيلام ذلك لك ومنافاته لكل الطبائع الإنسانية.. لكن ماذا نقول والوضع كله لا إنساني وأنت في حالة دفاع عن النفس ضد خطر داهم يبيح اللجوء للمحظورات. وجربي معها كل الوسائل حتى ولو اضطررت في النهاية إلى الاتصال بزوجها وإقناعه بأن يحاول اغراءها بكل الوسائل لتعيش معه بعيدا عنك بدعوى أن ذلك في صالحه وصالحها.

افعلي كل ما تفعلينه إذا دافعت عن زوجك ضد عدوان غازية غريبة عنك ولا تربطك بها صلة دم، فالحق أنه لا تربطك بها هذه الصلة المقدسة منذ استباحت لنفسها أن تهدرها بيديها.. وافصلي ما بينها وبين حياتك ثم ادعي لها ربك في النهاية بالهداية.. فالجمال لا يدوم وإن طال أمده، وهو وحده بغير جمال الروح والأخلاقيات لا قيمة له لكن بعض الناس قد تصدق عليهم مقولة عالم النفس سيجموند فرويد التي يقول فيها: «إن تصرفات البشر تصدر عن قاعدتين هما الغريزة الجنسية والرغبة في العظمة!»

وهؤلاء يعيشون حياتهم بلا قيود ولا حدود كأنهم وثنيون من غزاة الشمال لن يواجهوا موتا ولن يبعثوا منه ولن يلقوا حسابا ولا عقابا على ما فعلوه بحياتهم وحياة الآخرين!

أما الليونة والنعومة والجاذبية التي تتحدثين عنها فلا غرابة فيها إذ هل هناك ما هو أكثر ليونة وجاذبية ونعومة ملمس.. من جلد الحية الرقطاء؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الجنيه الذهبي

أشكرك جدا جدا على اهتمامك برسائل قرائك فأنا قارئة مستديمة لبابك منذ سنوات وأريد أن أكتب إليك قصتي لآخذ مشورتك فيها.. وهذه ثاني رسالة ولم ترد عليّ. فأنا إنسانة حصلت على دبلوم التجارة منذ سنوات عملت في عمل حكومي وقد بدأت عملي وعمري 18 سنة فكنت لافتة للنظر لأني مرحة جدا جدا وعقلي كبير جدا بشهادة جميع من حولي ومن السهل أن أحل مشاكل الأصدقاء الذين يستشيرونني فيها رغم أنهم أكبر مني والكل يحترمونني لشخصيتي الجذابة. ولتعقلي في الحكم على الأمور ولم تكن لي تجارب مع أحد فأنا والحمد الله محجبة ومتدينة، وقد أثبت كفاءتي في عملي في فترة وجيزة جدا.. وعشت حياتي بسهولة ويسر لأني وحيدة أبوي ومدللة جدا جدا منها.. لكن حدث ما لا تحمد عقباه يا سيدي فقد أحببت مديري في العمل.. ولم يكن الأمر بيدي فهو أول رجل ينبض له قلبي.. فوجدت نفسي أرتجف وأنا أكلمه في أمور العمل رغم أنه يكبرني بضعف عمري ورغم أنه متزوج وعنده طفلان.. لكن الجميع يعرفون أنه غير سعيد في زواجه وأنه على خلاف دائم مع زوجته، مع أنه محبوب من الجميع ومتدين جدا والكل يحترمونه لوقاره وشخصيته.. وقد تحابينا جدا من بعيد لبعيد دون أن نعترف بذلك لمدة عامين ثم لم نستطع الاستمرار في ذلك فخرجت معه في سيارته وأنا التي لم تخرج مع إنسان غريب من قبل وذلك لأني أحببته جدا جدا.

وأصبحنا نلتقي كل يوم في العمل.. ثم اختلق لأهلي أسبابا للخروج بعد الظهر وألتقي به.. وأرجو ألا تسيء الظن بي فنحن لم نرتكب ما يغضب الله، رغم علمنا أن مقابلاتنا حرام.. وقد أصبح يعيش من جديد بعد أن كان يعتبر نفسه إنسانا ميتا مع زوجة لا تحبه.. وعشنا هكذا شهورا طويلة نمضي الوقت كل يوم نتجول في الشوارع ولا يعود إلى بيته إلا لينام ولأن لكل نار دخانا فقد بدأ زملاؤنا في القسم يعرفون القصة وبدأ الهمس والغمز واللمز من حولنا واستنكروا حبنا لأنه متزوج وله طفلان وزاد الطين بلة أن بعض أقارب زوجته معنا في نفس العمل فعرفوا بالقصة.. وذات يوم كان مديري غائبا في مهمة لمدة يومين.. فجاء أقارب زوجته إليّ وفوجئت بهم يتحدثون معي في الموضوع بصوت عال وبطريقة استفزازية.. وذهلت من المفاجأة فلم أستطع أن أرد عليهم بكلمة واحدة، وشاع الأمر أكثر وأكثر وأصبح علنا ولم يعد لأحد في قسمنا أو باقي الأقسام من حديث إلا فيه، وتحملت كل ذلك ثم عاد مديري وعرف بالموضوع فثار وهاج وهدد أقارب زوجته بطلاقها وقاطعهم فاعتذروا له وهدأت العاصفة فيما بينهم عند هذا الحد لكن الرواسب تجمعت عندي أنا فهو رجل لا يعيبه شيء في النهاية أما أنا فإن سمعتي التي كانت «كالجنيه الذهب» أصبحت كالجنيه الصفيح ولم أعد قادرة على الذهاب للعمل فحصلت على إجازة مرضية لمدة شهر حاول أن يتصل بي خلالها في البيت فلم أرد عليه، ثم عدت للعمل وأنا أنوي ألا أتكلم معه! لكن بعض المتطفلين والحاقدين اتصلوا بزوجته تليفونيا وأبلغوها بعودتي فانقلبت الدنيا أكثر مما كانت

بالرغم من أنها «لا تحبه» وزواجها منه تقليدي، لكنها ثارت لكرامتها وللشكل الاجتماعي!!

ومضت شهور وأنا أحاول إقناع نفسي بنسيانه وقدمت طلبا للنقل من القسم لكن للأسف رفض طلبي.. ثم وجدت نفسي لا أقدر على نسيانه وهو كذلك وكنت قد بلغت الرابعة والعشرين فعرض عليّ الزواج ورحبت طبعا لكن المشكلة كانت أن أقنع أهلي به وهو زوج وأب لطفلين. وأنا إبنتهم الوحيدة، لقد تقدم لأهلي.. وتحملت أنا مسؤولية إقناعهم ووقفت أمامهم بكل صمود وكل قوة! وهددت بالانتحار للضغط عليهم فوافقوا في النهاية وأحضر لي شقة صغيرة جميلة وتم زواجنا وتقدمت باستقالتي من العمل استجابة لرغبة زوجي وترك هو بيت زوجته الأولى ولم يطلقها ولن يفعل إلا إذا طلبت هي الطلاق لأنه يعرف أصول دينه.. لكنه لا يذهب إلى بيته الآخر لأنها لا تسمح له بدخوله ولا بمشاهدة طفليه، مع استمراره في الإنفاق عليهم كما كان وأكثر.. وأنا يا سيدي أحب «أولاده»، جدا جدا ولم أطلب منه أن يطلق زوجته لأنها لم تطلب منه الطلاق. لكن المشكلة هي أن زملاء زوجي في العمل منذ علموا بزواجنا وهم لا يكفون عن الكلام عنا وتنكروا جميعا لزواجنا كأننا قد قتلنا لهم قتيلا أو ارتكبنا جرما أو فعلنا شيئا حرمه الله، وليس الزملاء فقط الذين اتخذوا هذا الموقف وإنما الأهل والأصدقاء والأصحاب أيضا الذين تنكروا لزواجنا لأنه متزوج وله طفلان وترك ذلك عند زوجي رواسب كثيرة فأصبح يذهب إلى عمله كل يوم على مضض وكأنه ذاهب إلى حبل المشنقة، وليس إلى العمل الذي كان يحبه وأصبح يتجنب الظهور معي أمام الناس حتى لا يعلق أحد أنه أكبر مني سنا ولا يذهب بي عند الأصدقاء أو الأهل لكي يتجنب «كلام» عيونهم المستنكرة وإذا خرجنا لظروف قصوى تعمد ألا يمشي معي وأن يسبقني إلى السيارة لكي نذهب إلى مشوارنا الضروري.. لكننا والحمد لله داخل البيت سعداء جدا جدا ولا يعكر صفونا إلا هؤلاء الدخلاء المتطفلون.. فقل لهم ولأمثالهم يا سيدي إن ما فعلناه ليس حراما.. وقل لزوجي ألا يخجل من خروجه معي فكم من رجال تزوجوا ممن هن أصغر منهم بكثير وعاشوا سعداء، واطلب منه ألا يهتم بكلام الآخرين. لأن كل هذا لا يصح أن يؤثر علينا، وقل لهم يا سيدي أننا لسنا مخطئين وأن هذا ما حلله الله، وأننا والحمد الله «ضميرنا» مستريح من جميع الجهات! وأرجو أن تهتم برسالتي مع علمي أن هناك رسائل أهم من رسالتي بكثير. لكني استحلفك بالله ألا تهمل رسالتي وأن تقول لهؤلاء الدخلاء المتطفلين كلمة «قوية» لكي يكفوا عما هم فيه ويعرفوا إلى أي حد يعكرون صفو حياة الآخرين بتدخلهم هذا؟ ولك مني يا سيدي جزيل شكري وامتناني.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

يخيل إليّ يا سيدتي أنه إما إنك أخطأت العنوان الذي كان ينبغي أن تبعثي إليه بهذه الرسالة وإما إنك لست من قارئات بريد الجمعة المنتظمات كما تقولين وإلا لما توقعت مني تعاطفاً وتأييداً لجانبك مهما كانت مبرراتك العاطفية، أو تبريراتك غير المؤكدة عن انعدام الوفاق بين زوجك وزوجته قبل ظهورك. لهذا فلن أطيل في تعليقي على رسالتك لأني لا أريد أن أكرر موقفي من الزواج الثاني الذي يمزق أسرة وأطفالا أبرياء بلا ضرورة قصوى أو لمجرد الاستجابة لنزعات أو نزوات عاطفية.. ناهيك عن الخطأ الأساسي في قيام علاقة من هذا النوع من البداية بين فتاة في الثامنة عشرة من عمرها وبين زوج وأب يكبرها بضعف عمرها إن لم يزد على ذلك وحاولت التخفيف منه في رسالتك بدليل ظهور الفارق بينكما صارخا إلى الحد الذي يجعله موضعا لتعليقات الأصدقاء والمارة ناهيك عن كلام العيون المستنكرة. على أية حال فإني سأقول لك فقط أن لكل إنسان أن يختار لنفسه ما يشاء لكنه ليس من حقه أن يتحسر على عدم احترام الآخرين له أو يشكو من استنكارهم لاختياره أو رفضهم له.. أو حتى من تناولهم لهذا الاختيار بالنقد والتشنيع لماذا يا سيدتي؟ لأننا لا نستطيع أن نحول بين الناس وبين ألسنتهم لكننا نستطيع إن أردنا أن نلتزم بالقيم والأعراف والتقاليد وقوانين الحياة الطبيعية.. فلا يجدون في سلوكنا ما يغريهم بالانشغال بنا.. ولا تتحول سمعتنا من جنيه ذهبي إلى عمله من الصفيح! هذا هو الطريق الوحيد الميسور لكي يكف عنا الناس ألسنة الأذى.

وهذه هي «التكاليف» التي يتحملها المرء. لكي يحصد احترام الآخرين وقبولهم له ثمنا لها أما أن يعفي الإنسان نفسه من كل التكاليف وينساق وراء الأهواء بلا ضوابط ويصادم الآخرين في أعرافهم، ويسلب استقرار أسرة وأمنها ويروع أطفالها ويعرضهم لمحنة بلا مبرر إلا حساباته العاطفية هو وحده ثم يطالبهم بعد ذلك بقبوله وإحترامه وكف ألسنتهم عنه.. فهذا هو المستحيل بعينه لأننا لا نعيش في صحراء جرداء وحدنا وإنها بين بشر علينا أن نحترم مثلهم العليا إن أردنا أن نتوافق معهم وأن نتبادل معهم الحب والاحترام، فإن كنت قد نشرت رسالتك رغم أني لا أفضل نشر مثيلاتها ورغم ما فيها من تبريرات غير مقنعة قد تستفز المشاعر، فإنها فعلت لأنها يمكن أن تفيد غيرك وتكشف لهم تبعات مثل هذا الاختيار، والوجه الآخر له وهي تبعات ثقيلة، «جدا جدا» كما ترين. وأسف لعجزي عن تلبية ندائك لأن انشغالي بالتفكير في أمر الزوجة والطفلين الذين لا ذنب لهما في أحوال القلب.. ولا في جرأة البعض على خرق المألوف.. قد سلبني القدرة على صك كلمة «قوية» أرد بها عنك تطفل المتطفلين.. ولوم اللائمين.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

الأحـــلام الموءودة!

قرأت رسالة الجنيه الذهبي التي تروي فيها فتاة صغيرة السن إنها أحبت رئيسها في العمل الذي يكبرها بأكثر من خمس وعشرين سنة رغم أنه متزوج ولديه ولدان وتزوجته مما أثار عليها سخط زملائها في العمل واضطرها للاستقالة ثم بدأ زوجها يتحاشى الخروج معها أو اصطحابها في الزيارات العائلية تجنبا لما اسمته «حديث العيون» الصامت والرافض لهذا الزواج وقد أثارت هذه الرسالة شجوني فأردت أن أروي لك أنا أيضاً قصتي، فأنا فتاة أبلغ الآن من العمر 24 سنة لكن لي تجربة أعمق مع الحياة، فمنذ 5 سنوات تزوجت وأنا في التاسعة عشرة من إنسان طيب القلب كريم الخلق من أسرة طيبة اخترته عن اقتناع بالرغم من أنه لا يحمل أية شهادة دراسية ويعمل بالتجارة.. ولقد عارضني الجميع في اختياري له بحجة أنه غير متعلم وأنا طالبة جامعية فتمسكت به وصممت على الارتباط به بل وقررت ترك دراستي الجامعية حتى لا أكون أفضل منه في شيء وتركتها بالفعل وتزوجنا سريعا وعشت معه حياة سعيدة بكل معنى الكلمة وواجهت بعض المتاعب التي حاولت أن تخلقها بيننا إحدى قريباته فصبرت عليها وتحملت وصممت على ألا تنتصر عليّ هذه السيدة أو تهزم حبنا ومضى عام وثلاثة شهور من زواجنا ونحن في سعادة تامة نستمتع بالحب والتفاهم ودفء المشاعر والإخلاص.. ثم ذات يوم وقع زوجي الشاب وهو يقف في محله على الأرض. فأسرعوا إليه ليعينوه على الوقوف فوجدوه يتنفس بصعوبة وأسرع بعض الحاضرين لاستدعاء طبيب لإسعافه من هذه الأزمة الطارئة التي يمكن أن يتعرض لها أي إنسان بسبب إرهاق العمل فإذا به يلفظ أنفاسه بين أيديهم بلا مقدمات ولا مرض ولا أي شيء وإذا بحلمي السعيد ينهار فجأة أمام عيني وأنا أكاد أجن من الذهول والصدمة ولا أصدق ما حدث، وبعد ثلاثة أيام فقط من هذا اليوم الأسود بدأ أهله الذين كنت على علاقة طيبة بهم وأحبهم ويحبونني يلمحون لي بضرورة مغادرة الشقة.. وكأني قاتلته ولست زوجته التي أحبته وأحبها من كل قلبه لكن قاتل الله الميراث والخوف على الشقة الذي بدد سريعا المودة السابقة ولست في حاجة لأن أقول لك أني تركت لهم الشقة الجميلة لأني لا أستطيع أن أواصل الحياة بها وكل شيء فيها يذكرني بزوجي الراحل رغم أن أهلي عارضوني في ذلك فتركتها لهم وغادرت عش أحلامي الموءودة قبل مرور 40 يوما على رحيل زوجي وسلمتها لشقيقه.. ونلت ما يقضي به لى الشرع من ميراث وعدت إلى بيت أسرتي أرملة في الثانية والعشرين من عمرها وعشت أيامي حزينة وحيدة وتعرضت لأزمات صحية عديدة طفت معها على عيادات الأطباء طلبا للعلاج ووجدت في الصلاة وقراءة القرآن راحتي وملاذي.. ومضت الأيام والشهور وأنا لا أستطيع نسيان ما جرى أسأل نفسي في حسرة وبلا جدوى لو أني على الأقل أنجبت طفلاً منه أعيش له ويجدد ذكراه دائما في قلبي.. ألم يكن ذلك يخفف من وحدتي، وأشفقت عليّ صديقة مخلصة ذات يوم فنصحتني بأن أطوي هذه الصفحة الحزينة من حياتي وأن استعين بالزواج من جديد والإنجاب

على نسيانها مؤكدة لي أني سأتزوج إن اجلا أو عاجلا، وما دام الأمر كذلك فليكن ذلك عاجلا لأخرج سريعا من دائرة الأحزان قبل أن تورثني اكتئابا مستديما.

وتقدم لي كثيرون لم أجد فيهم ما أريده من سلوى، ثم تقدم لي إنسان أحسست أنه يستطيع أن يعوضني عن سوء حظي في الحياة بالرغم من أنه أرمل يكبرني في السن وله ثلاثة أبناء بلغ اثنان منهما المرحلة الثانوية. ومرة أخرى عارضني أهلي في زواجي منه بسبب فارق السن والأبناء الثلاثة بل واتهمني البعض بأني وافقت عليه لأنه ميسور الحال، مع أن ظروفي المادية مقبولة كما أني ورثت من زوجي الأول، لكني قبلت به لأنه صنع الكثير ليقنعني بالزواج منه ورسم لي أحلاما جميلة عن المستقبل وأكد لي أن ابناءه يحتاجون إليّ.. وبكى أمامي وهو يؤكد لي أنه حتى لو قضى أجله فإنه يريدني من بعده إلى جانب أبنائه، فساءلت نفسي وماذا يساوي فارق السن وقد تزوجت الصغير المعافى من كل مرض فإذا به يموت فجأة ويتركني، وانتهيت إلى القرار بالزواج منه.. وأكدت لنفسي ولغيري أني سأحب أبناءه وسوف يحبونني لأني لا أحمل للناس إلا الحب، وتزوجنا سريعا وبدأت حياتي الجديدة معه بحنين جارف إلى السعادة وإلى تعويض ما فاتني منها وأحببت أبناءه الثلاثة وأحبوني بالفعل.. ثم بدأ زوجي بعد شهرين فقط من الزواج يتغيب كثيرا عن البيت ولا يعود إليه إلا في موعد النوم.. وكلما سألته عن سر غيابه الدائم تعلل بالعمل، فوجدت نفسي. مرة أخرى وحيدة لا عمل لي إلا رعاية أبنائه الثلاثة في غياب زوجي وحاولت أن أشغل وحدتي بإشباع عاطفة الأمومة فرغبت إليه في أن أنجب طفلا وصدمت برفضه الإنجاب وطلبه مني أن اكتفي باعتبار أبنائه أبنائي، ثم بدأت الاشاعات تترامى إلى أنه على علاقة بسيدة موظفة وبدأت اتتبع هذه الأخبار فعرفت أنه على علاقة بها منذ عشر سنوات ومن قبل أن ترحل زوجته الأولى وأنها رحمها الله كانت تعرف ذلك ولا تملك له شيئا لمرضها الدائم وخوفها على أبنائها، وتعجبت من نفسي كيف خدعت فيه وفي الآخرين الذين شهدوا له بالاستقامة عندما تقدم لي وعندما واجهتهم بما عرفت قالوا لي أنهم كانوا يعرفون بالأمر لكنهم أملوا أن ينصلح حاله بزواجه مني!، ولم أطق صبرا على ما عرفت وواجهته بعنف فأنكر وصمم على أنه بريء وأقسم على ذلك فصدقته وحاولت أن أطرد الوساوس من صدري لكن الحال لم يتغير كثيرا فبعد أيام قليلة عاد إلى الانصراف عني نهائيا والتغيب طوال اليوم عن البيت.. واشتعلت النيران في قلبي فتقصيت أخباره وعرفت أنه عاد للالتقاء بها من جديد وتتبعته ذات ورأيته بعيني في بيتها.. وواجهته مواجهة صاخبة وفجرت الموقف معه فهل تعرف ماذا كان جوابه؟

لقد صمم على طلاقي أنا الزوجة الشابة الجميلة ابنة الأسرة الكريمة التي صنع الكثير ليقنعها بزواجه وطلقني بالفعل ثم تزوج من الأخرى التي لا أريد أن أقول كلمة سوء عنها حتى لا يحاسبني الله بها رغم أنها تكبرني بـ 15 سنة ولم يأبه لاستنكار كل أفراد أسرته لهذا الزواج ومقاطعتهم له وعدت إلى بيت أسرتي مرة ثانية مهزومة وحزينة مطلقة في الرابعة والعشرين. وذات تجربة حافلة مع الحياة ومع البشر.

تزوجت الصغير فغدر به الزمـان وتزوجت الناضج الكبير فعصف بسعادتي ضعف البشر.. وأريد أن أسألك لماذا تزوجني وهو يحب الأخرى ولماذا لم يتزوجها قبلي ويعفيني من هذه التجربة المريرة. ولماذا يقبل البعض ومنهم كاتبة رسالة الجنية الذهبي أن يقيمـوا سعادتهم على أنقاض سعادة الآخرين بغير اعتبار لما يفعلونه بهم وبلا أي ذنب لهم؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

تعامل الزوجة مع ضعف زوجها البشري يتطلب يا سيدتي قدرا كبيرا من الحكمة والحذر.. يبدو بكل أسف أن صغر سنك وبراءة مشاعرك لم يتيحا لك التعامل بها مع قصة زوجك المخجلة. فبعض الأزواج المتورطين في علاقات مشينة حين تنفجر العاصفة وتقع المواجهات الصاخبة فتهتك الأسرار وتجعل منها مادة علنية للحديث والمناقشة، لا يجدون سبيلا أمامهم إلى إصلاح الأخطاء إلا بإضفاء المشروعية على العلاقة المشينة وتحويلها إلى زواج بدلا من الرجوع عنها وقطعها.. ومنطقهم في ذلك أنه ما دام كل شيء قد عُرف وأصبح أمرا ذائعا فلقد وقع ما كانوا يخشون منه ويتجنبونه بكل الطرق ولا مفر إذن من علاج الخطأ بالزواج إما تورطا وإضفاء لطابع الاحترام على العلاقة السابقة، وإما ميلا مع الهوى القديم الذي أزاحت عنه المواجهة الصاخبة عبء التكتم والتستر وإعانته على التعبير عن نفسه، فضلا عما يلقيه فضح الأسرار من مسؤولية أدبية جديدة على الرجل تطالبه بحفظ كرامة الأخرى في مجتمعها والتكفير عما عرضها له بالزواج، لهذا فإننا نطالب دائما الزوجات بأن يحافظن على شعرة معاوية بينهن وبين الأزواج المستهترين وأن يلتزمن بقدر الامكان بتجنب إثارة الفضائح حولهم لكيلا يدفعهم ذلك إلى تحدي الجميع والمضي في طريقهم إلى النهاية مع تمسكهن بالرفض النفسي الدائم لسلوكهم، والالتزام بسياسة النفس الطويل معهم لاستعادتهم وإعانتهم على الرجوع عن الخطأ ولو بالتظاهر بتصديقهم أحيانا إلى أن يعودوا لرشدهم وللطريق القويم.

ويبدو أن كل ذلك لم يتحقق في قصتك يا سيدتي لهذا فلقد جاء الانفجار السريع وجاء التحدي الصارخ من جانبه بتحويل القصة السرية إلى زواج علني يرفضه الأهل والأصدقاء لكنك على أية حال ضحية جديدة لسوء الحظ الذي عرضك لهاتين التجربتين الأليمتين ولم يتعد عمرك بعد الرابعة والعشرين، كما أنك بكل تأكيد ضحية أخرى تضاف إلى قائمة ضحايا المأزق الإنساني الذي ينتج عنه كثير من المأسي الشخصية وهو مأزق تعارض وسائل سعادة البشر حين يرتضى البعض لنفسه أن يختار سعادته بغير اعتبار لما يترتب على اختياره ذاك من شقاء الآخرين، وإن كان كثيرون يرفضون هذا السبيل ويترددون كثيرا في اختيار سعادتهم الشخصية على حساب سعادة الأخرين ولو شقوا بذلك ولا يؤمنون بمنطق صديقة الكاتب الفرنسي العظيم فيكتور هوجو التي لامها البعض على

علاقتها به على حساب تعاسة زوجها فقالت: «لو كان للإنسان أن يشتري سعادته بحياته لأنفقت حياتي منذ زمن طويل ولما توقفت عند أي اعتبار آخر!» ويرون دائما أن السعادة المثلى هي التي يخلو الإنسان معها دائما من وخز الضمير ويتحصن فيها بعدم إيلام الآخرين، ويحاول دائما ألا تتعارض وسائل سعادته الخاصة مع وسائل الآخرين المشروعة.

أما لماذا لم يتزوجها زوجك قبلك ويعفيك من هذا الإيلام بعدما تعرضت له من محنة سابقة؟ فلأنه يا سيدتي رغم ارتباطه العاطفي القديم بها لم يكن مقتنعا بها ولا قادراً على مواجهة أبنائه ومجتمعه بالزواج منها لكن هتك الأسرار والمواجهة الصاخبة قد ورطاه في الزواج منها أو سهلا له على الأقل إعلان ما كان يتهيب أن يعرفه الآخرين.

والله عليم بها في الصدور.. أما أنت يا سيدتي فليس أمامك إلا أن تطوي أيضا هذه الصفحة المحزنة من حياتك.. وتستعيني بالأيام والصبر والصلاة على مداواة هذا الجرح الجديد.. ولسوف يعينك شبابك على سرعة شفائه لأن جراح الشباب سريعة الإلتئام ولأن الحياة رغم آلامها السابقة ما زالت عريضة وممتدة أمامك ولابد أن تعوضك الحياة ذات يوم عا لقيت من تصاريف القدر.. وغدر الإنسان..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

المقارنة!

أكتب إليك يا سيدي لأعلق على رسالة «الجنيه الذهبي» التي كتبتها الفتاة الصغيرة التي تزوجت مديرها الزوج والأب لطفلين بحجة أن زوجته لا تحبه فعكرت بذلك صفو حياة أسرة آمنة. وهددت أمان طفلين بريئين وزوجة كانت قبل ظهور هذه الغازية سعيدة مهما ادعت كاتبة الرسالة غير ذلك فأنا واحدة من كثيرات يعشن ظروف تلك الزوجة الأولى الآن وانتظر مصيري الذي سيحدده لي القدر بعد أن أخبرني زوجي الذي تزوجته بعد قصة حب عميقة والذي عشت معه في سعادة يحسدنا عليها الآخرون أنه متزوج عرفيا من فتاة تعمل لديه وينوي إعلان زواجه رسمياً لأنه أخطأ ويريد تصحيح خطئه. ويصر على ذلك رغم محاولاتي العديدة معه. إنه رجل محترم ومركزه كبير وعلى درجة عالية من الثقافة والاطلاع ولا أدري كيف حدث منه هذا.. ولا أين كانت أسرته الصغيرة من تفكيره حين فعل ذلك لكن هكذا شاءت الأقدار أو شاء الإنسان بمعنى أصح لقد كنت مصممة على الطلاق ثم تراجعت عنه حفاظا على مستقبل أولادي وحتى لايلومني أحدهم في المستقبل على أني لم أصبر ولم أكافح لاستعادة أبيهم. لكني مصرة على الانفصال وعلى أن يكون لكل منا طريقه الذي اختاره لنفسه بعد ان جرى ما جرى.. إنني أنا وهو وابني وابنتي في حال لايعلم بها إلا الله وبكاؤنا نحن الأربعة لا ينقطع ومع ذلك فهو ماض في إتمام الموضوع بالرغم من علمه بما سيترتب عليه من نتائج ويقول أنه سيتحملها لكي يرضي ربه فقط وليس حبا فيها، والمطلوب منى أنا أن أتحمل وان أكون قوية وأقف إلى جواره في ذلك لأنه يحبني ولم يحب أحدا سواي ولا يستطيع ان يفرط في بسهولة فكيف بالله عليك أتحمل ذلك؟

لقد نكأت رسالة «الجنيه الذهبي» جرحى الحي وتميزت غيظا وأنا أقرأ الأسباب التي حاولت كاتبة الرسالة لأن تبرر بها عدوانها على أسرة آمنة واستلاب الزوج والأب منها بحجة أن زوجته أم أولاده كما قالت «لم تكن تحبه» وأن «الجميع» كانوا يعرفون ذلك! وإن أمر القلب والعاطفة ليس بيدها ولابيده الخ هذا الكلام الخائب الذي تبرر به كل خاطفة خطفها لزوج غيرها وأريد ان أقول لها ماذا تنتظرين من رجل يجد في ناحية من تدلله وتفرش له الأرض بالورود ثم يعود إلى بيته فيجد بعض المشاكل التي لايخلو منها بيت ولا حياة زوجية حتى ولو كانت كثيرة.. ألا تنتظر منه بل ألا تسعى هي بوعي وتدبير من وراء ذلك إلى أن يعقد مقارنة بين من تحاول استمالته بكل الطرق حتى تصل لاغراضها الدنيئة وبين أخرى لاحول لها ولا قوة مشغولة بالبيت والأبناء وهموم الحياة لكنها رغم كل ذلك تحبه وتهيئ له الجو المناسب، إنها مقارنة ظالمة تدبر لها كل خاطفة وتسعد بها ويبررون بها فعلتهن الشنعاء في تدمير أسرة وهدم سعادتها فحسبي الله ونعم الوكيل في كل إنسانة تهفو نفسها إلى زوج غيرها وإلى أب لأطفال أبرياء لا دخل لهم في نزوات عاطفية سرعان ما تنتهي إن آجلا أو عاجلا.. وهذا هو الفارق دائما بين النزوة العارضة وبين حياة الأسرة والاحترام الذي تمثله، وأقول للرجال

لاتظلموا زوجاتكم بهذه المقارنة الظالمة ولا تظلموا أبناءكم ولا تتركوا أنفسكم فريسة لنزوات لا تثمر في النهاية إلا الدمار ثم تأتي ساعة الندم حين لاينفع الندم والسلام عليك وعلى كل من رعت حرمات البيوت وابتعدت عنها وليس على سواهن!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

في أوقات المحن تتبدي حكمة الإنسان وصلابته وقدرته على قيادة سفينة حياته بحرص وحذر وسط الصخور. وأنت يا سيدتي محقة في كل ماتقولين، واختيارك لعدم الانسحاب رعاية لمستقبل الأبناء اختيار نبيل تضعين به سعادتهم فوق كل اعتبار. وهو اختيار حكيم وبعيد النظر أيضا لأن العواصف لا تدوم مهما زمجرت.. والضعف البشري نزوة لا تستمر وإن طالت، وزوجك وإن كان قد أخطأ في حقك وحق أسرته وحق نفسه ـ فتصحيح الأخطاء متاح في كل وقت وخير الخطائين التوابون.. وهو يستطيع أن يصحح خطأه ويسترضي ربه ثم يرجع عنه ويعيد الأمور إلى نصابها الصحيح ويكون ما يتحمله من تضحيات في سبيل ذلك تعويضا للأخرى عن هذا التصحيح وإبراء لذمته مما يتحمله من مسؤولية مماثلة لمسؤوليتها عن هذا الخطأ وارتفاعك فوق الألم الشخصي لكي تعينيه على ذلك رصيد جديد يضاف إلى رصيدك القديم لديه وتثقل به موازينك عنده أكثر فأكثر.

فأنت رغم أية مقارنة وهمية الأصل.. الأم.. والزوجة التي يستطيع أن يواجه بها الآخرين باعتزاز والأسرة الطبيعية.. والشكل الاجتماعي السليم الذي يواجه به الحياة بلا استخفاء وبلا حاجة للاعتذار عنه بأية أعذار.

وتفهمك لملابسات تلك المقارنة الظالمة التي تدفع إليها غازيات الحصون الآمنة بعض الأزواج.. يعكس عقلا راجحا وتفكيرا ناضجا.. لكن كيف يستقيم هذا التفهم الواعي مع قرارك الانفعالي بالانفصال داخليا عنه وأنتما في ذورة هذه المحنة؟ ألست بذلك تساعدين الأخرى على أن تضيف لوهم المقارنة الظالمة إغراء جديداً!؟ يا سيدتي لقد اخترت إنقاذ زوجك والوقوف معه إلى أن يجتاز هذه المحنة ويعود إلى الطريق الصحيح لكن انفصالك داخليا عنه في هذه الفترة لايخدم هدف إعانته على ذلك، وشفاء من يتعرض لوعكة عابرة يتحقق أسرع إذا كانت اليد التي تسقيه الدواء حانية وغافرة ومتصبرة وليست زاجرة أو مجافية، فالنفس البشرية تميل رغما عنها لمن يحنو عليها حتى ولو تشككت في دوافعه وتجفل ممن يقسو عليها خاصة في أوقات المحن حتى ولو تفهمت إخلاص النوايا في بعض الأحيان.

فأعينيه على أمره بالاقتراب منه لا بالبعد عنه، ثم بعد اجتياز العاصفة يكون العتاب وتكون إعادة ترتيب الأوراق.. بما يكفل لك أمنك وحماية أسرتك واستعادة سعادتك ان شاء الله ..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

المظهر الفخيم!

منذ سنوات كنت طالبة بكلية الزراعة... فتعرفت على شاب من رجال الأعمال كان يتردد على الكلية لاستشارة بعض أساتذتها في شئون مزرعته للدواجن أو لشراء بعض المواد اللازمة لها من مزرعة الكلية فأعجب بي وراح يتردد على الكلية بكثرة، كما أعجبت به وبمظهره الفخيم ومخايل العظمة التي تبدو عليه كأنه مسؤول كبير أو وزير خطير... وتقدم لأبي طالبا منه يدي، فوافقت عليه رغم تحذير أبي لي من أنه لايحمل أية شهادة ومن أنه لايرتاح للغة المال التي يتحدث بها والتي يؤكد بها دائما قدرته على الحصول على أي شيء وتنفيذ أي رغبة عن طريق المال لكني لم أتراجع عن قبوله بل وسعدت بخطبته لي وبالفخامة والثراء اللذين يحيطان به. وبدأنا الاعداد للزواج فازداد ذهولي لما أراه من إنفاق للمال بسهولة لم أكن اتخيل وجودها في الحياة وأقيم حفل الزفاف في أكبر فنادق القاهرة وشهدته شخصيات لم نكن نحلم بأن نراها عن قرب أو نصافحها، وغادرنا الحفل إلى الفيللا الصغيرة الجميلة التي يعيش فيها فتركني وحيدة بملابس الزفاف وانتقل إلى جناح بعيد ليستقبل بعض أصدقائه!... ودهشت لذلك فتلصصت عليه لاعرف ماذا يبعد زوجا عن عروسه في ليلة الزفاف، فإذا بي اكتشف أنه من أصحاب المزاج وأنه يجلس مع 3 أشخاص ويتعاطون المخدرات ويحتسون الخمر وظل هذا الوضع العجيب حتى الصباح فتأزمت نفسيا منه، وأصابتني عقدة الخوف من اقترابه مني واستمرت معي بعد ذلك حتى بدأ يضربني كلما أراد ان ينالني وتكشف المظهر الفخيم عن شخص فظ غليظ سوقي الألفاظ والتصرفات ويؤمن بأنه اشتراني بماله فهجرت البيت واحتميت بأبي وطلبت منه ان يطلقني منه لكني اكتشفت للأسف اني قد صرت حاملا وبكيت من القهر حين عرفت هذه الحقيقة المرة وضغطت على أسرتي لكى اتنازل عن طلب الطلاق رفقا بهذا الجنين الذي لم يولد بعد وأراد زوجي إرضائي فقبل أن أبقى في بيت أسرتي حتى الولادة وبقيت بالفعل بضعة شهور أغدق خلالها على وعلى الأسرة كلها بالهدايا ثم وضعت طفلتي فأقام حفلا كبيرا ابتهاجا بالمناسبة ووزع الهدايا على كل سكان الشارع الذي تقيم فيه أسرتي حتى لهج الجميع بشكره والثناء على كرمه وأريحيته وتعجبوا من رفضي العودة إليه ولم أعرف كيف اجيبهم لكني لم أجد مبررا لاستمرار بقائي فعدت حاملة طفلتي وكلي أمل في ان تتغير الأحوال، فلم تمض أيام حتى عاد زوجي إلى سيرته الأولى مع المخدرات والخمر وأصدقاء السوء، وزاد على ذلك أن حبسني في البيت فلا خروج ولا زيارات ولا شيء سوى الفظاظة والطبع الحاد السوقي والضرب والإهانة وسب أسرتي «أسرة الشحاتين» على حد قوله - سامحه الله - ولم أجد ما أفعله سوى الصبر وانتظار عدالة السماء... ثم مات أبي رحمه الله فعدت إلى بيت أسرتي للعزاء ورفضت بإصرار العودة لبيت زوجي واقمت دعوى لطلب الطلاق لاستحالة العشرة بيننا وخسرتها للأسف وزاد من أسفي وهمي أن عرفت أني حامل للمرة الثانية ثم جاء زوجي يبكي لأمى ويقسم لها بكل يمين أنه قد تغير وأنه لن يعود إلى سيرته الأولى ويطلب عودتي فعدت إلى البيت وأنجبت طفلتي الثانية وبعد قليل رحلت أمي عن الحياة فاستسلمت

لليأس وقررت ألا أهجر بيتي مرة أخرى وأن أعيش حياتي خادمة للطفلتين وأترك أمر زوجي لخالقه ليحكم فيه بعدله ورزقت بالمولود الثالث وكان طفلا جميلا فاستبشرت بأن يكون مولده بداية لانصلاح أحوال زوجي وبعده عما يغضب ربه. لكنه لم ينصلح بل تعقدت الحياة أكثر وأكثر... فلقد صدمت بعد مولد طفلي بشهور بحقيقة مفزعة هي أن زوجي ليس فقط شابا مستهترا يتعاطى المخدرات والخمور ويسيء عشرتي... وإنما هو أيضا تاجر لهذه السموم وأن مانعيش فيه من ثراء ومظهر فخيم كله من مال حرام وليس من عمله أو أعماله في مزرعة الدواجن كما كنت أتصور بغفلتي. فتولاني رعب شديد وأصبحت أعيش في خوف دائم فاذا دق جرس الباب تصورت أن الشرطة سوف تقتحم المكان وتفزع أطفالي وإذا سمعت صوت سيارة تتوقف أمام البيت تجمد الدم في عروقي وعشت لحظات رهيبة قبل أن يعود إليّ الاطمئنان.

ولم أستطع تحمل هذه المعاناة الجديدة فاصطحبت اطفالي ولجأت إلى شقيقي وصرحت له بكل شيء وجاء زوجي يبحث عني فواجهه شقيقي بكل صراحة وطالبه بإيجاد شقة منفصلة لي بجوار مسكن الأسرة لأعيش فيها مع أطفالي وأرعاهم بعيدا عن الحياة الموبوءة والمحفوفة بالخطر التي يعيشها، وطالبه بطلاقي فرفض بإصرار... فقبل أخى ان استمر زوجة له وأن يكون من حقه ان يرى أولاده كيفما شاء ولكن بشرط ألا يبيت في شقتي وألا تقوم أية علاقة زوجية بيني وبينه بناء على رغبتي وألا يزوره خلال زيارته لأولاده أحد من عالمه الأسود أو من أصدقاء السوء ليكون مسكني بعيدا تماما عن حياته المحرمة ورضخ زوجي لكل الشروط وقام بإيجاد شقة صغيرة قريبة من مسكن أسرتي واستقللت بحياتي عنه وعشت مع أطفالي أخدمهم وأقوم بكل شئون شقتى وأسرتي الصغيرة وأحسست بالراحة والأمان لأول مرة منذ تزوجته ومنذ عرفت الحياة في الفيلا الفخيمة ذات الخدم والحشم وبدأ زوجي يزور الشقة من حين إلى آخر ليرى أطفالنا فأقابله بتحفظ وأؤدي له واجب الضيافة كأي ضيف غريب وهو يكظم غيظه وينتظر الفرصة المناسبة لكي يفرض عليّ سطوته كما كان من قبل لكن عدالة الله كانت أسبق من تدبيره فلقد انكشف أمره وسقط زوجي في يد الشرطة مع أفراد شبكة كبيرة لتجارة المخدرات وحكم عليه بالسجن 15 عاما وطلقت منه بحكم القانون وعشت لأولادي وعملت موظفة بأجر بسيط ويساعدنى شقيقي ماليا على مواجهة أعباء الحياة وبعد خمس سنوات من الوحدة ساق لي القدر رجلا في الخمسين من عمره توفيت زوجته وله ابنتان وهو جار لنا ومشهود له بالتقوى والصلاح ويعمل مديرا بإحدى شركات القطاع العام فطلب الزواج مني ورفضت أسرتي كلها لكني قبلت الزواج منه وتم الزواج وعرفت معه الحب والتفاهم والإخلاص والحياة الفاضلة الآمنة المطمئنة لأول مرة وأدينا معا الحج والعمرة في العام الماضي وأعيش الآن معه سعيدة راضية بحياتي لكني أواجه مشكلة صعبة ياسيدي هي اطفالي! فلقد ضمتهم أم مطلقي إليها بمجرد زواجي وترفض أسرة مطلقي بإصرار السماح لي برؤيتهم ويهددونني اذا حاولت ضمهم أو رؤيتهم بإيذاء إبنتي زوجي وإثارة المتاعب له في عمله وحياته وهم قادرون على ذلك بالرغم من أنهم يعتبرون من تجار المخدرات حيث أن لهم

معارف في كل جهة ولهم نفوذ وسلطان! وقد قابلت أم مطلقي وتوسلت إليها أن تسمح لى بتربية الأطفال إلى أن يبلغوا السن القانونية ثم تضمهم إليها أو تأذن لي برؤيتهم من حين لآخر وقبلت قدمها باكية ليرق قلبها... فلم يرق ياسيدي وتمسكت بألا تسمح لي بذلك إلا إذا طلقت من زوجي وبشرط ان أقيم مع أسرة أبيهم حتى تنتهي فترة سجنه بعد تسع سنوات.

وأنا الآن ياسيدي لا أنام ووجوه أولادي الثلاثة لاتفارق مخيلتي.. ولا أريد أن أتسبب في اثارة أية متاعب للرجل الوحيد الذي شعرت معه أنني أنثى وسيدة محترمة وعرفت معه الحياة الطبيعية الفاضلة من متعة مشروعة لايعقبها أي إحساس بالذنب ومن صلاة وصيام وتقوى وصلاح وإحساس بالسكينة والأمان لكني من ناحية أخرى لا أقوى على احتمال بعد أطفالي عني إلى الأبد... فهل استجيب لما تريد جدتهم أن تكرهني عليه وأطلب الطلاق من زوجي الطيب الفاضل وأعود لخدمة أطفالي وأنهي حياتى خادمة لهم مع العلم بأني مازلت في الخامسة والثلاثين من عمري؟ أم ماذا افعل؟ لقد فاتحت زوجي بكل مايثقل على صدري فكان كعهده دائما رجلا متزنا وعادلا فلم يغضب بل قدر معاناتي واغتم لغمي وأشفق علي ونصحني بأن أفكر طويلا قبل ان أتخذ أي قرار وبأن استشير في أمري واستعين برأي غيري فيه لأنه صعب وقد اتفقنا بعد تفكير طويل على أن نستشيرك في ذلك وأن نؤكد لك أنه على هدى نصيحتك سوف نتوكل على الله الحي الذي لايموت ونتخذ قرارنا في هذه المشكلة فأرجو أن تعيننا على الاختيار وأدعو الله أن يهديك إلى الرشاد في أمرنا كما أدعوه أن تكون رحيما بي والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

أقسى اختيار يواجهه الإنسان هو أن يختار بين أمرين كلاهما حق وعدل وله أسبابه المنطقية المشروعة وهذا للأسف هو ماتواجهينه الآن فأنت ياسيدتي إذا اخترت أطفالك وضحيت بزوجك وسعادتك وأمانك فانما تختارين عدلا ورحمة، وأنت من ناحية أخرى إذا اخترت حقك المشروع كإنسانة في السعادة والحياة مع زوج تجدين معه كل ماحرمت منه في تجربتك الأولى المريرة لم تتعد الحق والشرع. ولا لوم عليك في كلا الاختيارين وإنما اللوم كل اللوم على من جعلوا من كل منهما بديلا للآخر وماكان أسهل عليهم لو التزموا الحق والعدل أن يسلموا لك بحقك المشروع في الزواج وبحقك العادل في رؤية أطفالك ورعايتهم حتى وهم في كفالة أسرة زوجك أن عز عليهم أن يسلموا لك بحضانتهم حتى يبلغوا السن القانونية.

وحين يواجه الإنسان مثل هذا الاختيار المرير فإن أفضل مايفعله هو أن يستعين بعقله وعقول الآخرين معه على أمره ولقد قيل ذات يوم لعمرو بن العاص: ما العقل؟ فأجاب: الإصابة بالظن ومعرفة ماسيكون بما قد كان! فإذا كان ذلك صحيحا

فدعينا نحاول استشراف ماسوف يكون اهتداء بما قد كان من سيرة زوجك وتجربتك معه.

إنك ياسيدتي إن ضحيت بزواجك وعدت للإقامة مع أسرة زوجك السابق فقد يستقر جانبك بقربك من أطفالك ولكن إلى متى؟ وبأي ثمن؟ إن وجودك في محيط الأسرة سوف يجعلك هدفا لضغط نفسي واجتماعي من جانبها للعودة إليه مرة أخرى فهل أنت على استعداد لذلك! وهل تنبئ تجربته الماضية معك ومع الحياة بأمل كبير في انصلاح أحواله في المستقبل وحتى إذا استطعت الصمود لمحاولات العودة وعشت لأطفالك فقط كما كان حالك قبل الطلاق فهل أنت قادرة على مواجهة الحياة وحيدة طوال العمر.. أنك وحدك من تقرر هل تستطيعين الاستغناء عن الزواج إلى النهاية أم لا لكن الزواج من ناحية أخرى يصبح فريضة وواجبا على من يستطيعه ويرغبه بشدة ويخشى على نفسه من الزلل إن حرم منه لأن إعفاف النفس بالزواج أمر مشروع ومطلوب أيضا وأغلب ظني أن تجربتك الفاشلة الأولى قد ضاعفت من حاجتك للزواج الصحيح الذي يطمئن به القلب وتسكن فيه النفس إلى من يشاركها رحلة الحياة.

ورغم شدة تحفظي على استسهال ترجيح السعادة الشخصية على مصلحة الأبناء فاني أتنازل عن هذا التحفظ في حالات استثنائية قليلة كألا تكون الزوجة هي التي سعت إلى تدمير حياتها العائلية جريا وراء سعادتها بغير وضع مصلحة الأبناء في الاعتبار، وكأن تكون قد اضطرت إلى الانفصال عن زوجها في ظروف خاصة كظروف زوجك ففي مثل هذه الحالات الخاصة لايستطيع المرء أن يطالب أما بأن تضحي بنفسها إلى الأبد مالم تكن راغبة في ذلك عن اختيار تلقائي لايطرح نفسه للمناقشة ومن حقك إذن أن تختاري ألا تعيشي هدفا لمحاولات زوجك السابق لاستئناف الحياة الزوجية معه وأنت لاترغبين في ذلك وليس في ماضيه وحاضره مايرشحه لآمال كبيرة في انصلاح أحواله ومن حقك أن تحاولي التوفيق بين حاجتك الإنسانية إلى أطفالك وحاجتك الإنسانية ايضا إلى زوجك الذي لم تعرفي الأمان والسلام إلا معه كما إنه من حقك بكل تأكيد أن تتعلقي دائما بالأمل في أن تلين القلوب المتحجرة الآن أو غدا أو بعد غد فتسمح لك برؤية أطفالك وباستمرار العلاقة الإنسانية المشروعة بينك وبينهم سواء أكنت زوجة لغير أبيهم أم لا... فأنت أمهم في كل الأحوال وهؤلاء الأطفال الصغار سوف يشبون عن الطوق ان آجلا أو عاجلا وسوف يسعون إليك كما تسعين إليهم... ولن تنجح مؤثرات الأسرة في منع التواصل الفطرى الإنساني بينك وبينهم ولست أفضل ان تستعيني بالقانون على تمكنيك من رؤية أطفالك حفاظا على مابقى من شعرة العلاقة الإنسانية بينك وبين أسرة زوجك السابق لكنك ان فعلت فلا لوم عليك.

لهذا كله فإني قد أستخير ربي وأنصحك ربما للمرة الأولى بألا تضحي بحياتك المستقرة مع زوجك وأنصحك بألا تكفي عن محاولاتك السلمية لرؤية أطفالك وبأن تكتبي إلى زوجك السابق لتستعيني به على أسرته لتسمح لك بذلك فلعل كروب الحياة وراء القضبان قد علمته ألا يظلم غيره عسى أن يفرج الله كربه ولاشك أن أسرته إنما تنفذ أوامره بحرمانك من أطفالك فإذا خاطبت قلبه كأب فمن يدري

فلربما لان وكفر عما ارتكب في حقك وفى حق الحياة بألا يزيد من آثامه بهذا الظلم البيّن لك ولأطفاله معا فهو لايحرمك منهم فقط وإنما يحرمهم أيضا منك وحاجتهم إليك تزيد على حاجتك إليهم فلماذا يعاقب أبناءه بما فعل هو بحياته... ولماذا لايتقرب إلى ربه بالتخلي عن هذه القسوة اللا إنسانية؟

قد لايكون الأمل كبيرا في استجابته لنداء الرحمة والحق والدين وقد يكون الأمل واهيا لكنه قائم دائما وسيظل قائما للأبد ذلك ان كل إنسان مهما كان طريقه في الحياة لايخلو من جوانب إنسانية وجوانب رحمة كامنة في أعماق النفوس فإذا عرفنا كيف نمس أوتارها فقد يفاجئنا بأكثر مما كنا نحلم به من فهم وعدل وشهامة. وماضاع حق مشروع وراءه مطالب يتمسك بالأمل في عدالة السماء... ورحمة البشر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

خيوط الألـم

أكتب إليك بمشكلتي وأدعو الله أن يوفقك إلى رد يعينني على اتخاذ قرار يرضي ربي وضميري. وأبدأ فأقول لك إنني طبيب في أواخر الثلاثينيات من عمري وقد بدأت قصتي حين فقدت أمي عقب ولادة أخي الوحيد بعدة شهور وعمري آنذاك 3 سنوات فتولى أبي صاحب الوظيفة الهامة تربيتنا وتفرغ لنا ورفض الزواج من أجلنا وأدى رسالته نحونا بأفضل ما يستطيع أب أن يفعل بعد أن وجد نفسه مسؤولاً عن ولدين يتيمين فكان يقوم لنا بكل ما نطلب بنفسه حتى لقد كان، يصنع لنا كعك العيد بيديه ويذهب به معنا إلى الفرن، كما تفعل أمهات أصدقائنا معهم حتى لانحس بأي نقص عن غيرنا فنشأنا والحمد لله متوازنين نفسيا نحب الناس وشديدي الارتباط ببعضنا البعض ومتفوقين في دراستنا. وأبي يرقبنا سعيداً بأن غرس في نفسينا التراحم والتعاطف وحب الآخرين.. وواصلنا دراستنا بلا مشاكل حتى بلغت السنة الثالثة بكلية الطب والتحق أخي الوحيد بالسنة الأولى بكلية الهندسة.. ثم فجأة رحل عنا والدنا الطيب العطوف ووجدنا أنا وشقيقي الوحيد نفسينا ونحن في أوائل سن الشباب وحيدين تماما بلا أب ولا أم ورغم الصدمة الشديدة فقد حاول كل منا أن يتماسك من أجل الآخر، وحاولنا الصمود للمحنة وكان أبي قد خلّفنا وراءه مستورين إلى حد ما، نعيش في شقة جميلة ونركب سيارته ونواجه الحياة بمعاشه ولكن بلا أي مورد آخر، فكان شقيقي الأصغر يقتصد من نصيبه في المعاش ويقتر على نفسه ليعطيني ما اشترى به كتب الطب المرتفعة الثمن، وفي تلك الفترة كنت قد ارتبطت عاطفياً بزميلة لي في نفس الكلية وكعادتي مع شقيقي صارحته بكل شيء فبارك حبي لزميلتي من البداية وشجعني عليه ثم تخرجت قبله بشهور فصمم على أن أتزوج فتاتي في شقتنا تلك بمجرد أن ينتهي من دراسته التي لم يبق على نهايتها سوى بضعة شهور ويسافر إلى أخوالي الذين يعملون في بلد عربي منذ سنوات ويعمل ويبني حياته ويشترى لنفسه شقة أخرى! ويترك لي شقتنا الجميلة نهائيا! ولم يكتف بذلك بل قدم لي أيضا نصيبه من مصاغ أمنا لكي أبيعه وأشتري بثمنه الشبكة لخطيبتي.. ولم أستغرب منه كل ذلك فلقد كنت أبادله عاطفته الأخوية العميقة بمثلها..

ولا يهنأ لي بال إذا اصيب بنزلة برد وأسعد بتحضير الطعام له وإعداد ملابسه كما لو كان ابني الصغير وليس شقيقي. وأبلغت فتاتي بما استقر عليه الرأي بيني وبينه وسعدت به.. واطمأن قلبانا إلى المستقبل واقترب موعد امتحان بكالوريوس الهندسة لشقيقي حتى لم يعد باقيا عليه سوى خمسة شهور وضاعف شقيقي من جهده في المذاكرة ورسم اللوحات وإعداد المشروع ليحقق حلم أبي رحمة الله عليه بأن يتخرج كل منا من كليته فبدأ يشعر بضعف مفاجئ في إبصاره فسرته بأنه بسبب الإسراف في التركيز في رسم اللوحات الهندسية الدقيقة لكني لاحظت عليه بعد ذلك إنه لا يذهب إلى كليته وأنه يتخبط في الأثاث عندما يتحرك من مكان إلى مكان وقد حدث كل ذلك في أيام فأحسست بخوف غامض يعتضرني واصطحبته إلى أساتذتي في الكلية ثم إلى كل اساتذة الرمد في مصر فصدمت

صدمة شديدة بأنهم اجمعوا على أنه يفقد بصره تدريجيا وأنه سيفقده نهائيا خلال أسابيع وسيعيش ما بقى له من عمر أسيراً للظلام. ولا أستطيع مهما أردت أن أصف لك ما حدث لنا حين خبا الضوء الأخير من عينيه ودخل شقيقي عالم الظلام الأبدي بكل أسف، فقد لازم الفراش وامتنع نهائيا عن الكلام وتناول الطعام وتغيير ملابسه وأنا بجانبه أجلس بجوار سريره لا أفارقه ودموعي تنهمر بلا توقف والطعام في يدي أحاول ان اضعه في فمه بالصبر والرجاء والاستعطاف.. وهو لا يستجيب ولا يتكلم ولا يرد وأحزان الدنيا كلها تجمعت في داخلي أستعيد كل مشاهد الشقاء في حياتنا، أمي التي حرمت منها طفلا في الثالثة وأبي الطيب الذي رحل عن الدنيا قبل أن يرانا كما أراد ووحدتنا في مواجهة الحياة وتشابك خيوط حياة كل منا مع حياة الآخر.. وتخطيطه لمستقبله بعد التخرج الذي لم يتم.. وتذكرت صورته وهو يقدم لي مصاغ أمه لأبيعه وتضحيته بنفسه لإسعادي واسعاد أي إنسان يستطيع مساعدته وثقلت عليّ الأحزان فهتفت دون أن أدري أكثر من مرة من بين دموعي: رحمتك بعبادك يارب.. رحمتك بعبادك يارب.. ومن احق بها من شقيقي هذا ومني وجئت إليه بالأطباء فشخصوا حالته بأنها حالة اكتئاب نفسي شديدة ونصحوني بأن أتشجع أنا أيضا لأني أسير إلى الاكتئاب بخطى سريعة.. وتجلت رحمة ربي بنا بأن رزقنا اشخاصا من الأقارب والجيران والأصدقاء علموا بمحنتنا فوقفوا إلى جوارنا ولازمونا ساعة بساعة يلبون أي طلب نحتاج إليه ويقومون بأعمال البيت ويتسابقون للقيام بأي شيء نطلبه. وبفضل الله وبفضل هؤلاء الأشخاص الفضلاء بدأت أخرج من عزلتي واكتئابي بعد أن أقنعوني بأن حالة شقيقي ستزداد سوءا إذا استمر استسلامي للحزن، فتشجعت قليلا وبدأت أحدث شقيقي بالدين مرة وبالمنطق مرة أخرى وأحدثه عن أجر الصابرين عند ربهم وذهبت إلى أحد مراكز رعاية المكفوفين وتعلمت من أساتذته كيف أجعل الحياة بالنسبة لشقيقي أكثر سهولة وواظبت في الإلحاح على شقيقى بأن يستسلم لإرادة ربه وأن يستعيد إقباله على الحياة وبدأ شقيقي يستجيب لإلحاحي فبدأ يخرج من سجن سريره الذي لايغادره ويتجول في الشقة قليلا ثم بدأ يستقبل بعض أصدقائه واحضرت له مدرساً ليعلمه الكتابة بطريقة برايل.

وفي غمار كل ذلك انتبهت إلى ان خطيبتي لم تكن إلى جانبي للدرجة التي كنت أتمناها منها في تلك المحنة ولم أتوقف عند ذلك طويلا لأني التمس للناس دائما الأعذار ولا أكلف أحدا فوق طاقته لكني رأيت من واجبي ان أبلغها بالتطورات التي طرأت على خطتنا للمستقبل وهى ان شقيقي سوف يقيم معي في أي حياة تكون لي ولن اتخلى عنه تحت أية ظروف إلى ان يقضي الله أمرا كان مفعولا وأمهلتها وقتا للتفكير قبل إبداء رأيها.. وجاءني الرد بعد قليل بأنها تحبني وتحترمني من أجل ذلك وتقبل الزواج مني مع هذه الظروف. وتزوجنا ياسيدي في نفس شقتنا الجميلة ومعنا شقيقي ورفيق دربي وكان قد غير مسار حياته بعد المحنة فترك دراسة الهندسة التي كاد يحصل على شهادتها وحول أوراقه إلى كلية الآداب ومرت شهور الزواج الأولى سعيدة وهادئة وأنجبت زوجتي طفلة، فلم أعرف ماذا صنعت بها الولادة والإنجاب إذ كأنهما كانا خطا فاصلا بين مرحلتين في نظرتها إلى شقيقي فقد تغيرت تجاهه وبدأت تسيء معاملته وتسخر منه وتنهره إذا

اصطدم بشيء وهو لايرد ولا يشكو وإن كنت أرى الألم الصامت في ملامح وجهه، ثم بدأت تشكو لي من أنها لاتستطيع ان تنفرد بزوجها في حياة خاصة كما تفعل كل زوجة مع أنه شديد الحساسية ويلازم حجرته طوال فترة وجوده بالبيت ويتناول طعامه وحده بغير أن يشكو أو يتكلم وبغير أن تفارقه الابتسامة وزاد الأمر سوءا بعد أن أنجبنا طفلنا الثاني وكان هو قد أنهى دراسته والتحق بعمل لا يدر عليه دخلا بقدر مايبقيه خارج البيت أطول فترة ممكنة فرارا من زوجتي أما بعد الظهر فقد كان يذهب معى إلى النادي أو إلى أحد الأصدقاء لأتركه معه ثم أعود لأصحبه في العودة وفي بعض الأحيان كان ينتظرني في السيارة بالساعات بلا ملل ولا شكوى وأنا أؤدي بعض أعمالى أو ارتباطاتي لكيلا يبقى في البيت فتتضايق منه زوجتي ورغم كل ذلك ازدادت معاملتها له سوءا وازدادت تحذيراتها له بأن يلازم حجرته كلما جاء ضيف أو قريب لها وهو يستجيب بلا شكوى بل ويلتمس لها العذر.. وأنا أرى ألمه وعذابه واتمزق وقد جربت معها كل الحيل باللين مرة وبالخصام والشجار مرة أخرى بلا فائدة... ثم بدأت زوجتي تغير النغمة في شكواها من شقيقي قائلة أنه يقاسمنا رزق أبنائنا!

وتألمت حين سمعت ذلك لأنها تعرف جيدا أن الله يرزقني باضعاف رزق زملائي مع أني لا اتميز عليهم بشيء مما يقطع أنه رزق هذا الشقيق الوحيد الكفيف.. وفى إحدى المشاجرات غادرت زوجتي البيت وطالبت بالطلاق ان لم أوفر لها شقة مستقلة أو أتخلص من شقيقى.. وحاول أخي ان يقنعني بأن ينفصل عني بأي شكل من الأشكال لكي تعود زوجتي إليّ وتختفي أسباب النزاع لكني رفضت باصرار.. وبقى الوضع معلقا إلى أن جاء الحل غير المنتظر من عند الله سبحانه وتعالى.. فقد جاءني عقد للعمل بإحدى الدول العربية لمدة 3 سنوات فاتفقت مع زوجتي على أن أسافر مصطحبا أخي معي وتبقى هي مع الأولاد في مصر. حتى أستطيع أن أبيع شقتنا الحالية ونحصل على شقة أوسع من جناحين منفصلين أو على شقتين متقابلتين بحيث يستمر أخي معنا بغير أن تحس بوجوده مع اننا لم نكن نشعر ابدا والله بأنه عبء علينا، وسافرت مع شقيقي وتركت زوجتي وأولادي على ان أعود إليهم في أول أجازة، ولم تمض عدة شهور حتى بدأت زوجتي تشكو من أنها لاتستطيع رعاية الطفلين وحدها وعاد أخي يناصرها ويكرر لي أن من حقها المشروع ان تلحق بي وتعيش معي تحت سقف واحد.. فجاءت وأقامت معنا في شقة أصغر من شقتنا في مصر وبعد أسابيع فقط عادت المشاكل القديمة للظهور، فهي تعتقد أن شقيقي يدفعني للتحامل عليها وهو والله شهيد على ما أقول لم يتكلم عنها مرة بسوء، ودائما يمدحها ويدعو لها الله أن يجزيها خيرا برعايتها له.. ويلتمس لها الأعذار الى الحد الذي يضايقني أنا نفسي أحيانا حين يلح في الحديث معي عن حق كل زوجة في ان يكون لها بيت مستقل ولست أضيق رفضا لذلك وإنما لأنه ماذا نفعل وهو لم يرد لنفسه ما حدث ولا أنا أردته.. وإنما هي أقدار لا حيلة لنا فيها ولماذا لا نتحملها جميعا بلاشكوى!

ومضت الأسابيع على هذا المنوال حتى حدث أن اصطدم شقيقي أثناء تحركه في الشقة بإناء طعام فأرادت زوجتى فيما يبدو ان تمنعه من الاصطدام به فدفعته

بعصبية وقسوة بعيدا عنه ففقد توازنه وسقط أخى على الأرض.. ولم يمنع ذلك الإناء من الوقوع أيضا.. فلم أتمالك نفسي ولم أدر إلا وأنا أصفعها وأخي يتحسس طريقه للنهوض ليقف بيني وبينها ويهدئ كلا منا لكن هيهات فقد صممت زوجتي بعدها على مغادرة البلد الذي أعمل به عائدة مع الطفلين إلى بيت أهلها بمصر.. ولم أتحمل ما حدث فانهيت عقدي بعد أسبوعين من رحيلها وعدت إلى شقتي ولم أتصل بها وأصر شقيقي على ان يتدخل ويحاول الاصلاح بيننا وذهب إليها في بيت أهلها ليصالحها ويدعوها للعوة ولا أعرف ماذا حدث بينهما لكن المؤكد أنها جرحته وأهانته لأنه عاد وجسمه ينتفض من الألم ولم يقل سوى ربنا يهديها.. وبعد قليل أرسلت أمها بمطالبها النهائية والصريحة وهي: إما الطلاق وإما التخلي عن شقيقي!.

هذا هو الخيار الذي تضعني فيه زوجتي وأم أولادي ياسيدي.. بغير أن تعرف أني لا أؤدي تجاه شقيقى مجرد واجب ينبغي عليّ أن أؤديه لكني أيضا أحمل له مشاعر أخوية حميمة ولا أطيق ان يمر يوم لا أرى فيه وجهه الباسم ولا أسمع دعاءه لي بالتوفيق الذي يفتح لى أبواب السعادة.. ثم إني لست مجرد شقيق له بل أنا عيناه اللتان يرى بها الدنيا فأصف له الشارع والناس والتليفزيون وكل شيء بل وأنا الذي أبقيه راغبا في الحياة فاذا تخليت عنه فسوف تتدهور غالبا صحته ويموت بالاكتئاب كما أن ظروف عملي لن تسمح لي بزيارته بانتظام اذا انفصل عنا في حياة بعيدة، ومن ناحية أخرى فلست أستطيع بالطبع أن أدع أولادي ينشأون ويتربون بعيدا عني وأنا أكثر من يعرف أهمية دور الأب في حياة أبنائه.. فبماذا تشير عليّ.. انها تقرأ بابك بانتظام.. فهل توجه لها كلمة تقول لها فيها إن رعاية الكفيف قد تفتح لها أبواب الجنة، وإن أخي شديد الحساسية ومطالبه قليلة ومن السهل احتمال الحياة معه إذا شاءت ذلك.. ثم ماذا اختار إذا اصرت زوجتي سامحها الله على ألا يكون لي مهرب من الاختيار؟.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

بعض الكلمات تلسع فم الإنسان وهو ينطق بها من فرط حدتها وقسوتها ومجافاتها لروح العدل والرحمة! ولا شك إن شفاه زوجتك مازالت محترقة من لسع كلماتها لشقيقك مأساة اصطدامه بالإناء وارجو ألا تكون أنت أيضا قد حرقت شفتيك بلهيب مماثل من الكلمات القاسية لها. وعلى أية حال فإني أرجو أن تكون الفترة الماضية قد ساعدت كلا منكما على استعادة هدوئه واتزانه لتتوصلا معا إلى حل عادل لمشكلتكما.

وفي البداية فاني أقول ان زوجتك لو فهمت معنى تمسكك برعاية شقيقك حق فهمه لما فرطت في عشرتك ولما آذت شقيقك ولما جعلت وجوده بينكما قضية يرتهن بها استقرارك العائلي وحق طفليك في الأمان والسلام، لسبب بسيط هو أن الوفاء لايتجزأ ولأن من كان وفيا لشقيقه الوحيد ورفيق دربه الذي امتحنته الحياة

بهذه المحنة المؤلمة لا يمكن إلا أن يكون وفيا لمن تشاركه حياته وتتقاسم معه رحلة الحياة. بل إني لأعجب كيف يحق لزوجتك أن تأمن على نفسها معك لو كنت قد تهللت لرغبتها وتلمست الأسباب للتنكر لشقيقك والتخلي عنه وهو من لا سند له في الحياة غيرك.. أليس الجحود نقيصه بشرية لا تفرق بين قريب وبعيد أوليس استسهال قطع الرحم ومجافاة الأهل خطيئة يمكن ان تمتد عدواها لمن يعاشرونه ولو بعد حين؟ ثم كيف ترجو وفاء ممن لاوفاء له لشقيق وحيد محروم من نعمة البصر تشابكت حياتك بحياته بخيوط الوحدة واليتم والألم؟.. بل كيف تأمن على نفسها مع رجل خلا قلبه من الرحمة إلى هذا الحد المفزع؟

إنك إن فعلت ياصديقي لكان ذلك أدعى لأن تخشاك زوجتك على حياتها ومستقبلها معك لكن غباءنا البشري يختزل أحيانا الدنيا العريضة في دائرة ضيقة تتجمد انظارنا عليها فنعمى عن باقى جوانب الصورة ولانعرف أننا رغم كل شيء محاطون بأسباب مختلفة لاستشعار السعادة إذا أردنا، أو لالتماس العزاء والسلوى عما ينقصنا.. أو للتعايش والقبول والتهادن مع ما لا يرضينا في حياتنا، ورغم تسليمي بحق زوجتك في أن تكون لها حياة خاصة مستقلة حين تسمح الظروف بذلك في المستقبل وفى موعده الطبيعي بغير إيذاء لأحد إلا أن اختزالها لكل مشاكل الحياة في ظروف إقامة شقيقك معك قد حجب عنها عشرات الأسباب التي تدعوها للرضا بحياتها والسعادة بها كطفلين جميلين.. وزوج محب وفي.. وحياة مادية مستقرة ومستقبل واعد بالآمال، وحتى بعض العناء الذي تتكلفه في رعاية شقيق محروم وإن كان في حد ذاته فضلا يتلهف عليه الفضلاء وقربى يتقربون بها إلى الله ويحتمون بها من غدر الزمن، إلا أنه في النهاية لن يدوم إلى الأبد.. لأن التغير هو قانون الحياة الوحيد الذي لايتغير وسوف يأتي يوم قريب بالتأكيد يتزوج فيه هذا الشقيق ممن تحبه وتحترمه ولا تتخلى عن فضل رعايته لغيرها.. وغدا أو بعد غد سوف تستطيع ان تجد شقة أوسع من جناحين يستقل بإحدهما شقيقك.. أو شقة صغيرة ملاصقة أو مجاورة لشقتك لا تجعله يغيب عن رعايتك، وشقاء البشر في كثير من الأحيان يتولد عن عجزهم عن الخروج من إسار مشاكلهم الصغيرة ليطلوا على الحياة بنظرة أشمل تضع هذه المشاكل نفسها في حجمها الطبيعي بالنسبة لمشاكل الآخرين، وبالنسبة لما في حياتهم من أسباب أخرى تدعو للرضا والاطمئنان وأحسب أن هذا هو ما فعلت زوجتك حين جعلت من شقيقك معضلة تضعك بها أمام مفترق الطرق للاختيار بينه من ناحية وبين زوجتك وطفليك وهنائك العائلي.. مع أنها قد قبلت بظروفه منذ البداية.. وعرفت بالتأكيد بتضحياته السابقة من أجلك ومن أجل إتمام زواجك بها.

قد أفهم بعض أسباب الغيرة الأنثوية التي تحسها زوجتك أحيانا لاهتمامك أو انشغالك بشقيقك وملازمتك له في بعض الأحيان لكني لا أفهم أبدا أن تتحول هذه الغيرة إلى وحش لا إنساني يطالبك بالتنكر لهذا الشقيق الوحيد. إنك تستطيع بغير شك ان تعالج الأمر بحكمة وعدل وفهم أوسع للطبيعة البشرية.. وقد أطالبك في هذا المجال بأن تضاعف من تعبيرك عن مشاعرك العاطفية نحوها ومن محاولاتك لاشعارها بأنها «الاهتمام الأول» في حياتك مهما أبديت من اهتمام بأمر شقيقك،

كما تستطيع أيضا أن تطمئن خواطرها بشأن المستقبل المادي لها ولأطفالك بشكل أو بآخر لتشعرها بأن ما قد تتكلفه لرعاية شقيقك مهما بلغ فإنه لن يؤثر على خططك لمستقبل الأسرة.. فهكذا ترضى بعض النفوس أحيانا ولا بأس بتلمس الوسائل المشروعة لإرضائها لكن في كل الأحوال لاتتنازل عن آدميتك ونبلك ووفائك لشقيقك الوحيد المظلوم.

أما ما تطالبني به من أن أحدثها عن فضل رعاية الكفيف وأجره عند من لاتضيع عنده الأجور.. فالحق اني لا أجد في نفسي حماسا للاستجابة له... ليس زهدا وإنما تعففا عن تكرار الحديث عن البديهيات والفضائل التي لايعني الإلحاح عليها إلا شهادة علينا بأننا قد نسيناها لهذا فلن أطيل في الحديث عنها ولن اعيد تذكيرها بالحديث الشريف الذي يقول: «من لا يرحم الناس لايرحمه الله» ولا بالحديث الشريف الآخر الذي يقول: «في كل ذات كبد رطبة أجر» كما لن أشير إلى المناسبة التي ورد فيها الحديث الأخير رعاية لما بقى من المشاعر الإنسانية.. لكني سأقول لها فقط وأرجو ان تتقبل مني ذلك بصدر رحب: إن عتاة المجرمين والقتلة يجفلون لفطرة غرسها الله في الإنسان من الاساءة للكفيف أو ايذاء مشاعره.. وأننا قد نرى أحيانا قاتلا بالأجر يهب بتلقائية لا تتوقف عند الأسباب والمفارقات لمساعدة أحد المحرومين من نعمة البصر إذا عرضت له مساعدته وهو في طريقه ليقتل نفسا بشرية بغير حق.. فكيف بزوجة فاضلة وأم ترجو رحمة ربها وتسأله السلامة والأمان من شدائد الحياة لها ولطفلها في قادم الأيام مثلك؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الرحيـل!

أنا يا سيدي شاب عمره 30 عاما من أسرة مكافحة كان أبي موظفا صغيرا بالحكومة ورغم ضآلة راتب أبي فقد كان يكفي مطالبنا ولانشكو من شيء، ثم توفى أبي رحمه الله وأنا طالب بدبلوم المدرسة الصناعية وتركنا ثلاثة أبناء أنا هم وشقيقتان تصغرانني، فكافحت حتى حصلت على الدبلوم وخرجت إلى الحياة فعملت بالنقاشة واستفدت من دراستي بقسم الديكور والزخرفة في عملي فبدأت أحصل على بعض الرزق وعاهدت الله على ألا أهتم بنفسي إلا بعد أن أصل بأمي وشقيقتي إلى بر الأمان واستجاب الله لدعائي فأجرى رزقهن على يدي حتى بدأت أشعر بالاستقرار المادي فجازفت بالعمل بمقاولات النقاشة والدخول في عمليات كبيرة وفقني الله فيها جميعا وحققت منها ربحا حلالا ساعدني على تلبية مطالب أسرتي. ومضت الأعوام وأنا سعيد بنجاح شقيقتي فالتحقت أختي الكبرى بكلية الهندسة... والتحقت أختي الصغرى بعدها بكلية التجارة وضاعفت من نشاطي وعملي لأوفر لهما ما تحتاجان إليه من كتب ومظهر يليق بهما وتمنيت صادقا أن أجعلهما أحسن البشر مع أمي ولم أيأس أبدا أمام أية عقبة لأني كنت أشعر بإحساس كاليقين أن في عنقي ثلاث إناث وأن الله لن يتخلى عني أبدا من أجلهن، وصدق ماتوقعت وأصبحت حالتنا المادية ميسورة إلى حد ما والحمد الله.. واستقرت حياتنا وفيذلك الوقت عرض على أحد المقاولين السفر للخارج للعمل في نفس مجالى فوافقت بلا تردد، وشجعني على ذلك أن شقيقتى طالبة الهندسة كان قد تقدم لها معيد بكليتها يطلب يدها وهي في السنة الثالثة، فقررت السفر لكي أستطيع أن أوفر لها متطلبات جهازها ووضعت يدي في يد خطيبها وحددنا موعد الزفاف بعد تخرجها مباشرة وحزمت حقائبي وسافرت إلى إيطاليا مسلحاً بدعوات أمي.. ونيتي المخلصة في أن أكافح لأعول أسرتي وألبي مطالبها وبدأت مرحلة جديدة من كفاحي في الغربة وسط متناقضات الحياة هناك التي صمدت لها جميعا.. ومضت الشهور الأولى في صراع مع الحياة فلم أدخر من عملي هناك قرشا واحدا لنفسي وإنما كنت أرسل لأمي كل ما أوفره لتشتري لأختي جهازا يشرفها أمام خطيبها وأمضيت هناك عامين وثلاثة شهور ثم عدت في أجازة لأشهد زفاف شقيقتي فإذا بأسرة جديدة قد سكنت في المنزل المجاور لنا.. وإذا بي أرى في شرفة مسكنهم فتاة ذات جمال ملائكي خفق لها قلبي الذي صمد لكل المغريات في إيطاليا وسبحان من بيده أمر القلوب فسألت عنها وعرفت أنها صديقة لشقيقتي الصغرى وطالبة بالسنة الأولى بنفس كليتها وانها تتمتع بأخلاق مثالية وشخصية جذابة تجذب إليها كل من يقترب منها، فأحسست يا سيدي أن الله سبحانه وتعالى إنما يكافئني بهذه الجائزة على كفاحي في الحياة وإخلاصي لأسرتي والتزامي بتعاليم ديني في الغربة وكتمت مشاعري بيني وبين نفسي وتم زفاف شقيقتي في أمان والحمد الله وأحسست بأني قد تخففت من مسؤوليتي العائلية وتملكني حب جارتي الرقيقة مع الأيام حتى أصبحت أسهر في شرفة بيتنا كل ليلة لأرقبها في صمت، ولاحظت شقيقتي الصغرى ذلك فاعترفت لها بحبي لصديقتها وطالبتها بكتمان الأمر ومضى حبي ينمو داخلى ويتعمق بلا أي محاولة للتعبير لها عن هذا

الحب ثم تخرجت شقيقتي الصغرى وتقدم لخطبتها شاب من سكان الحي فأردت ان أرضي ضميري تجاهها قبل عودتي للسفر فوضعت باسمها في البنك مبلغا كافيا لاعداد جهازها وبدأت شقيقتي تلح عليّ في أن اخطو خطوة عملية تجاه فتاتي وأنا مازلت مترددا كما كانت أمي قد بدأت منذ زفاف شقيقتي الكبرى تفاتحني في ضرورة زواجي وتعرض عليّ فتيات عديدات وأنا أرفض بلا أسباب، وأخيرا حزمت أمرى وفاتحت أمي برغبتي وتوجهنا معا إلى بيت فتاتي نخطبها.. وطرت من السعادة حين وجدت فتاتي تبادلني مشاعري وقربت بيننا الخطبة أكثر وأكثر فتضاعف حبي لها وتقاربت الأسرتان حتى أصبحتا أسرة واحدة واتفقنا على أن يتم الزفاف عقب تخرجها مباشرة وأمضيت معها 4 شهور كانت بالنسبة لي هي الحياة ثم حزمت حقائبي وعدت إلى إيطاليا وودعتني أمي وشقيقتاى كالعادة.. ومعها هذه المرة خطيبتي وملاكي وأمضيت عامين في إيطاليا وأنا أعمل بلا كلل. ثم عدت في الموعد المقرر لزفافنا في الصيف الماضي فتوفيت والدتها فجأة واضطررنا إلى تأجيل الزفاف وعدت إلى مقر عملي.. وعشت 10 شهور لاتربطني بالحياة سوى رسائلها التي انتظرها بلهفة ثم فجأة انقطعت رسائلها.. فكتبت إليها استفسر عن سبب الانقطاع فلم أتلق ردا وتملكني القلق والحيرة وخشيت أن أستفسر من شقيقتي الصغرى عن سبب الانقطاع خشية أن ينتشر الأمر، فحسمت ترددي وقررت العودة إلى مصر لأعرف ماذا حدث وعدت ياسيدي منذ حوالي شهر ث وعدد وكان أول ما فعلته بعد لقاء أمي وأخوتي هو ان ذهبت إلى شقتها وهناك فوجئت بالجميع يرحبون بي بحرارة ما عدا فتاتي التي حيتنى بتحفظ ثم اختفت داخل حجرتها.. وسألت شقيقتها الكبرى عما حدث... فحاولت التهرب في البداية.. ثم اضطرت للاعتراف بان هناك «شيئا» ما.. وان كل شيء قسمة ونصيب، وأصررت على ان اسمع ذلك من خطيبتي نفسها فدعوتها فجاءت وألقت بالصاعقة فوق رأسي وأبلغتني أنها تريد فسخ الخطبة وخلعت الدبلة وتركتها أمامي وانصرفت في صمت، وأحسست بالدنيا تدور بي.. وكافحت حتى أستطيع أن أنهض من مقعدي وأغادر الشقة.. وغادرتها والدموع تترقرق في عيني وقد تراءت لي صور كفاحي في الحياة ومعاناتي في الغربة وصبري على ما لاقيت على أمل أن تكون فتاتي هذه هي المكافأة التي وعد الله بها الصابرين والمكافحين، وعدت لشقتي صامتا.. فلم أنم طوال الليل وتأكدت أني لن أستطيع البقاء في المسكن المجاور لها فأخذت حقيبة ملابسي واتجهت إلى شقة شقيقتي الكبرى وأقمت عندها وأنا في أسوأ حال وشقيقتي وزوجها يحاولان أن يخففا عني بلا جدوى، وبعد أيام فوجئت بشقيقة خطيبتى تزورني في بيت شقيقتي وتؤكد لى أنها لم تأت إلى إلا رفقا بأختها التي تتدهور حالتها ولا تعرف بمجيئها ثم كشفت لي سر تغيرها.. وهي انها قد اكتشفت منذ شهور خلال علاجها من مرض ألم بها أنها مولودة بعيب خلقي هو عدم وجود رحم داخلها وأن ذلك يعني إنها لن تكون قادرة على الإنجاب في أي يوم من الأيام فأرادت ألا تعذبك معها وتحرمك منه فتندم ذات يوم على زواجك منها ووجدت نفسي أقرر على الفور أمامها اني سوف أتزوجها لأنه لا ذنب لها في ذلك وأيدتني شقيقتي الكبرى وزوجها، وذهبت مع اختي وزوجها إلى بيت أمي قبل أن أذهب إلى بيت خطيبتي.. ففوجئت بهما وقد

عرفا بالأمر.. وصدمت صدمة هائلة حين أبلغتني أمي برفضها القاطع لزواجي منها.. لأنها كما قالت لي تعيش على أمل أن ترى احفادها.. وهلعت حين أقسمت لي أنها ستتبرأ منى إذا اصررت على الزواج منها.. ولم يقتصر ألمي على ذلك بل وجدت شقيقتي الصغرى أيضا تؤيدها في رفضها ولم تشفع لها دموعي وعذابي في أن يغيرا موقفها واستثار ذلك مشاعري فجأة.. فلم اتمالك نفسي وهرولت متجها إلى بيت خطيبتي.. وما ان رأيتها حتى عانقتها أمام الجميع بغير شعور.. وبكت بدموع غزيرة وبكيت معها واتفقت مع والدتها على أن يتم الزفاف في منتصف شهر ديسمبر الحالي واستردت إحساسي بالحياة مرة أخرى وعدت للإقامة عند شقيقتي الكبرى وقد قررت ان اصطحب زوجتي إلى إيطاليا عقب زفافنا مباشرة فأنا يا سيدي قد أديت واجبي تجاه شقيقتيّ الاثنتين على قدر طاقتي وجهدي، أما أمي فلن أقصر في حقها أبدا وسأقوم بواجبي معها وأنا في الغربة ولن انساها مهما فعلت بي.. لكن مضت الأيام عقب الموقف المؤلم بيني وبينها وأنا أتصور أن الليالي سوف ترقق من مشاعرها تجاهي وتشفق عليّ وأنا ابنها الوحيد من ان أكون يوم الزفاف بغيرها وهي أمي التي أحبها وأرعى حقوقها فلم يتغير الموقف حتى الآن.. والآن ياسيدي لم يبق على الزفاف سوى عدة أيام وسوف أرحل مع زوجتي بعد الزفاف.. كما كان الحال منذ سنوات لكن شتان بين الرحيل وأمي وشقيقتي الصغرى في وداعي وتتمنيان لي السعادة وبين الرحيل هذه المرة وأمي قد تبرأت منى وقاطعتني وباعدتني وشقيقتي الصغرى غائبة عن وداعي. إنني لا أعتبر ماقمت به تجاهها إلا واجبا مفروضا عليّ ووفقني الله لأدائه.. لكن هل يرضيك ياسيدي أن تحجب أمي عني مباركتها لزواجي من الفتاة الوحيدة التي تمنيت الزواج منها.. إننى لا أفكر في الإنجاب ولايشغلني هذا الأمر نهائيا ولست على استعداد لأن افقد فتاتي لسبب لا يد لها فيه فهل لك ان توجه لأمي كلمة ترجوها فيها ألا تنغص عليّ حياتي وسعادتي بإصرارها على موقفها هذا وهل لك ان تفعل نفس الشيء مع شقيقتي؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

أفعل ماتريد ان شاء الله.. لكني أرجوك ألا تذهب إلى حفل زفافك من بيت شقيقتك وأن تعود فورا للإقامة في بيتك وبين أمك وشقيقتك.. فما بينكم جميعا ليس سوى خلاف حب وليس خلاف عداء وعداوة.. فأمك في النهاية لاتطلب لك إلا ما تتصوره سعادتك ليس إعزازا لك ومحبة فقط إنما إشفاقاً عليك مما تتصوره سوف يشقيك في مستقبل أيامك وهذا أيضا هو موقف شقيقتك الصغرى، لكنهما لايدركان الفارق الجوهري بين مايتمناه الإنسان لنفسه وبين ماتسمح له به المقادير.. وربما لايعرفان ان السعادة ليست رهينة بالقدرة على الإنجاب وإنما بأسرار الهية عديدة نعرف منها القليل ولا نعرف أكثرها وكم من أسر لم تحرم من الإنجاب لكنها حرمت من السعادة.. وكم من أسر حرمت من الإنجاب فنعمت بها لم تنعم به أسر أخرى من السعادة والسعادة في النهاية سر شخصي لايستطيع الآخرون أن

يدركوه إذا راقبوه من الخارج وما دام قد استقر في يقينك أنك سوف تسعد مع فتاتك.. فلن تبخل عليك الأقدار بالسعادة والأمان والاستقرار ان شاء الله فقط عليك ألا تكف عن المحاولة مع أمك خلال الأيام القليلة الباقية على الزفاف ولو تطلب الأمر أن تقدم لها ترضية جديدة تضاف إلى رصيدك الكبير عند ربك ولست أظن أنها ستقوى على أن تحجب عنك موافقتها.. أو تغيب عنك في مثل هذا اليوم السعيد وهو أمل كل أم خاصة وأنت ابنها الوحيد المضحي القائم بكل واجباته بإحساس عائلى نبيل.. كما لا أتخيل أن تقوى أمك على ألا تكون في وداعك يوم الرحيل وأنت مع عروسك تبدآن حياة جديدة وتستقبلان أول أيامكما السعيدة.. لا ياصديقي.. لن تقوى ولن ترضى لك أن تمزج سعادتك بهذا الشقاء وهذه المعاناة وأنت من عانيت الكثير.. فاذهب إليها فورا.. واطلب مباركتها من جديد لزواجك.. ولا تتحرك من أمامها إلا بعد ان تعلنك بموافقتها وتتمنى لك السعادة.. فهكذا تفعل الأمهات الطيبات حتى ولو لم يرضين تماما على زيجة الأبناء ماداموا كبارا وراشدين.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

السـلام.. البـارد

منذ سبع سنوات وأنا طالبة بكلية التجارة في العشرين من عمري تعرف بي زميل بنفس الكلية يسبقني بعامين وارتبطنا عاطفيا وتعاهدنا على الزواج، وبعد فترة أبدى رغبته في التقدم لخطبتي وهو في السنة النهائية من الكلية.. وأبلغت أسرتي وجاء ورحبوا به وتم تحديد موعد للخطبة وبدأنا نستعد لإقامة حفل بسيط للخطبة في شقتنا ودعونا الأهل والجيران في الحي الشعبي الذي نقيم فيه ففوجئت بخطيبي يجي حزينا ويبلغني أن إخوته غير موافقين على الخطبة، وأخوته هؤلاء خمسة تزوجوا جميعا ويعيش كل منهم مع أسرته الصغيرة ماعدا شقيقاً لم يكمل دراسته ويعمل عملا حرا وشقيقة تواصل تعليمها في رعاية عمتها الأرملة.. أما السبب فهو ان أخوته يريدون له أن يبقى مع اخته إلى أن تستكمل تعليمها وتتزوج لأنه من غير اللائق أن يتركها ويتزوج قبلها مع أن شقيقة خطيبي ترعاها عمتها ولها شقيق آخر يمكن أن يتحمل المسؤولية. وهونت عليه الأمر بأننا سنحتاج إلى سنوات! لكي نستكمل الشقة الصغيرة التي أخلاها لي أبي فوق شقتنا ولنعد الجهاز.. ولا ضرر من الانتظار لكن لابد أن تتم الخطبة التي دعونا لها الأهل والجيران لكي يتقبل الناس دخوله بيتنا بلا حساسية.. فلم يقتنع.. وطلب مني الانتظار قليلا حتى يتفاهم معهم.. ورغم تذمر أهلي فقد وافقته.. واعتذرنا لمن دعوناهم بأن ظروفا طارئة ألمت بخطيبي واضطرتنا إلى الغاء الحفل والاكتفاء بقراءة الفاتحة وتجاوزت عن آلامي.. وانتظرت، فمضت 3 أعوام طويلة لم يحقق خلالها خطيبي أي تقدم بالنسبة لموقف أهله من زواجنا.. وظل طوالها يتجنب الحديث عن إعلان الخطبة وظللت لا أعرف حتى وجوه أخوته وأهله. وكان خطيبي قد وجد عملا بعد تخرجه وبدأ يدخر ليشتري أثاثا بسيطا. وبدأ أبي يجهز لنا الشقة الصغيرة. وضاق أهلي بالانتظار طوال هذه السنوات.. فبدأ أبي يحدثه في ضرورة تحديد موعد للزفاف فكان يتحرج ولا يبدي استعداداً لذلك فنفذ صبري بعد هذه السنوات وحدثته بصراحة فقال لي ان شقيقته تخرجت لكنها مازالت غير مرتبطة وأنه لايستطيع ان يتزوج قبلها لأنه يجب أن يكون هناك رجل في البيت فبدأت أثور وأقول له أن كل شقيق من أشقائه يعيش مع أسرته وهم جميعا يقيمون بالقرب من أختهم وإن شقيقه الذي لم يتزوج يستطيع ان يقوم بهذه المسؤولية وأن عمته ترعى أخته، وكل ذلك كاف لكي يطمئن على أخته خاصة أننا لن نتزوج في كوكب المريخ.. ولا كوكب الزهرة وإنما في نفس المدينة وعلى بعد نصف ساعة من أخته وانصرف خطيبي بغير أن نتفق على شيء.. وفكرت في الأمر وقدرت ظروفه وفى أول زيارة جاء فيها عرضت عليه ان نعيش مع أخته إلى ان تتزوج أو ان تقيم هي معنا في شقتنا فسعد بالاقتراح للحظات لكنه جاء إليّ بعد أيام ليقول لي أن إخوته ثاروا عليه عندما عرض الأمر عليهم وسألوه أتريد لأختك ان تصبح خادمة لزوجتك؟ وأن عمته صرحت بأنها لن تترك الفتاة إلى ان يأتيها نصيبها، وتوسل إليّ أن نؤجل زفافنا فترة قصيرة لأن هناك من يريد ان يتقدم لأخته، وترددت في الموافقة لكني قلت لنفسي أنه شاب نبيل وكريم الخلق وإن من يرعى حق أخته.. ويؤجل سعادته من أجلها سيرعى الله كزوج في معاملتي وفي

حقوقي عليه وقررت الانتظار. وعشنا عاما آخر بلا أي تغير في الموقف.. وبلا أي خطوة من جانب أسرته للتعرف علينا أو القبول بنا فلم نعرفهم ولم نلتق بهم وكأنهم يقيمون في قارة أخرى.. ثم نفد صبر أبي وعمي فحدثا خطيبي وخيره عمي الذي يتسم بالشدة والحزم بصراحة بين أن يتزوجني الآن أو يتركني لحال سبيلي، وخرج خطيبي فلم أذق طعم النوم وبكيت كثيرا ودعوت الله ان يفرج كربتي وبعد أيام قال لي خطيبي إنه لايستطيع أن يستغنى عني. وان أهله لابد أنهم سوف يسامحونه على زواجه على غير رغبتهم في يوم من الأيام لهذا فهو سيتزوجني لكنه لن يتخلى عن أخته وسوف يلبي كل طلبات بيتها إلى جانب بيتنا وأنه يستأذني في أن يمضى معها يوما كل أسبوع لكيلا تشعر أنه تخلى عنها.. ووافقته بحماس على كل ذلك، وحددنا موعدا للزفاف وأقبلت على الاستعداد له بفرحة من انتظرت سعادتها أكثر من 7 سنوات وأعددنا العدة لعقد القران والزفاف ودعونا الجميع وانتظرت خطيبي يوم الزفاف فمضت الدقائق والساعات وهو لم يحضر وبدأ القلق ينهشني وأنا ادعو الله ألا يخذلني في يوم سعادتي أمام الأهل والأقارب والجيران.. وبدأت الهمسات تتناثر أن العريس لم يأت.. وأنه ولى هاربا ليلة الزفاف.. وكاد قلبي يتوقف من الخوف والكمد وقبل ان انهار نهائيا لمحته يدخل الشقة مرتديا البدلة السوداء كسير الخاطر ووحيدا تماما بلا أخ ولا أخت ولا عم ولا صديق والدموع الجامدة في عينيه وأدركت الموقف.. ورققت لحاله وأكبرت فيه أنه لم يتخل عني بعد كل هذه الفترة.. وكان ذلك في حد ذاته كافيا عند أهلى لكي يقدروه له ويحاولوا أن يسروا عنه.. وأن يفتعلوا الابتهاج ليزيلوا جو الكآبة الذي خيم على المكان بسبب تأخره، **وتم عقد القرآن في هدوء ومضى حفل الزفاف بغير ان يبتسم خطيبي ابتسامة واحدة.. وكلما نظرت إليه وهو بجانبي في الكوشة انفطر قلبي له وأنا أراه مهموما حزينا صامتا وسألت نفسي ماذا فعلنا يارب حتى يفعل به إخوته ذلك.. ولماذا يتركونه وحيدا كأنه بلا أهل في ليلة زفافه بغير أن يشاركوه فرحته ولو من وراء القلب ليشرفوه أمام أسرة زوجته والناس مع أننا لم نرتكب معصية.. ولم نفعل إلا ما أحل الله، وحاولت أن أسري عنه. لكنه ظل ساكنا صامتا.. لايبتسم.. وان ابتسم آلمتني ابتسامته الحزينة أكثر من غيرها وانتهى الحفل بسلام.. ونزلنا إلى الشارع لنجري الزفة كالعادة وزفتنا سيدات الحي بالزغاريد ثم صعدنا إلى شقتنا الصغيرة وأغلقنا بابها علينا لنبدأ حياتنا الزوجية التي انتظرناها أكثر من 5 سنوات وأشرق صباح أول يوم في بيتنا الصغير وجاء الأهل والأقارب ليهنئونا.. وتقرح كبدي إشفاقا عليه وأنا أراه ينظر بلهفة مكتومة إلى الباب كلما طرقه طارق ثم يخيب أمله حين يجده زائرا أو زائرة من أقاربي وليس من إخوته الذين قاطعوه وغابوا عن زفافه وعن يوم الصباحية..**

ومضت الأيام الأولى من زواجنا.. وسعدنا رغم الآلام بحبنا وحلمنا القديم الذي تحقق بصبرنا وكفاحنا وتمسك كل منا بالآخر، وظل زوجي جريح القلب بسبب موقف اخوته منه.. ورأيت أن أبادر انا بالمحاولة للتخفيف عنه وعرضت عليه ان نذهب لزيارة بيت الأسرة لنعيد المياه إلى مجاريها وذهبنا.. واستقبله إخوته بترحيب ولكن ليس كعريس جديد وإنما كأخ عائد بعد فترة غياب فلم يقل له أحد «أهلا يا عريس».. أو «مبروك» أو أي عبارة من هذا النوع أما أنا فكان السلام

البارد هو نصيبي.. ولم يهنئني أحد بالزواج أو يسألني عن أحوالي وبعد فترة قصيرة انتحى به بعض إخوته ثم عاد زوجي ليقول إنه سيذهب معهم إلى بيوت باقي إخوته المتزوجين ليزورهم، وانصرف زوجي معهم وتركوني مع أخته وعمته.. وخيم الصمت على المكان وكلما حاولت الحديث معها جاءنى الرد بكلمات مقتضبة على قدر السؤال!.. وبين فترة وأخرى ترمقانني بنظرات غير معبرة.. وطالت الجلسة وبدأ التأفف من وجودي واضحا عليها.. ولولا خوف من أن أغضب زوجي لفتحت باب الشقة وانصرفت. ثم أخيرا وبعد ساعتين عاد زوجي سعيدا باستقبال إخوته الحار له وبأنهم لم يستقبلوه ببرود ولم يسألني عن حالي ولم أفاتحه بضيقي من تحفظ شقيقته وعمته معى. وعدنا معا وأنا أعزي نفسي بفرحة زوجي بعودة الوئام بينه وبين إخوته، وبالأمل في أن تذيب الأيام تحفظ إخوته معي ولم أيأس من ان أنال ودهم أو حتى تعاطفهم معي في المستقبل فرحت أحدث شقيقته وعمته من تليفون الجيران في كل مناسبة، واذهب مع زوجي لإخوته وعمته في كل زيارة رغم استمرار الجفاء والتحفظ بل ونظرات الاحتقار أحيانا.. ثم ساءت المعاملة أكثر فتارة لايصافحني أحد الإخوة.. وفي أخرى لايحدثني أحد كأنني غير موجودة.. فتحاملت على نفسي وسألت اخته وهي فتاة مثلي أملت ان تقدر موقفي: لماذا تعاملونني كأنني «جرب» أو شيء كريه لا تودون حتى النظر إليه؟.. فنظرت إليّ صامتة ثم دعت عمتها وأعادت عليها ما قلت وضحكا معا وأكدتا لي بفتور إنها مجرد تخيلات من جانبي لكن الجفاء والتحفظ والإهانة الصامتة استمرت كما هي حتى بدأت أسلم باليأس من محاولة كسب وأكره زيارتهم وبدأت أتهرب من زيارتهم مع زوجي فسألني عن السبب فانفجرت باكية بأنه سعيد لأن إخوته قد سامحوه لكنه لايهتم بسوء معاملتهم لي وجفائهم معي.. ورفضهم المتكرر لقبول دعواتي العديدة وحاول زوجي تهدئتي مؤكدا لي أن الأيام سوف تداوى كل الجراح.. وأنهم يلومونه لأنه كان يستطيع الانتظار عاما آخر أو عامين على الزواج وأنهم يتصورون أني قد «عملت له عملا» استوليت به عليه، وإن كثرة زياراتنا لهم سوف تلين قلوبهم في النهاية.. ورغم إحساسي بالجرح فقد وافقته.. وعدت لزيارتهم معه فلم يتغير الحال.. وشكوت لأبي وأمي فنصحاني بعدم زيارتهم وكنت قد حملت وبدأت أعاني متاعب الحمل فرجوت زوجي ألا يجبرني على الاستمرار في تجرع هذه المهانة.. وطالبته بأن يزورهم باستمرار كما كان يفعل ولكن وحده إلى أن يشعرني إخوته بأني آدمية لها أحاسيس ومشاعر وكرامة، وغضب زوجي ولم يقبل أعذارى وأصر على غضبه.. وتسلل الفتور إلى حياتنا وبدأ زوجي يردد على مسامعي كل يوم انه لن يسمح بابتعاد ابنه أو ابنته التي سيرزقه بها الله عن أعمامها وعمتها.. ثم بدأ يبتعد هو أيضا عن أهلي ويعاملهم بجفاء بالرغم من حبهم له وتقديرهم وبدأ يتركني اذهب وحيدة إلى مناسباتنا العائلية وتحولت حياتنا إلى شيء مضحك ومبك في نفس الوقت فهو لايريد ان يتعامل مع أهلي مع أنهم لم يمسوه بشيء ولم يغضبوه في شيء، وأنا لا أريد أن أتعامل مع أهله بسبب معاملتهم القاسية وإهانتهم لي. ولولا ذلك لكنت على أتم استعداد ليس فقط لأن أزورهم بل لأن اعيش بينهم أيضا.. لكن كيف لي ذلك وقد فشلت كل محاولات تقربي وتوددي

إليهم ولم يعد في قلبي تجاههم سوى المرارة فماذا أفعل ياسيدي.. ومن يستطيع ان يقنع زوجي بأننا لانستطيع ان نربي طفلنا وسط هذا الجو العائلي المفكك وكل أسرة تكره الآن مجرد ذكر سيرة الأسرة الأخرى وهل كان عليّ أن أتركه بعد ارتباط دام أكثر من 7 سنوات لأن اخوته غير راضين عنى بغض النظر عن عواطفنا ومشاعرنا نحن الاثنين ..

إن حالتي ليست فريدةفهناك كثيرات مثلي تهدد التعاسة زواجهن بسبب المشاعر العدائية بين أسرتي الزوجين فاذا نفعل لكي نحمي حياتنا وسعادتنا بغير أن نغضب أحدا؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

هناك موقفان في الحياة لاغنى للإنسان فيها عن أهله ولو كانوا عنه غير راضين. الأول هو الموت وفيه يستريح الإنسان من آلامه فلا يكدره فيه إن كان أهله قد أوفوا بحقه عليهم أم لا والثاني هو الزواج.. وفيه يتطلع الإنسان دائما إلى الأهل والأعزاء ويسعد بقربهم منه وينكسر قلبه بتخليهم عنه فيه، وفضلاء الناس يلبون نداء الواجب الأسري في هاتين المناسبتين مهما كان موقفهم الشخصي السابق من صاحب المناسبة بل وإن منهم من قد يتجاورون في أمثال هذه المناسبات وهم مختلفون فيما بينهم إرضاء لربهم ورعاية للحقوق وحفاظا على شكل الأسرة.

وواضح من رسالتك ان زوجك الشاب يتيم الأبوين ومع تقديري لدوافع إخوته في معارضة زواجه بحجة رعايته لأخته أو انتظاره لزواجها إلا أني لا أتصور أن معارضتهم كانت تقتصر على هذا السبب وحده.. لأن للأخت شقيقا آخر يستطيع رعايتها ولها عمة تقوم على شئونها ولها خمسة أخوة يتحملون مسؤوليتها وحتى مع افتراض أنه قد كانت لهم اعتراضات أخرى فإن كل ذلك لايغفر لهم أبدا غيابهم عنه في كل خطوات زواجه من خطوة البداية.. إلى يوم الزفاف الحزين الذي تركوه فيه وحيدا حزينا كسير النفس. إن من حق الأهل يا سيدتي أن يعترضوا على اختيار الأبناء وأن يبذلوا كل ما في وسعهم ليقنعوهم بالعدول عن اختيارهم.. لكنهم إذا ماتمسكوا به إلى النهاية كان من حقهم على الأهل والأعزاء ألا يتخلوا عنهم في زواجهم حتى وان كرهوا هذا الزواج.

فليست هناك مناسبة كما قلت يحس فيها الإنسان بحاجته إلى وقوف الأهل إلى جواره فيها من هذه المناسبة، وبعض الفضلاء يدركون ذلك ويتطوعون بمشاركة اليتامى ومن لا أهل لهم فرحتهم بل ومسؤوليتهم في هذه المناسبة وربما ادعى بعضهم قرابة لا وجود لها بينهم وبين هؤلاء أمام أسرة الطرف الآخر لكيلا

يفتقدوا عزة النفس في المناسبة التي يحتاج فيها الإنسان لأن يعتز بأهله. وفي إدعائهم صدقة.. وأجر عظيم!

فإذا كان بعض الغرباء يفعلون ذلك قربىالله فكيف بالاخوة والأهل؟

وهل كانوا يستطيعون ذلك مع نفس الأخ وفي نفس الظروف والأبوان على قيد الحياة..؟

أم ترى أنهما فعلا كما قال أمير الشعراء «هما الرحماء» وحدهم لأن قلوبهم لاتسمح لهم مهما غضبوا على زواج الأبناء بأن يتخلوا عنهم في اللحظة الأخيرة غالبا؟

لقد حدث ما حدث فإن كنت قد توقفت أمامه طويلا فلأني أعجب أحيانا من قدرتنا الغريبة على أن نعامل بعضنا البعض بغلظة عجيبة وقدرة أعجب على الإيلام والمجافاة. لكن هذه قصة أخرى على أية حال فإن الخلاف بين أسرتي الزوجين الذي يهدد سعادتها خلاف قديم قدم التاريخ.. ولست أجد في قصتك مبررا مقنعا لترسيخ هذا الخلاف أو استمراره وليس بين الأسرتين ثأر ولا دم كما كان الحال بين أسرتي كابوليت ومونتاجيو في مأساة شكسبير «روميو وجوليت» إنما هو خلاف يمكن حله بسهولة بمجرد تسليم إخوة زوجك بأنه لامعنى لاتخاذ هذا الموقف منك بعد أن تزوجت شقيقهم وحملت منه وطرقت بابهم طالبة قبولك عضوا في أسرتهم لأنك قد صرت كذلك شاءوا أم أبوا، ومن حسن المعاشرة بين الزوجين أن يحترم كل طرف أسرة الطرف الآخر وأن يسعى إلى ما يرضيه ويتجنب ماينفره ويشقيه، وأن يتبادل الطرفان العطف والتسامح واحترام المشاعر والرأي، ولن يتحقق ذلك وكل طرف منها يجافي أو يقاطع أسرة الطرف الآخر مهما كانت الأسباب والدوافع.

وفي قصتك لست استطيع ان ألومك على تقصير في محاولة كسب ود أسرة زوجك لكنى ربما أعاتبك على أنك قد سلمت بالفشل سريعا. وقبل أن تتمي العام الأول من الزواج.. في حين أنك صاحبة نفس طويل ولا تسلمين بالفشل بسهولة كما ان أمراض النفوس تتطلب علاجا طويلا وصبرا أطول. وموقف زوجك السلبي اعتمادا على علاج الأيام ليس كافيا.. وإنا عليه ان يبذل جهدا إيجابيا في تصفية نفوس إخوته تجاهك.. وفي مطالبتهم باحترام مشاعرك وبقبولك عضوا كامل العضوية والحقوق في أسرتهم، إن لم يكن رعاية لحقك.. فرعاية لحقه هو عليهم باعتبارك زوجة شقيقهم.. وليس من العدل أن يعاقبك على ضيقك بجفاء إخوته لك بمقاطعة أهلك الذين أحاطوه بالحب والاحترام منذ البداية فإذا قبلت نصيحتي فإني اقترح عليك ألا تغلقي الباب نهائيا مع أسرته.. وأن تضيفي لرصيدك عند زوجك محاولة أخرى بالاستجابة لرغبته في زيارتهم مع الحرص التام على ألا تمتهني نفسك معهم.. وألا تعرضي نفسك على أحد. فالحق أني لست من أنصار امتهان الإنسان لكرامته طلبا لود العازفين عن مبادلته الود استعلاء أو رفضا. ولسنا نطالب أحدا بأن يحب آخر عنوة.. وإنما نطالبه فقط باحترام مشاعره وأداء حقوقه ورد مجاملاته أما القلوب فأمرها بيد خالقها وحده.

وإذا كنا نقول دائما بأن الأيام كفيلة بمداواة الجراح فإننا يجب أن نعين الأيام على أداء مهمتها بتطهير القلوب من الكراهية والمرارات وبالاستعداد النفسي الدائم للصفح والنسيان.. ولأن العطف يورث العطف ياسيدتي في حين لاتورث البغضاء إلا البغضاء. ولأني أيضا من المؤمنين بضرورة إعفاء الأبناء من أن يدفعوا فاتورة مراراتنا وخصوماتنا خلال رحلة الحياة لكي ينشأوا في بيئة سليمة ويستمتعوا بدفء العلاقات العائلية السليمة.. وتنجو صفحة قلوبهم البيضاء من بقع الكراهية السوداء.

فإذا كان الأمر كذلك فقد أرى لك أن تستجيبي لأول دعوة من زوجك لزيارة أسرته.. ولو تحملت ذلك على رغمك.. ثم توجهي لهم الدعوة لزيارتك في أقرب مناسبة.. فإن قبلوها.. فلسوف يمسح الزمن ماتبقى من مرارات تدريجيا وبهدوء وإن أصروا على رفضهم قبول دعوتك وقبولك بينهم فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها.. ولتنظري ما يستطيع زوجك أن يفعله معهم لتحسين العلاقات، وحتى يتحقق ذلك احتفظي معهم بحالة «السلام البارد» الذي تقتصر فيه العلاقات على أداء الواجبات الضرورية فقط حرصا على الشكل العام. وانتظارا لنجاح الأيام في مهمتها الصعبة.. والسلام.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

البقع البيضـاء

أكتب لك من مقر عملي بإحدى شركات القطاع العام.. ففي هذا المكان تعرفت منذ فترة طويلة بزميل لي يكبرني بعدة سنوات وتبادلنا الحب واتفقنا على الزواج ولأني تعودت على مصارحة أسرتي بكل شيء فقد أبلغتها منذ البداية باتفاقي مع زميلى على الزواج. وعندما جاء الوقت المناسب. فاتحني زميلي في التقدم لخطبتي فعدت إلى أسرتي سعيدة لأبلغها بالنبأ السار.. وبدأت بأبي خريج الجامعة القديم ففوجئت به يبلغني بأنه قد اتفق مع شخص آخر على زواجي منه! كيف يا أبي.. ولماذا.. وماذا يعيب فتاي.. وكيف تتفق على زواجي بغير أن يكون لي أى رأي في الأمر كأن أرى هذا الشخص على الأقل وأقبل به. وأنا فتاة رشيدة وجامعية وأعمل.. فلم اتلق أية إجابة مقنعةسوى الإصرار من جانب أبي على إتمام الخطبة وإتمام الزواج حتى ولو طلقت منه في اليوم التالي؟. والله هذا هو ما قاله لي أبي فماتت فرحتي وعدت في اليوم التالي لزميلي وأبلغته بما حدث وطلبت منه الانتظار لفترة إلى أن استطيع التخلص من تلك الخطبة المفروضة عليّ ثم نتزوج، فأجابني بحزن بأن عليّ أن أحسن معاملة خطيبي لعلي اكتشف فيه إنسانا طيبا وأنه سوف ينسحب حتى لا أخسر أهلي وتثور بيني وبينهم المشاكل بسببه ولم اقتنع بوجهة نظره لكني لم أملك إلا الاستسلام ـ وتمت الخطبة الحزينة وسافر أبي بعدها بأيام للعمل في إحدى الدول العربية وحاولت أن انفذ ما طلبه مني فتاي من حسن معاملة خطيبي قدر جهدي فلم أستطع وزادني اكتئابا أن زميلي قد مرض بعد الخطبة مرضا ترك به عاهة مستديمة ولم أنجح في التواؤم مع خطيبي فكتبت إلى أبي أقول له أني لن أستطيع الاستمرار في الخطبة لأني لا أجد نفسي فيها ومازلت أحب زميلي وليس من العدل أن أتزوج شخصا وأنا أحب غيره فلم يرد على رسالتي.. وكررت الكتابة إليه فلم يرد أيضا. ففسخت الخطبة في هدوء وكتبت إليه أبلغه بذلك.. فهل تدري ماذافعل! لم يرد على خطابي لا بالموافقة ولا حتى بالتأنيب واللوم وإنها كتب إلى أبيه الذي يعيش في منطقة من المناطق المستصلحة الجديدة في الصحراء ليتفق معه على زواجي من أحد أبناء تلك المنطقة بلا أي اعتبار لمشاعري أو رغبتي.. ثم عاد إلى مصر في اجازة ففوجئت بجدي يحضر إلينا بعد عودة أبي بأيام ومعه شخص لا أعرفه قيل لي أنه العريس الجديد!

ورفضت بالطبع فإذا بأبي وجدي يتعاونان على البر والتقوى بضربي ضربا مبرحا لكي أوافق على هذا الزواج.. فلم أجد مفرا من الموافقة وتمت الخطبة وتم الاعداد للزفاف خلال أيام.. وبعدها وجدت نفسي مشحونة مع العريس الجديد إلى بيت الزوجية المشئوم في المنطقة الصحراوية.

وفي ليلة الزفاف التي تحلم بها كل فتاة أحسست بأني سأزف إلى عشماوي وحبل المشنقة فما أن اقترب مني زوجى حتى صرخت بكل قوتى وأصابتني بعدها حالة من الذهول التام. وفي اليوم التالي جاء أقاربي المقيمون بنفس البلدة وتشاوروا في الأمر وقرروا عرضي على الطبيب فأكد الطبيب اني سليمة جسمانيا وطبيعية

وأستطيع ممارسة الحياة الزوجية، لكن الحال استمر على ماهو عليه وكلما دنا منى زوجى انتابتني نوبة من الصراخ والتشنج والبكاء ثم الذهول التام واقسم لك أني أردت أن استسلم لنصيبي وأكون زوجة كاملة مادمت قد قبلت الزواج من هذا الشخص حتى ولو كان رغما عني.. لكني لم أستطع.. فتداولوا مرة أخرى في الأمر ثم راحوا يعرضونني كل يوم على بعض المشايخ والمشتغلين بأعمال السحر والزار بلا فائدة.. وعندما يئس زوجي من كل ذلك قرر استعمال القوة معي فضربني واغتصبني اغتصابا، ففوجئت بضياع كل شيء حتى كرامتي. وانتابتنى بعدها حالة من الذهول التام طالت عدة أيام وبعدها فوجئت بظهور بعض البقع البيضاء في وجهي وفحصني الطبيب فأكد أنها مرض البهاق الجلدي ثم بعدها بأيام فوجئت بشعري يتساقط بغزارة بغير ان يفلح أي دواء في وقف تساقطه واختفت بشرتى الناعمة وحلت محلها بشرة خشنة غريبة. ثم ظهرت في وجهي وجسمي بثور سوداء خشنة لم أر لها مثيلا من قبل فطلقني زوجي وعدت إلى بيت أبي محطمة ألعق جراحي وأحاول وقف تساقط شعري وعلاج البهاق والبثور السوداء بلا أي تقدم. وبعد فترة من البقاء في بيت أبي عدت إلى عملي الذي كنت قد حصلت منه على أجازة بدون راتب لمدة سنة، عدت كسيرة شائخة كأني غبت عشرين سنة مع أني لم أغب عنه سوى ثلاثة شهور وقابلني زميلي بابتسامته الحزينة ولمحت نظرة الإشفاق في عينيه وهو يرقب بقع وجهى والبثور السوداء ولوني الشاحب.. واعتقد أني عدت للعمل وأنا زوجة فلم يفاتحني في أي شيء.. لكنى رويت له حكايتي فحاول إخراجي من وضعي اليائس ونجح في ذلك في خلال أيام وهنا قررت أن أتزوجه مها كانت الظروف والأسباب وتزوجته رغما عن أهلى هذه المرة فقاطعوني وهددوني بالويل والثبور وعظائم الأمور لكني لم أتراجع عن إتمام الزواج وها أنا الآن أعيش معه في سعادة وقد اختفت الحبوب السوداء وعادت لبشرتي نعومتها السابقة واختفت البقع البيضاء خلال أسابيع فيما يشبه المعجزة وتوقف شعري عن السقوط. وعادت إليه غزارته وجماله القديم. وأهم من كل ذلك عادت إليّ ابتسامتي وإقبالي على الحياة وحبي للناس والعمل والخير.. وأنا أريد أن أسألك ياسيدي هل اخطأت في حق أهلي بزواجي من زوجي بغير موافقتهم.. وهل كان عليّ أن انتظر أن يحضروا لي عريسا آخر ليفرضوه عليّ فيقضي على آخر ما تبقى من صحتي.. إنني أقسم لك بانني أكره أبي كرها شديدا وسأظل أكرهه ما حييت فهل أنا مخطئة في ذلك؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

يا إلهي.. أبعد كل هذه القرون مازال هناك من يفرض على ابنته زواجا لاتريده ويضربها عليه ويستعين بجدها على إيذائها وقهرها على القبول به؟

إنني لن أتحدث عن نظريات التربية الحديثة ولا عن المدنية وحرية المرأة وأحوال القلب والرومانسية والحب الشريف وكل تلك المقولات التي يعتقد البعض أنها من

مبتكرات الحضارة الغربية وحدها لكني سأروي لك قصة مرب عظيم جاءت إليه فتاة صغيرة السن لا مطلقة ولا أرملة وأخبرته بأن أباها قد زوجها من ابن اخيه وهي له كارهة فرد المربي الأمر إليها أي خيّرها بين أن تجيز ما صنعه أبوها فيصير زواجها مشروعا أو أن ترفضه فلا يصح ولا يكون فاستمعت لما قال بهدوء ثم قالت: قد أجزت ماصنع أبي لكني أردت أن أعلم النساء أنه ليس للآباء من الأمر شيء!

أفتدرين متى حدثت هذه القصة ومن هو هذا المربي الجليل.؟

إنه مربى البشرية رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم وأما القصة فقد حدثت منذ أكثر من 1400 سنة.. ولا عجب فيها لأنه القائل «الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر تستأذن في نفسها وإذنها صماتها» أي صمتها فإن لم تأذن فلا يجوز لأبيها أو وليها أن يهمل رأيها أو يتغاضى عن رضاها..

ففي أي عصر جرت القصة التي ترويها لي؟ وبأية مبادئ دينية أو تربوية اهتدى أبوك وهو يتفق على خطبتك الأولى بغير مشورتك، ثم على زواجك مع أبيه في غيابك كأنما يتفقان على شراء قطعة أرض ثم ينهال عليك مع جدك ضربا ليرغماك على زواج لا تريدينه فتقبلين راغمة وتزفين كارهة.. فتحتج الخلايا اللونية في جلدك على هذا القهر وتضطرب وتختل صحتك العامة فتظهر البثور السوداء ويتساقط الشعر رفضا واحتجاجا

أتتقدم البشرية للخلف أم للأمام؟

ولماذ لانهتدى بهدي ديننا وفيه الحل التربوي الأخلاقي المثالي لكل شئوننا إن أردنا؟

لا ياسيدتي لم تخطئي بزواجك من زميلك رغم إعتراض أهلك مادام كفئا لك ومادمت لاتنكرين عليه خلقا ولا دينا ويجمعكما حب شريف أقولها لك بالرغم من أني أطالب الأبناء بألا يخرجوا على طاعة آبائهم وألا يكفوا عن السعي لنيل موافقتهم على من يختارون لرحلة الحياة لكي تكتمل سعادتهم ولكى يتحصنوا برضا الأهل ضد غوائل الزمن، مؤمنا دائما بأن الأهل الأسوياء يسلمون في النهاية برغبة الأبناء المشروعة إذا لمسوا صدق رغبتهم فيمن اختاروه، وبالرغم من أني لا أشجع أبدا فتاة ولا ابنا على الزواج رغما عن إرادة أهله إلا إذا كان تعسف الأهل واضحا وبشعا ولا سند له من شرع ودين وبعد أن يستنفدوا معهم كل الوسائل المشروعة لإقناعهم.

لكن لكل قاعدة استثناء وحالتك هي هذا الاستثناء الذي لا أعترض عليه لأن الآباء أيضا مطالبون بأن يعينوا الأبناء على البر بهم بعدلهم وإنصافهم لهم.. فهنيئا لك زواجك السعيد واستعادتك لابتسامتك وصحتك، لكني أخذ عليك فقط تسلط إحساس الكراهية لأبيك عليك وهو إحساس لا إنساني ومخالف للطبيعة البشرية السوية مهما نالنا من عسف بعض الآباء والأمهات، وأكره منك الجهر بهذا الإحساس علانية ما في ذلك من إثم مؤكد ومصادمة للشعور لأن الله لا يحسابنا على

ماتنطوي عليه الصدور من أحاسيس إلا إذا أخرجناها للعلن وترجمناها إلى تصرفات وأفعال، لهذا فإني أرجو لك أن تتطهري من هذا الإحساس البشع ليس فقط برا بمن لم يكن بارا بك وإنما تنزيها لك عن أن تحملي مثل هذا الإحساس القاتل لأبيك وأن تأثمي به.

فاغفري له ماكان من أمره ولا تغلقي أبواب الصلح معه ومع أسرتك وحبذا لو خطوت الخطوة الأولى تجاههم بعد أن تزوجت ممن تحبين وتحول الحلم إلى حقيقة.. ولم يعد هناك مبرر لاستمرار القطيعة فافعلي ذلك ياسيدتي بعد أن تتطهري من ذلك الاحساس فالمرء لايهنأ له عيش ومابينه وبين أهله خراب. فبذلك وحده سوف تكتمل سعادتك وتصفو لك الحياة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

النظـرة البعيـدة

كنت طالبة بالجامعة حين أحببت زميلا لي وأحبني وتعاهدنا على الارتباط بعد التخرج. وتخرج زميلي وتم تجنيده.. واتفقنا على أن أفاتح أبي بالأمر وأمهد له الطريق لكي يتقدم لخطبتي ولم تكن مهمة هينة فلقد كان زميلي لايملك شيئا ومن أسرة فقيرة كبيرة العدد وأكثر أشقائه يعملون أعمالا حرفية صغيرة في حين يعمل الباقون بشهادات متوسطة بوظائف هامشية بسيطة، كما لم يكن المستقبل واعدا بأمل كبير في الاستقرار المادي في المنظور القريب فقد كان زميلي ينتظر انتهاء خدمته لكي يعمل - وحين يعمل سوف يساعد أسرته بجزء من مرتبه، في حين كنت أنا من أسرة من الأسر التي يطلقون عليها اسم الأسر الراقية المثقفة ونسكن في حي راق ولدينا أكثر من سيارة ومعظم أهلي يشغلون مناصب مرموقة. وتصديت للمهمة الصعبة وصارحت أبي بكل شيء بلا مواربة فكانت مفاجأة قاسية له وحاول أن يثنيني عن رغبتي متسائلا عن معنى ارتباطي بشاب فقير لايملك شيئا في حين أن أفضل شباب الأسرة يتمنون الزواج مني فأجيبه بأني قد اخترته لأخلاقه وتدينه. وينكر عليه أبي أن يسعى للزواج ممن لايستطيع ان يوفر لها مستوى الحياة الذي اعتادته في أسرتها أو بعضا منه فأجيبه بأن الأحوال لن تتجمد على ماهي عليه وإنما سوف تتحسن وسوف يعمل وقد يسافر للخارج فتزول الصعاب تدريجيا وتتفتح زهور المستقبل في طريقنا! ويعود أبي فيسألني كيف تتأقلمين مع أسرة زوجك وربما يفسرون في المستقبل كل كلمة منك أو إشارة بأنها تكبر أو استعلاء منك عليهم فأقول له إنه بالتفاهم والحب سوف تزول كل المشاكل إن شاء الله، ولايستسلم أبي بسهولة وإنما يجادلني بحرارة وصبر ويحذرني من أن فتاي سوف يجد نفسه مضطرا لأن يعمل ليل نهار لكي يوفر لي بعض متطلبات الحياة التي اعتدتها فلا أجده بعد الزواج الشاب الرومانسي الذي يسكب في أذني أحلى الكلام كما يفعل الآن فأقول له إن قلبي يريده وأني لن أستطيع الحياة إلا معه وأن الحب قادر على قهر كل الصعاب.

ولم يكن أبي وحده الذي عارضني بكل جهده وإنما اشتركت معه الأسرة كلها لكني صمدت لكل الضغوط وحاربت في كل الجبهات بضراوة وعناد حتى رضخت الأسرة لرغبتي وتم الزواج على مضض من أبي، ورغم ذلك فلقد ساعدنا مساعدات كبيرة في إتمام الزواج وحرص وهو يفعل ذلك على ألا يجرح مشاعر فتاي وأصر على ذلك لكي يضمن لي بقدر الامكان مستوى مقبولا من الحياة أو مستوى لايقل كثيرا عن مستوى حياة شقيقاتي حتى لايكون الفارق فاجعا بيني وبينهن.

وتزوجنا وسعدنا بانتصار الحب ونهلنا من رحيقه، ومضت السنوات وجاء الأبناء.. ولم اشك شيئا من حياتي أو من زوجي أو شكوت قليلا لكني تجاوزت ذلك حتى لاينهزم الحب لكن بدأ الابناء يكبرون ويتنبهون للفارق الواضح بين بيت أهل أبيهم المتهالك في الحي الشعبي القديم وبين بيت أهل أمهم في الحي الراقي، وبين الحياة الجافة والأقارب البسطاء، وبين الحياة البراقة والأشخاص المرموقين.. وبدأت ألاحظ الحيرة في عيونهم بسبب هذا الفارق الشاسع بين عالمين مختلفين

ومع الوقت بدأوا يتبرمون بالذهاب إلى زيارة أعمامهم وأقارب أبيهم ويتثاقلون ويتهربون ويتذرعون بالحجج لعدم الذهاب رغم حرصي على مصاحبتهم وتشجيعهم على ذلك في حين يتهللون لزيارة أهلي ويسعدون بالوقت الذي يمضونه في بيوتهم ولايبدون أية رغبة للانصراف من عندهم إذا زرناهم.. ويتمنون البقاء عندهم لأطول وقت ممكن.

ولاحظت ذلك وتألمت له فبدأت استرجع لأول مرة أحاديث أبي معي خلال محاولته إقناعي برفض الخطبة وتأكيداته لي أنه سوف يأتي يوم يحاسبني فيه أبنائي على تهاوني في حقوقهم وعلى تمزيقي لهم نفسيا بين أسرتين ومتفاوتي المستوى بشكل كبير.. وأدركت أني قد جنيت عليهم هذه الجناية النفسية ومزقتهم فعلا بين الأسرتين إذ لو كانوا قد وجدوا أنفسهم بين أسرتين متقاربتي المستوى سواء أكانتا فقيرتين أم ثريتين لماتعرضوا لهذه الأزمة.. ولما شقيت أنا بذلك. انني أحاول ان استحثهم قدر طاقتي على محبة أهل أبيهم لكني مع الزمن بدأت أرى وجه الحكمة في تحذيرات أبي يرحمه الله لي وفي كلماته عن ضرورة أن يكون طرفا الزواج متقاربين في المستوى الاجتماعي والثقافي لضمان أكبر قدر من التوفيق في الزواج وأريد ان ألفت نظر كل فتاة مقبلة على الزواج إلى أهمية إلا تهمل عقلها عند الاختيار وأهمية ان تختار شريكها بعقلها مع قلبها. ذلك أن الحب بين الشريكين وحده لايكفي لتحقيق التقارب بين أسرتي الزوج والزوجة، كما أريد ان أقول لكل فتاة وأنا استمطر الدعوات على أبي الغالي يرحمه الله أنه ليس كل أب يرفض زواج ابنته من شاب غير كفء لها يكره ابنته أو يكره سعادتها كما قد تصور لها أوهامها في وقتها وإنما فقط ينظر للصورة من كل الجوانب ويرى أبعد مما تراه وهي واقعة تحت تأثير عاطفتها وحدها.. وشكرا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

الأبناء خاصة في الصغر يفضلون نفسيا الانتساب إلى أقاربهم المرموقين ويميلون للقرب منهم والافتخار بهم في حين يميلون غالبا لتجاهل أقاربهم البسطاء وينأون عن الاقتراب منهم لأنه ليس لديهم ما يفتخرون به أمام الأقران، وهذه آفة قديمة ومعروفة لكن الأم لها دور أساسي وقد يكون الوحيد في تفادي هذه المحنة، إذ أن الابناء يتجهون عاطفيا وبطريقة تلقائية إلى أسرة الأم تأثرا بأمهم واقتداء بها. لهذا فانها تستطيع ان تبذر في نفوسهم حب الأسرتين والفخر بهما معا ولاشك ان لكل أسرة مزاياها فإذا كان الثراء والمستوى الثقافي والاجتماعي من مزايا أسرتك فربما تكون الطيبة والتدين والجو العائلي المريح والتفتح لحب الآخرين واحترامهم ودفء المشاعر تجاههم والترحيب بهم من مزايا أسرة زوجك.

لهذا فإن قليلا من الجهد المخلص من جانبك مع أبنائك يستطيع ان ينبه أذهانهم ويفتح عيونهم على مزايا أسرة أبيهم وعلى جدارتها بحبهم واحترامهم بنفس الدرجة التي يتوجهون بها بالإقبال والحب إلى أسرة أمهم.. ولعل مما يؤكد هذه الحقيقة إننا لانلمس كثيرا نفور الأبناء خاصة في الصغر من أسرة أمهم مهما كان مستواها الاجتماعي ومهما كان الفارق الاجتماعي والثقافي بينها وبين أسرة الزوج في غير صالحها مع ان المشكلة واحدة وقد يكون للتمزق النفسي بين الأسرتين مايبرره ومايدفعهم للفخر بأسرة ابيهم المرموقة ومع ذلك فإنهم لاينفرون غالبا من أسرة أمهم ولايتهربون من زيارتها لأن الأم قد غرست في وجدانهم منذ الصغر الميل لها والاعتزاز بها رغم بساطتها.

فإذا كان الأمر كذلك فراجعي نفسك ياسيدتي فلعلك قد ساهمت بغير إرادة في تعميق إحساس أبنائك بهذا الفارق الاجتماعي والثقافي بين الأسرتين.. ولعلك لو بذلت جهدا أكبر معهم لساعدتهم على أن يألفوا أسرة أبيهم وأن يؤدوا لها واجب الحب والاحترام الذي يؤدونه لأسرتك. وعلى أية حال فلقد قلت مرارا أني لا أهتم كثيرا لفارق مادي بين الزوجين بقدر ما اهتم للفارق الثقافي والاجتماعي بينهما لأنه هو الذي يصنع هذه الهوة في المزاج الثقافي السائد بين أسرتي الزوجين ويؤدي إلى اختلاف اللغة بين عالميها. وأفضل الزيجات غالبا هي ماهدى إليها القلب واستشير فيها العقل أو لم يتم تجاهله نهائيا فيها وكان مستوى طرفيها متقاربا ولا أقول متماثلا أو متكافئا..

أما عن ندائك الأخير لكل فتاة مقبلة على الزواج بأن تتبصر وجه الحكمة في رأي أبيها عند الزواج فهو نداء صائب وأكثر منه بلاغة هو نداؤك لكل فتاة بالاتتوهم ان أباها لايرغب عن سعادتها.. «أو يكرهها» حين يختلف مع رأيها في شريك حياتها المقبل خاصة إذا كان أبا متفهما وعطوفا وليس متسلطا أو متعسفا كأبيك الذي أدار معك بصبر وجلد محاورات طويلة مرهقة كمحاورات افلاطون محاولا إقناعك بوجهة نظره فلم تستبيني وجه الحكمة في رأيه إلا بعد خبرة السنين على ان تجربتك في النهاية لم تكن تعيسة أو شقية.. فإن لم تكن لديك أسباب أخرى للشكوى فإن مشكلة الأبناء وحدها ليست متعصية على الحل إذا صدقت إرادتك في أن تعدلي عدلا كاملا في استمالة أبنائك لكل من الأسرتين فاسرعي بذلك.. قبل ان تزداد الأزمة صعوبة وتتشكل نفسيات الأبناء نهائيا فلا تجدي معها محاولات جاءت متأخرة أو بعد فوات الأوان ..

وشكرا لك على رسالتك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الإحساس الغامض!

منذ 17 عاما، كنت طالبة بالمرحلة الثانوية وأعيش حياة عائلية هادئة وكان أبي مديرا بإحدى المصالح الحكومية وأمي مدرسة بالمدارس الاعدادية ومتفاهمين وتربطنا علاقة محدودة بأسر الجيران في نفس البيت ومن بينها أسرة لموظف كثير الأبناء، أبي يتحدث كثيرا عن كفاحه الشريف في الحياة ليعول 6 أبناء وبنات في المدارس والجامعات.

وبالرغم من جفاف حياتهم فلقد كان مظهرهم محترما وكانوا متفوقين في الدراسة ماعدا ثالثهم ـ سيئ الحظ ـ الذي رسب في السنة الأولى الثانوية رغم اجتهاده فأصيب بعقدة نفسية حين لحقت به أخته الصغرى وسبقه شقيقه الآخر في الدراسة..

فرسب للعام الثاني وتكدرت حياة هذه الأسرة المكافحة وبكى الأب كالأطفال ثم سلم بالأمر الواقع ووافق على انتقال ابنه للمدرسة الثانوية التجارية ليبدأ المشوار من أوله وأصبح هذا الشاب كسير النفس يصعد السلم خافض الرأس ولايتجاوب مع محاولات الجيران للتسرية عنه، وذات يوم كنت أهبط السلم ذاهبة إلى شأن من شئوني فوجدته أمامي فبادرته بالتحية، فأجابني «بذل» لم أنسه حتى الآن فتفجر في قلبي ينبوع من العطف عليه وأحسست بأني أريد أن أعيد إليه ثقته بنفسه، فاندفعت أسأله بغير تفكير متى ترفع رأسك وتستعيد تفاؤلك كما كنت زمان؟ ورحت أحدثه عن أن النجاح في الحياة ممكن أن يتحقق بأكثر من طريق فنظر إليّ حزينا ثم قال لي: وهل إذا تقدم إليك شاب مثلي بعد تخرجه وعمله تفضلينه على آخر له وظيفة مرموقة؟ فقلت له اني سأفضل من أحبه ويحبني ويسعدني مهما كان وضعه، ثم أسرعت بالنزول ومن ذلك اليوم اعتبر كل منا حديث السلم اتفاقا غير مكتوب على الارتباط.

والتحقت بكلية الصيدلة وحصل هو على الدبلوم بمجموع يقل درجة واحده عن الحد الذي تقبل به كليات التجارة خريجي المدارس التجارية فاصيب بانتكاسة نفسية واعتصم بشقته عشرة أيام لايغادرها. ثم عمل بعد فترة موظفا صغيرا في أحد بنوك القطاع العام واستدعى لأداء الخدمة العسكرية، وتخرجت من كلية الصيدلة وعملت في إحدى شركات الدواء.

وبعد فترة قصيرة عملت لنصف الوقت في إحدى الصيدليات وذات مساء رفعت رأسي لألبي نداء مشتر فإذا بي أمامه يرتدي زي المجند ويطلب نوعا من الدواء. فلم أتمالك نفسي وفرحت برؤيته وارتبك هو وأسرع يدفع ثمن الدواء ويحاول الانصراف. فصحت فيه: تعال يا دفعة، وطلبت منه ان ينتظر لكي يوصلني للبيت وانصرفت بعد قليل وسرنا نتحدث وهو لا يستطيع التخلص من خجله وإحساسه بأنه أقل مني وأنا احدثه ببساطة إلى أن تجرأ وقال لي انه سيعود إلى عمله بعد أسابيع وأنه ينوي ان يعيد دراسة المرحلة الثانوية من منازلهم ويلتحق بالجامعة مهما كانت التضحية. ويريد ان يتقدم لي لكنه خائف من رفض أسرتي له وأنا

اسمعه باهتمام. لكنه لم يتقدم لي رغم ذلك وإنما تقدم لي زميل بالشركة وكان شابا في الثانية والثلاثين من عمره وحاصلا على الماجستير ويعد للدكتوراه وأبوه طبيب قديم تعلم في ألمانيا وكنت احترمه لأنه مهذب وشديد الاحترام لنفسه وللآخرين ولم أعلن موافقتي وإنما قلت اني سأفكر في الأمر وتقبل ذلك بارتياح. واخيرا تشجع فتاي القديم وأرسل أمه لتفاتح أمى فقابلتها مقابلة حسنة لكنها أبلغتها أنني قد خطبت لزميل لي في الشركة. وغضبت من أمي لتسرعها في إعلان ذلك دون استشارتى فنزل كلامى عليها كالصاعقة. ثم شهد بيتنا الهادئ جلسات ومناقشات عاصفة وكان محور المناقشات كلها إنه لا وجه للمقارنة بين الاثنين وإنني عاقلة ويجب أن أفكر في مستقبل أولادي... إلخ وانتهى الأمر بإعطائي مهلة طويلة للتفكير ووجدت نفسي في جانب وحدي وأمي وأبي وشقيقتي وشقيقي وأقاربي في جانب آخر، وظللت على موقفي ستة أشهر وأسرتي تزداد تمسكا برفض جاري وإصراراً على زميلي.. ولم أكن مستعدة للخروج على طاعتهم وبدأت أميل إلى قبول زميلي في العمل ليس لمميزاته الأسرية والاجتماعية وحدها.. وإنما في الحقيقة لأني أحسست اني سأعيش معه في أمان حتى ولو لم تكن عاطفة الحب مشتعلة في قلبي تجاهه فهو واثق في نفسه وأستطيع الاعتماد عليه ولا يعاني من أي إحساس بالنقص، في حين أن فتاي رغم حبي له كان للأسف سلبيا ومنهزما ويعاني من الاحساس بأنه أقل مني ومن الآخرين واستسلمت لقدري وقبلت زميلي وسعدت أسرتي باختياري وتم زواجنا وانتقلت إلى شقة أنيقة، وعشنا حياة هادئة ليست فيها حدة العاطفة ولكن فيها المودة والاحترام المتبادل وبعد عام من زواجنا سافر في بعثة للحصول على الدكتوراه من أمريكا وسافرت معه وقررنا تأجيل الانجاب إلى ما بعد عودتنا، وحصل على الدكتوراه لكنه بدلا من ان يعود قرر العمل هناك لمدة عامين أو ثلاثة، فانجبنا طفلا وقبل ان يتم ابني الرابعة من عمره مرض زوجي فجأة فاستغثت بأصدقائنا هناك فنقلوه إلى المستشفى.. فما أن فحصه الأطباء حتى أدخلوه العناية المركزة. وسألت الطبيب المسؤول عن حالته فصدمني بصراحة قاتلة وبغير أية محاولة لاخفاء الحقيقة عني فسقطت على الأرض مغميا عليّ وتغيرت حياتنا فجأة وخيم عليها الخوف والكآبة وبعد عدة جراحات وأهوال لا أريد أن أتذكرها عدت إلى بلدي أرتدي السواد ومعي طفل صغير في الرابعة من عمره وصندوق كئيب يضم جثمان أبيه لكي نودعه ثرى أرض بلاده ورفضت في البداية العودة إلى الشقة التي عشت فيها سنوات زواجي القصيرة وعشت في بيت أسرتي لعدة أسابيع... وبعد أن تماسكت قليلا عدت إلى شقتي وفتحت نوافذها المغلقة وعدت إلى عملي وحافظت على علاقاتي الطيبة بأسرة زوجي ومضت ثلاثة أعوام على عودتي، ثم ذهبت لزيارة أسرتي فإذا بطارق على الباب، ولم تكن من عادتي أن افتح الباب حين أكون في زيارة أمي لكني نهضت بإحساس غريب لفتحه هذه المرة فإذا بي أجده واقفا أمامي يبتسم وينظر إليّ بحنان ولهفة إنه فتى الحب القديم الذي لم أره منذ 13 عاما فتسمرت أمام الباب وتولتني فرحة طاغية. أول فرحة حقيقية منذ عودتي الحزينة ومددت يدي إليه وصافحته في حرارة وانا أسأله عن أحواله.. وجاءت أمي تقول تفضل يادكتور محمد فدخل بخطوات واثقة

وهو لا يرفع عينيه عني.. ولا يكف عن سؤالي عن أحوالي وجلست مبهورة الأنفاس. وعيني لا تفارق عينيه.. ولاحظت بسرعة البرق أنه شخص آخر واثق من نفسه.. وأنيق ومنطلق... وجاءت أمي بالقهوة وقالت قهوتك يادكتور محمد فتنبهت لأول مرة لهذه الحكاية وسألته كيف أصبح طبيبا خلال غيابي؟ فأغرق في الضحك وروت أمي لي قصة غريبة هي انه أصر على استكمال تعليمه فحصل على الثانوية العامة نظام 3 سنوات وهو موظف والتحق بكلية التجارة التي حالت بينه وبينها درجة واحدة من قبل وحصل على البكالوريوس بتقدير جيد جداً فحصل بعدها على الماجستير في عامين.. ثم أوفد في بعثة إلى أوروبا لجمع مادة علمية للدكتوراه وعاد وحصل على الدكتوراه منذ أسابيع فقط، وخلال كفاحه هذا كان قد ترقى في عمله حتى أصبح مديرا مرموقا بأحد البنوك الاستثمارية.

أما ما هو أهم من ذلك فقد رواه لي بنفسه وهو انه لم يتزوج حتى الآن وأن صورتي كانت في خياله في كل مرحلة من حياته وتدفعه لأن يحقق لنفسه ما يتمناه لها وانه كان يحس إحساسا غامضا لايعرف له تفسيرا بأن أقدارنا سوف تلتقى مرة أخرى ولو في خريف العمر، ورغم ذلك فقد حاول ان يكون واقعيا فتقدم لخطبة إحدى زميلاته ولم يجد نفسه معها فاعتذر لها وصد بعدها محاولات غيرها للاقتراب منه تاركاً للزمن شفاء نفسه، ثم علم بعد عودته بترملي.. فتقدم لأمى يطلب يدي واثقا من أني سأقبله لأننا حب العمر الذي لايعوض فإذا بي أقبل على الفور عرضه وبغير تفكير وأعده بأني سأتصل به لأبلغه بالجديد قريبا. وانصرف وهو يتوعدني بأنه سيصحب المأذون معه إلى الشركة التي أعمل بها ان تأخرت عليه في الرد.

وما أن أغلق الباب حتى انهرت باكية واجتمعت الأسرة لبحث الأمر.. ولم يرفض أحد لكنهم فقط تحسسوا مما سيكون عليه موقف أسرة زوجي الراحل ومن المشاكل التي ستترتب على قبولي الزواج.. وإلى أي حد ستصل هذه المشاكل وهل سيحاولون حرماني من طفلي أم لا وقلت للجميع انه لا رغبة لي في أي ماديات ولا أحرص على شيء سوى طفلي وحقوقه وإن أسرة زوجي لا يمكن أن ترضى بحرمان طفلي من أمه بعد أن حرم من أبيه.. ثم لماذا أحرمه من أب مثل فتاي القديم الذي يحبني من أعماقه وسوف يحب ابني لأنه قطعة مني.. وأسرتي لاتعارض لكنها تراني مندفعة فهل انا حقا كذلك؟ أليس من حقي ان أعيش إلى جوار رجل تمنيته ويتمناني من كل قلبه منذ سن الصبا؟ لقد فرحت بلقائه وربما طمحت إلى الارتباط به منذ رأيته على باب الشقة وقبل ان أعرف تطورات حياته الجديدة فماذا يضير الآخرين في ذلك وهل من العدل ان أعيش وحيدة من سن الخامسة والثلاثين إلى ان ينتهي الأجل؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

رأيي دائما يا سيدتي هو ان المرأة إذا استشعرت احتياجها القوي للزواج، وتوافرت لها أسبابه اللائقة بظروفها وسنها ومكانتها، وبغير أن ينعكس بالضرر الظاهر على أبنائها، فان الزواج في هذه الحالة أجمل بها من تعريض نفسها للفتنة وأرحم بها من مغالبة النفس لردها عن الأهواء.

وفي ظروفك أنت بالذات فإن الزواج ليس مجرد احتياج نفسي واجتماعي وبيولوجي، وإنما هو أيضا احتياج عاطفي مكتوم منذ أكثر من 17 عاما مما يضاعف من شدته وضرورته: " والحق أني لست استبعد ان يكون نفس هذا الإحساس الغامض بأن أقداركما قد تلتقي مرة أخرى في مرحلة ما من العمر قد راودك أنت أيضا ولو في الخيال عقب ترملك ومكابدتك آلام الوحدة، لأن النفس في ضعفها وأحزانها تتلمس العزاء في الأحلام القديمة التي حالت دونها ظروف الحياة وتحلم بمعجزة من السماء تحول شقاءها إلى سعادة. فإذا كان هذا الاحساس قد راود فتاك 17 سنة وساهم بدور كبير في قصة كفاحه العظيمة هذه، ثم تلاقت أقداركما فعلا في الواقع وليس في الخيال وبغير سعي من أحدكما وراءها.. فهل تظنين ان فتاك القديم سوف يتنازل عنك بسهولة هذه المرة.

بل وهل تظنين انك سوف تسمحين له أنت بهذا الانسحاب والتنازل مرة أخرى. وماذا يضير أسرة زوجك في ذلك وهذه هي سنة الحياة التي لاتبديل لها، وأنتما في النهاية لاتطلبان حراما ولاتسعيان وراء أمر منكور، صحيح ان أحزان المكلومين تتجدد في مثل هذه المناسبات التي تنكأ الجراح القديمة، لكن هذه المشاعر الإنسانية الطبيعية لاتحول بين الإنسان العادل وبين التسليم بسنة الحياة وبحق الآخرين فيها شرع لهم.

فقط عليك ياسيدتي أن تحافظي على الخيط الرفيع بين ممارسة الإنسان لحقه المشروع في الحياة وبين استفزازه للآخرين بهذا الحق. وهذا أمر يمكن إدراكه بالحرص على مشاعر الأب المكلوم وشقيقات وأشقاء الزوج كالتحفظ في الاحتفال بالزواج مثلا ثم بالتفاهم الودي على كل الأمور المعلقة وطمأنة أسرة الزوج إلى أن طفلك سيلقى عناية أفضل في حياتك الجديدة. وبالحرص على زياراتك لها وفي هذا الشأن تستطيعين الاستعانة باحدى شقيقات زوجك الأقدر كامرأة على فهم أزمتك كشابة وحيدة على التمهيد لك في الحصول على قبول أبيها وعدم منازعتك في الأمور المشتركة والزمن كفيل بمداواة كل الجراح في النهاية والعلاقات الإنسانية رهينة بحرص الإنسان على الآخرين وحسن معاملته لهم والصبر عليهم وأغلب ظنى ان والد زوجك الطبيب القديم الذي تعلم في ألمانيا سوف يكون أكثر واقعية وأكثر عدلا وإنصافا مما يتصور كثيرون ولن تواجهى مشاكل حادة بإذن الله.

أما عن لقائك بفتاك القديم على غير توقع بعد كل هذه السنوات فليس هناك تصوير أبلغ له مما قاله قيس بن الملوح في قصيدته المعروفة باسم المؤنسة:

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما

يظنان كل الظن ان لاتلاقيا!

جمع الله الغرباء جميعا بعد الظن «ان لاتلاقيا».. واعاد كل الطيور المهاجرة إلى أعشاشها المنتظرة كما جمع بينكما إن شاء الله.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الحلـم العجيب!

أنا ياسيدي شاب في التاسعة والعشرين من عمري ابن وحيد لأبوين.. ينحدران من أصل ريفي وخريج إحدى الكليات المرموقة ووسيم وعلى خلق ومتدين وصحتي جيدة ولدي شقة فاخرة بحي راق وسيارة وحالتي المادية ميسورة والحمد الله. وأنا كأي شاب تتوق نفسه إلى زوجة تشاركه الحياة بما فيها من هموم وأفراح ولحظات شقاء ولحظات سعادة.. وأوقات للمشاكل وأوقات للصفاء إلى آخر أحوال الزواج الجميلة هذه.. بالإضافة إلى أن أبي وأمي يلحان عليّ منذ فترة إلحاحا شديدا لكي أتزوج خاصة وإني مستعد ماديا للزواج كما أن أبي على حد قوله يريد ان يفرح بذريته من أبنائي وهو الريفي النشأة الذي يقدس الزواج والإنجاب.. ولو استجابت الأقدار لأمانيه لكان لي من الأشقاء كثيرون لكن ظروفا معينة شاءت ألا ينجب غيري وأن أكون ابنه الوحيد الذي ينتظر منه أن يملأ عليه شيخوخته بالأحفاد.. لكن تأتي الرياح بما لاتشتهي السفن فقد اكتشفت للأسف خلال إجراء تحليلات طبية بالصدفة منذ فترة أني عقيم وأن احتمال إنجابى سيظل ضعيفا حتى بعد العلاج الطويل والمشكلة ليست فقط في ذلك وإنما في أني اكتشفت هذه الحقيقة قبل الزواج مما زاد تعقيدها ومن عبئها النفسي عليّ.. ذلك أني لن أستطيع أن أخطب فتاة وأنا أعرف مشكلتي وأكتمها عنها فإن صارحتها بها منذ البداية فأين هي الفتاة التي توافق على عريس تعرف مسبقا أنه عقيم وإن لم أفعل فكيف أخدع من ستكون رفيقة العمر في أمر جوهري كهذا الأمر وخلقي وديني لا يرضيان لي بذلك أم ترى أنه ينبغي عليّ أن أبحث عن فتاة عقيم مثلي لأحقق المثل الشعبي المعروف الذي يتحدث عن اجتماع التعيس مع خائب الرجاء ولو أردت ذلك فأين هي الفتاة التي تعرف أنها عقيم من قبل أن تتزوج. أم ترى أنه ينبغي عليّ أن اتخلى نهائيا عن فكرة الزواج وأضرب عرض الحائط برغبتي المشروعة في الزواج وأنا سليم من الناحية الجسدية ولي احتياجاتي الطبيعية واتجاهل إلحاح أبي وأمي على الزواج مع مافي ذلك من إغضاب لهما لا أريد ان احمل وزره والغريب ياسيدي إنني أحلم كثيرا هذه الأيام حلا عجيبا من أحلام اليقظة أرى نفسي فيه متزوجا بالفعل ولست أعرف كيف؟ وأراني بعد ان توطدت العلاقة بيني وبين زوجتي أصارحها بنبل الإنسان المضحي كما في الأفلام - بحقيقة حالتي ثم أخيرها بين أن تستمر معي أو ان أسرحها بإحسان لتشبع أمومتها مع زوج غيري.. فتسارع «زوجتي» بوضع يدها على فمي وتقول لي عاتبة بنفس الطريقة السينمائية: « اخص عليك أبعد كل هذا الحب تجرحني بهذا الكلام إنك عندي بالدنيا كلها..» ومازال هذا الحلم العجيب يلاحقني.. ومما يزيد من معاناتي أني لا أريد لأبي أن يعلم بأي حال من الأحوال بمشكلتي.. ولا أعرف كيف سيكون وقع الخبر عليه إذا عرف به ولست أستبعد أن يفكر في الزواج لكي يرى الذرية التي يريدها بواسطته هو إذا يئس مني فهل من حق من كانت له مثل ظروفي أن يتزوج؟.. وهل يوجد نص في الشرع أو القانون يبيح للزوجة حق الطلاق إذا كان زوجها عقيما؟

وهل أجد عندك تصورا معقولا لحياتي المستقبلية لا يكون فيه ظلم لأحد؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

ما تصفه بأنه الحلم العجيب ليس حلما ولا عيبا وإنما هو واقع يعيشه كثيرون غيرك مع زوجات اخترن الزوج المحبوب واكتفين به وتلمسن السلوى في جوانب أخرى من جوانب الحياة العديدة.. ولكل حال جمالها ياصديقي.. والحياة دائما سيمفونية ناقصة.. ولوحة لا تكتمل كل عناصرها أبدا.. وإنما لكل إنسان دائها في حياته ما يرضى عنه وما يتطلع إليه.. والزواج بدون أبناء ينجح كثيرا ويثمر حياة زوجية لها طابعها الخاص الذي يعوض به الله ما يحجبه عن أطرافه، إذ أنه زواج عواطف ومشاعر وإيناس دائم حتى نهاية العمر.. ومجرد استمراره هو دليل نجاحه ودليل توقد مشاعر طرفيه حتى اللحظة الأخيرة.. في حين أنه في حالات ليست قليلة لا يكفي استمرار الزواج الآخر دليلا على نجاحه أو توقد العواطف أو توافر المودة والرحمة فيه على الأقل إذ قد يكون في بعض الأحيان تضحية بسعادة الزوجين وإيثارا وحرصا على سعادة الأبناء وهذا هو ما أعنيه بأن لكل حال جمالها ومتاعبها أيضا، وهذا هو التعويض الإلهي لمن حجبت عنهم الذرية.. ألا يتزوجوا إلا بالحب والا يتساكنوا إلا بالمودة وحسن المعاشرة وأن تزداد اللمسات الشاعرية والعاطفية في حياتهم عن غيرهم لأنه لامعنى لاستمرار زواجهم ان خلا من كل ذلك أما مجالات التعويض النفسي فهي كثيرة.. ولقد كان جمال الدين الأفغاني يقول «من ترك شيئا عاش بدونه» والإنسان يستطيع دائما أن يتواءم مع ظروفه وأن يتعايش معها إذا رضي بها.. فإن أسفت لشيء في كل ذلك فهو فقط لأنك ابن وحيد.. يتركز فيه حلم الأبوين بالأحفاد، ولا يمكن أن يتحقق عن غير طريقه. لكن ماذا نفعل ياصديقي ونحن لا نملك من أمرنا شيئا.. ولانختار لأنفسنا ما لا نرضاه لها. لهذا لست أرى لك أن تكابد هذه المعاناة وتتحمل ضغط أبويك عليك للإسراع بالزواج وهما لايعرفان حقيقة ظروفك.. إذ ممن تتخفى ياصديقي وماهو «الإثم» الذي جنيته لتتكتمه عنهما؟ إنهما أبواك وأقرب الناس إليك واشراكهما معك في أمرك ييسر عليك ما تتصوره حلا مستحيلا ويوسع أمامك مجالات الاختيار.. بل ويعفيك من أن تعرض نفسك على أحد إذ لن تقترب منك إلا من تتمناك لنفسها وللأمهات فنون في ذلك لا يدركها الأبناء مهما حاولوا كما أني لا أشاركك مخاوفك من ان يدفع علم أبيك بظروفك إلى الاقدام على الزواج لكي يصنع أحفاده بيديه.. **وإنما هي غالبا مغالاة منك في الاحساس بخطورة ظروفك مع أنها ظروف لاتنفرد بها وحدك.. وليست نهاية الدنيا، وتصوري انك تستطيع أن تجد كثيرات يتنافسن للفوز بك.. أفضل المرشحات لك فعلا هي من لها مثل ظروفك لكيلا يشغلها عنك تطلع مكتوم إلى الأمومة، لكنك تتساءل وكيف تعرف الفتاة قبل الزواج انها كذلك وسؤالي أنا لك ولماذا تتساءل عن «الفتاة» وحدها ولا تتساءل عن «السيدة» التي اختبرت نفسها وعرفت أنها لن تنجب وهن**

أيضا كثيرات؟ فإن جمعت الحياة بينك وبينها فإن اشراك أبويك معك في أمرك من البداية يعفيك على الأقل من شرح أسباب تفضيلك لها على غيرها؟

كما أن الحب الحقيقي يعفيك من كل ذلك إذا جمعك بأخرى فتاة كانت أم سيدة واطلعتها على ظروفك منذ البداية لهذا فقد ترددت في أن أجيبك عن سؤالك الآخر عن «النص» الذي يبيح للزوجة طلب الطلاق في مثل هذه الحالة.. لكني راجعت نفسي.. إذ ماذا يفيد تجاهل الأمور، نعم هناك نص في قانون الأحوال الشخصية يعطى الزوجة حق طلب التفريق بينها وبين زوجها ـ وعفوا للتعبيرات القانونية ـ إذا وجدت به عيبا لايمكن البرء منه أو يمكن بعد زمن طويل ولا يمكنها المقام معه إلا بضرر، سواء كان هذا العيب بالزوج قبل العقد ولم تعلم به أم حدث بعد العقد ولم ترض به فإن تزوجته عالمة به أو حدث بعد العقد ورضيت به صراحة أو دلالة بعد علمها فلا يجوز التفريق.

لكن ما أهمية كل ذلك وأنت بخلقك ودينك لن تتزوج إلا ممن تتمناك وترضاك كما أنك بنبلك لن تمسك عليك من ترغب عن الاستمرار معك لأي سبب من الأسباب؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لقـاء الصبـاح

أنا شاب أبلغ من العمر ثمان وثلاثين سنة خاض أبي الموظف الصغير ملحمة كفاح مريرة ليعلمني أنا وأخي وأختى حتى تخرجنا من الجامعة - وبعد أن أنهيت تجنيدي وفقني الله في الحصول على عمل حكومي يناسب مؤهلي.

وكنت خلال دراستي قد تعرفت بفتاة تسكن معنا في نفس الشارع وتدرس بالجامعة.

وتعاهدنا على الارتباط.. وكنا نلتقي كل صباح على محطة الأتوبيس فنتحدث لمدة نصف ساعة ونتبادل الأخبار ثم يركب كل منا إلى كليته وظل هذا اللقاء الصباحي هو محور حياتي ثلاث سنوات كاملة حتى تخرجنا معا. ثم بدأت أسرتها تضغط عليها لقبول من يتقدمون إليها وهي صامدة ترفض بإصرار حتى ضاق بها أبوها ذات مرة وهددها بأن يرغمها على قبول آخر من تقدموا لها.. فلم تتحرك عن موقفها حتى سألها هل تنتظرين أحدا فأجابته بأدب وبعد أن قبلت يده بأنها تنتظرنى ولن تتزوج غيرى! ورايت من واجبي أن اتحرك ففاتحت أبي وأمي. فقال أبي الحكيم أطال الله عمره كان ينبغي أن تؤجل زواجك عدة أعوام حتى التقط أنفاسي.. لكن الفتاة لاذنب لها في ظروفنا.. وهي فتاة طيبة وأصيلة وخسارة أن تفقدها. لهذا فسوف أستبدل جزءا من معاشي وأقدم المبلغ لك وعليك أنت الباقي، فلم أملك إلا أن أقبل يده ورأسه شاكرا وممتنا. وقرأنا الفاتحة.. وبدأت الرحلة الصعبة فطلب أبوها مني تقديم شبكة على الفور وإحضار شقة بعد عام على الأكثر. وقدم لي أبي المبلغ الذي استبدله من معاشه فاشتريت به الشبكة وأعلنا الخطبة. وبدأت رحلة الألف ميل لتوفير مقدم الشقة فحرمت نفسي من كل شيء حتى من كوب الشاي في العمل، وانقضى عام طويل لم أوفر سوى مبلغ تافه لايصلح مقدما لشقة وزمجر أبو فتاتي طالبا الوفاء بالوعد فرجوته أن يطيل المهلة عدة شهور وأنا لا أعرف كيف سأحقق هذا الحلم المستحيل.. وفجأة وأنا في قمة أضطرابي وكربي جاءتني فرصة للسفر إلى الخارج فأسرعت بالحصول على أجازة بدون مرتب.. وانفقت كل مدخراتي في شراء تذاكر السفر وإنهاء الأوراق، وسافرت محملا بالآمال والأحلام. ففوجئت بعد وصولي إلى الدولة العربية أن الكفيل أي صاحب العمل الذي استقدمني ليس عنده عمل لي ووجدت نفسي أعمل أعمالا متقطعة لعدة أسابيع أحصل على أجري منها ثم أتركها لأن الكفيل يرفض التنازل عن كفالتي وفى نفس الوقت ليس لديه عمل لي، وعلى هذا الحال عشت عاما طويلا إلى ان استقررت في عمل مناسب ودفعت للكفيل مبلغا جسيما من كدي وعرقي لكي يتنازل عن كفالتي فعملت لمدة عامين لدى صاحب عمل آخر وطالبتني خطيبتي بالعودة لعقد القران وللتعاقد على شقة عثرت عليها فعدت في أجازة وجمعت كل ما معى فوجدته ينقص عن المبلغ المطلوب. وتوقفت يائسا فإذا بشقيقي الأصغر يقدم لي كل ما ادخره خلال عامه الأول في العمل وإذا بفتاتي وبدون مشورتي قد باعت شبكتها وقدمتها لي.. وجمعنا المبلغ المطلوب

وتعاقدنا على الشقة وعقدنا القرآن وظهرت عروسي فيه ترتدى شبكة دولية كل قطعة منها مستعارة من إحدى قريباتها!

وعدت لعملي فلم استمر به سوى ثمانية شهور أخرى ثم سدت أبواب العمل هناك فعدت إلى وظيفتي في مصر، وإنتظمت في سداد الأقساط وبعد عدة شهور تزوجنا، وأصبح مرتب زوجتي كموظفة في أحد المرافق العامة هو المورد الأساسي للبيت أما مرتبي أنا فيذهب لسداد الأقساط وبعد عامين انتهيت من سداد أقساط الشقة.. وبدأت أنا وزوجتي الحديدية الارادة نلتقط أنفاسنا.. وقررت زوجتى أن الوقت قد حان للانجاب فحملت وزادها الحمل جمالا على جمال ثم جاء «علاء» فقلب حياتنا رأسا على عقب، وأصبحنا لانفترق نحن الثلاثة وكنت قد تعودت أن أترك لزوجتي التصرف في دخلنا لثقتي في حكمتها.. فدفعت دين أخي على أقساط ثم خطبت أختي وبدأ الاستعداد لزواجها فانتظمت في دفع مبلغ مناسب لمدة عام لأمي وبدون أن تطلب منها ذلك، وقبل أن أقرر أنا كيف سأشارك أبي في هذه المسؤولية وبعد عدة أعوام أخرى احتفلنا بمرور 10 سنوات على زواجنا السعيد وتأكدت من أنني مازلت العاشق المتيم الذي كان يقف كل صباح على محطة الأتوبيس ينتظر فتاته الجميلة.

وبعد شهور من احتفالنا جد جديد في حياتنا الهادئة، فلقد اتصل بي زميل سابق تعرفت به في عامي الأول بالوظيفة عندما جاء ليجدد أجازته بدون مرتب، ثم أصبح بعد ذلك يكلفني عن طريق الخطابات بتجديدها إلى أن انتهت أجازته فقدم إستقالته من العمل وأنهيت له كل إجراءاتها، فقد دعاني الصديق إلى لقائه ولم يكن قد اتصل بي منذ 5 أعوام فذهبت إليه في المكان الذي حدده، فإذا به شقة تحمل اسم شركة، واستقبلني مرحبا وروى لي أنه عاد لمصر منذ عامين وأسس شركة خاصة وعمل فيها بجد حتى توسعت أعمالها ولم يعد قادرا على إدارتها وحده، لهذا فهو يعرض عليّ الاستقالة من عملي أو الحصول على أجازة بدون مرتب للعمل. معه لأنه كما قال يحتاج إلى رجل أمين مثلي! ووعدته بأن أفكر في الأمر وعدت إلى مستشارتي فاستقر رأينا على ألا استقيل وأن أحصل على أجازة وبدأت عملي معه بكل جد وإخلاص ولم تمض سوى شهور حتى بدأ يعتمد عليّ ويترك لي العمل خلال أسفاره العديدة، وتحسنت أحوالنا المالية وبدأنا أنا وزوجتي نعرف لأول مرة بعض الراحة المادية وبارك الله في رزقنا وفي أسرتنا وفي سعادتنا لالتزامي طوال حياتي بتجنب الحرام.

ومضى عامان على عملي الجديد ثم دعاني صديقي إلى بيته مع زوجتي في إحدى المناسبات وكانت أول مرة ندخله فتعرفنا بشقيقته وهي مطلقة في الأربعين تزوجت أربع مرات ولم تنجب وترعى أولاد شقيقها ثم تكررت دعوتها لي إلى البيت في مناسبات مختلفة، ثم فوجئت بشقيقته تزورنا في الشركة وتطلب مني مرافقتها لمعاينة الشقة الجديدة التي سينتقلون إليها قريبا لتبلغني بما تريد من تعديلات فيها لأتابع تنفيذها وذهبت معها وسجلت كل رغباتها، ثم تكرر اتصالها بمناسبة وبغير مناسبة، وتكررت دعواتها لي لزيارتها في البيت فبدأت أعتذر بالعمل وإنشغالي وكنت أروي لزوجتي كل شيء بالتفصيل فبدأت تقلق.. ثم بدأت

تفقد أعصابها.. ثم فوجئت بشقيقة صديقي تزورني في مكتبي وتسألني صراحة: لماذا تتهرب مني؟

فلم أجد بدا من إجابتها بصراحة بأني رجل متزوج وأحب زوجتي وإبنى ولا أعدل بها أي شيء في الدنيا كما أني رجل مستقيم أكره أن أفعل شيئا يغضب ربي، فإذا بها تقول لي مندهشة: ومن يطالبك بالتخلي عنها.. لقد أحببتك وأريد أن اتزوجك مع احتفاظك بزوجتك ولن تخسر شيئا بل ستكسب الكثير! ولم أعرف بماذا أجيبها فتخلصت من الموقف بادعاء إضطراري للنزول و انصرفت.

وترددت هل أصارح زوجتى بذلك أم أكتمه ـ لكني كنت قد تعودت على الصراحة معها في كل شيء فصارحتها ـ فنصحتني بالاستقالة من العمل والعودة لوظيفتي تجنبا للمتاعب.. ولأن رزقنا في هذا المكان قد توقف عند هذا الحد، ولم أعترض لكني قررت ان أتريث قليلا لعلي أستطيع تجاوز الأزمة بدون تضحية.. لكن مطاردات المرأة لي زادت عن حدها فراحت تطاردني بالتليفون وبالزيارات وبتدبير المناسبات لدعوتي شقيقها للعشاء أو الغداء.. وراحت تطاردني بالنظرات كالمراهقة.. وبخطابات الحب الصبيانية.. فحسمت أمري وصارحت صديقي بالأمر بغير الدخول في تفاصيل فأجابني مغتها أنها شقيقته الوحيدة وأنها ترعى أولاده الذين تخلت عنهم أمهم وتزوجت شابا أصغر منها منذ عدة سنوات بعد أن إستنزفته مالا كثيرا وأن مشكلة شقيقته هي إندفاعها وراء مشاعرها لهذا فقد تزوجت 4 مرات من أشخاص غير مناسبين وفي كل مرة تلجأ إليه باكية ليطلقها ويتكلف أموالا طائلة في سبيل ذلك وكان يعود من الخارج خصيصا ليطلقها ويرجع، ثم نصحني في النهاية بأن أتصرف معها بما يمليه عليّ ضميري بغير أن أخشى أن يؤثر تصرفي على عملي معه سواء قبلتها أم رفضتها لأنه كما قال رجل أعمال يحكم عقله في عمله ولأنه يريدني أن استمر معه في العمل في كل الأحوال.. فواصلت صد شقيقته بكل الطرق. ورفضت دعوتها لي لزيارتها خلال سفر شقيقها وتهربت منها بكل الحيل وصارحتها مرارا بأني لا أحب إلا زوجتي ولن أحب سواها لأنها قصة عمري فلم تيأس.. وازدادت اندفاعا حتى أصبحت تأتي إلى مكتبي وتناقشني بصوت عال في الموضوع حتى يسمع شقيقها صوتها من مكتبه المجاور ويأتي لينهرها ويأمرها بالانصراف إلى أن تجاوزت كل حد ففقدت أعصابها مرة وانهالت عليّ بالشتائم.. وباتهامي بأني أحب الفقر وأن «أسيادي» يتمنون بعض ما تعرضه على.. وكانت فضيحة لم أستطع احتمالها فاستقلت وعدت إلى عملي الحكومي وأنا سعيد بإنتهاء هذه الفترة المضطربة من حياتي ولم تأبه زوجتي بنقص دخلنا إلى أقل من النصف بل سعدت باستقالتي واعتبرتها هدية حب لها واحتفلنا بتخلصنا من هذه المحنة بقضاء سهرة سعيدة. وتقبلت حظي شاكرا الله ما سمح لي به من فضل خلال الأعوام الثلاثة الماضية و انتظمت في عملي الحكومي، وعدت لركوب المواصلات بعد أن أعدت سيارة الشركة لها لكني أصبحت الآن قادرا والحمد لله على ركوب الميكروباص بل وسيارة الأجرة أحيانا. وسبحان الله يا سيدي فإن شيئا لم يتغير في حياتنا ولا في إنفاقنا أو طعامنا بعد أن انخفض دخلنا إلى النصف تقريبا وإنما عشنا حياتنا

البسيطة نسعد بأبسط الأشياء.. ونفرح بكل ماينعم علينا به الله سبحانه وتعالى.. ونسيت هذه القصة كلها خلال الشهور الستة التالية ثم فوجئت منذ أسبوعين بصديقي القديم يتصل بي ويدعوني لمقابلته وذهبت إليه في النادي فطالبني بالعودة للعمل معه لأنه لايثق في أحد غيري، وطالبني بالصبر على شقيقته مؤكدا يى أنها قد هدأت الآن ولم تعد تتحدث في هذا الموضوع! ووعدته بأن أفكر في الأمر.. وعدت إلى مستشارتي أعرض عليها الموضوع فلم أكد انتهى منه حتى وضعت أمامي الأمر هكذا: إما الرفض وإما طلاقها على الفور لأنها لن تحتمل أن تراني أضيع منها شيئا فشيئا أمام عينيها.. وأنا كما قالت ثمرة عمرها كله.. وحاولت عبثا أن أقنعها أني لا أرضى بغيرها بديلا ولو كانت أجمل وأغنى إمرأة في العالم فلم تتنازل عن رأيها.. ثم اتبعت ذلك بتصرف لم تفعله مرة واحدة خلال 14 عاما من زواجنا هو أنها تركت البيت بعد إستئذاني وموافقتي وعادت إلى بيت أسرتها في انتظار أن أحسم أمري وأبلغ صديقي بقراري النهائي وافترقنا لأول مرة منذ زواجنا والغريب أني أزورها في بيتها فتستقبلني بكل الحب والاحترام وتقف على خدمتي وأنا أتناول الطعام.. وتطهو لي الأطعمة التي أحبها كما تتصل بابنها عدة مرات كل يوم وتوصيه بطاعة بابا.. ولا ترفض الحديث معى إذا خاطبتها بل وتذهب إلى الشقة خلال غيابي وتغسل لي ثيابي وثياب علاء وتنظف الشقة وتطهو لي بعض الطعام ثم تنصرف قبل عودتي.. وفى إحدى المرات «ضبطتها» وهي خارجة من الشقة فأسرعت تجري إلى المصعد كأنها هاربة من جريمة!

فما رأيك يا سيدي في هذه التصرفات.. وهل تراها على حق فيما تطلب لقد كان آخر ما توصلنا إليه هو أن نحتكم إليك.. فبماذا تحكم؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

حكمى يا سيدي هو أنك رجل رائع. وأن وزوجتك سيدة رائعة.. وأن كليكما يستحق الفوز بجائزة الاخلاص والقناعة والرضا والفهم الصحيح لمعنى السعادة الحقيقية التي لا علاقة لها بمال أو جاه. وأسبابي لهذا الحكم هو أنه حتى خلافكما الطارئ المؤقت هو خلاف حب يبعث في النفس الاحترام لكلا الجانبين وليس خلاف ماديات أو خلاف تشاحن أو بغضاء فكلاكما مقتنع بأن السعادة الحقيقية هي أن يسكن الإنسان إلى قلب يحبه ويحنو عليه ويخلص له ويشاركه رحلة الحياة بحلوها ومرها، وكلاكما مقتنع بأنه لاسعادة له إلا مع الآخر وعلى أي مستوى من الحياة تسمح لكما به الظروف وهو على استعداد لأن يضحي بكل شيء آخر في سبيل ذلك، لكنكا مختلفان بعد ذلك في نقطة ثانوية هي أنك تؤمن إيمانا صادقا بقدرتك على الصمود لمطاردات هذه المرأة المتهالكة بغير أن يؤثر ذلك في استقرار حياتكما السعيدة أو يمثل لك أي إغراء من أي نوع، وبالتالي فقد تسعد نفسك وأسرتك بما تدره عليك عودتك لهذا العمل من رزق شريف.

وزوجتك على الناحية الأخرى تؤمن بأن الوقاية خير من العلاج وأن عودتك لنفس العمل سوف ترشحك رغم المزايا المادية لفترة أخرى من الاضطراب والقلاقل قد تسمح للشقاق بأن يتسلل إلى عشكما الهادئ.. كما سوف تعرضها لأن تنهش الغيرة والقلق قلبها، والقلق وحش يلتهم بالفعل لا بالمجاز جسم الإنسان وسعادته ويرشحه لأمراض عديدة كفاكما الله شرها. وكل منكما مصيب! لكني رغم ذلك أميل إلى تأييد موقف زوجتك ومطلبها تجنبا للمتاعب وبعدا عن كل أسباب النزاع والكدر ثم أيضا لأني أتصور أن هذه المرأة لن تسلم بهزيمتها بسهولة ولن تتنازل عن رغبتها إما بالفوز بك أو بالانتقام منك والاساءة إليك وربما إيهام زوجتك بأنها قد نجحت في الفوز بك بشكل أو بآخر فتفسد عليكما سعادتكما قبل أن تندفع وراء مشاعرها في إتجاه آخر.

فهذه المرأة من النوع الذي وصفه الكاتب الفرنسي العظيم أناتول فرانس «بالموت الحي».. التي لاتكاد تقترب من حياة من ترغب فيه سواء قاومها أو استجاب لها حتى تدمرها بتقلب مشاعرها وبسرعة كراهيتها لمن أحبته من قبل.

لهذا فإني أفضل لك أن تنتظر فرصة أخرى لا تحمل معها كل هذه المخاطر ومن كان في مثل أمانتك وطهارتك لن تبخل عليه الحياة بفرصة أخرى أفضل من التي ضحى بها التزاما بقيمه ومبادئه.. بل ولربما جاءت إليك نفس الفرصة المواتية الآن ولكن في ظروف أفضل حين ترسو سفينة هذه السيدة في مرفأ آخر.. وتتزوج بفارس جديد وتنسى قصتك.. وليكن هذا هو مدخلك للاعتذار لصديقك القديم بدعوى أنك تفضل ألا تعود للعمل إلا بعد ان تتزوج «الهانم» بإذن الله وهي سوف تتزوج عاجلا أو أجلا فمثلها يجد الزوج بلا عناء وبمجرد أن تقرر ذلك، فإذا وافقت زوجتك على عودتك لهذا العمل بعد زواجها ثم طلقت مرة خامسة وهذا إحتمال وارد أيضا فقدم إستقالتك في نفس يوم طلاقها وعد إلى عملك السابق ناجيا بنفسك قانعا من الغنيمة بالاياب.. وبقطرات أخرى من الرزق الشريف تسعد بها أسرتك الصغيرة.

مع كامل إحترامي لك ولزوجتك الفاضلة.. ومع عظيم إعجابى بتصرفاتها معك خلال فترة انفصالكما القصيرة، وإن كنت لا أوافق بالطبع على مبدا هجرها لبيتها من الأصل!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

المباراة!

حين كنت فتاة جامعية تعرفت على شاب ونشأ بيننا حب عميق وبارك الله حبنا الطاهر فصمد لكل العواصف والعقبات طوال 5 سنوات حتى تم الزواج وتحقق حلمنا الكبير وتعاهدنا على الوفاء... وكان زوجي تراءت أمام عينيه بعض صور الخيانة فجعلته لايرجو من ربه أكثر من زوجة مخلصة تحفظ عهده وترعاه. واستجاب الله لدعائه ودعائي فما خان أحدنا عهده أمام الله..

قد ودام الحب عشرين سنة رزقنا الله خلالها بثلاثة من الأبناء بلغ اثنان منهم سن الشباب ويدرس أصغرهم بالمرحلة الثانوية، وطال شهر عسلنا حتى استغرق كل سنوات زواجنا ولم تحدث بيني وبين زوجي ورفيق عمري أية مشكلة أو خلاف طوال تلك السنين حتى أصبحنا موضع حسد بعض الأقارب، وكان زوجي بالنسبة لي دائما هو أجمل ما في حياتي وكنت كذلك بالنسبة له حتى لقد كان يفضلني ويقدمني في كل شيء على أبنائنا ولم يكن غريبا أن أتفانى في حبه ورعايته والإخلاص له ثم بدأت إحدى زميلات زوجي تجلس بجواره كل يوم في العمل وتجعله يعيش مشاكلها مع زوجها وتقص عليه القصص الملفقة ليتعاطف معها ويرق قلبه لها.. وساعدها في ذلك مظهرها المحتشم الذي يبعدها عن الشبهات فالتفت خيوط العنكبوت تدريجيا حول زوجي واستمالته إليها، وحين تأكدت من ذلك طلبت الطلاق من زوجها على الفور وبين خيوطها فريسة هي زوجي الذي لايعرف إلا الحب والإخلاص والقيم والمبادئ والذي يحظى باحترام الجميع وليست في حياته أية شائبة ولم يفعل إلا الخير منذ عرفته منذ 25 سنة ونحن طالبان بالجامعة إلى أن سقط في خيوط العنكبوت وهو في الخمسين من عمره.

وحصلت زميلة زوجي المحتشمة التي مرت بأكثر من تجربة فاشلة قبل الزواج على الطلاق سريعا وبدأت «تلاعب» زوجي بأسلوبها المتمكن حتى لم يعد يرى غيرها في الحياة، وعندما تمكنت منه طالبته بهدم البيت الذي لم ترتفع قوائمه إلا بحنانه وعطفه والذي لم يعرف إلا النجاح والسعادة والاستقرار، واشترطت عليه زميلته أن يحضر إليها ورقة طلاقه لي أولا لكي توافق على الزواج منه فانقلب الحمل الوديع رجل المبادئ والقيم الذي يكره الخيانة إلى إنسان آخر يبرر خيانته ويدافع عنها ويجرح مشاعري بأقسى الكلمات وبلا أي عرفان للجميل أو احترام للعشرة الطويلة ولكل ما كان يجمع بيننا فيعترف لي صراحة وبغير مراعاة لقلبي الذي ينزف الدم أن تلك السيدة هي أول حب في حياته وأنه لم يسبق له أن أحب قبلها، وبعد ذلك أصبح زوجي على استعداد لأن يتنكر لكل الأشياء الجميلة التي ربطت بيننا طوال 5 سنوات من الحب الصافي وعشرين عاما من الزواج السعيد، ويتفادى لقاء كل الأهل والأصدقاء الذين يعرفون ما كان بيننا من حب ووفاق ويحاول الالتصاق بأصدقاء جدد لا يعرفون شيئا عن حياته السعيدة السابقة، واستمر هذا الحال عامين طويلين وأنا أعاني من القه والألم ومن الذل العاطفي والإنساني ورغم قسوة ما أعانيه لا أتصادم مع زوجي ولا أثير له المشاكل بل التزم الصمت وأتكتم مصيبتي وأحرص في علاقاتي العائلية والاجتماعية على ألا

يعرف أحد شيئا عما يجري وعلى أن أبدو وكأنما لم يحدث شيء ولم تعترض حياتنا هذه الكارثة وذلك حتى لاينهار بيتي ويفقد أبنائي أباهم الذي يمثل بالنسبة لهم كل شيء إلى الأبد وخلال ذلك اضطررت إلى أن اذهب وأنا في قمة تعاستي وكربي إلى تلك السيدة التي زلزلت حياتي، وتحدثت معها بغير أن أحاول الاساءة لها أو استفزازها وناشدتها بقلب الزوجة والأم ألا تهدم أسرة عاشت عشرين سنة في سعادة واستقرار وحاولت إفهامها ان الخيوط الملتفة حول زوجي الآن لابد أنها ستتحطم ذات يوم وسوف يتخلص منها ويعود لأبنائه الشباب الناجحين الذين يفخر بهم أي أب، لكني وجدتها للأسف تعتبر الموضوع مباراة بيننا ولابد من أن تفوز فيها، ولكي تحقق الفوز المبين وتحتفظ بالكأس فإنها ترفض الزواج منه مالم يطلقني ويهدم بيته لتقيم هي بيتها فوق انقاضه، وزوجي شارد لايرى ولا يسمع ولا يريد أن يتروى قبل أن يهدم الحصن الطاهر الذي كنت أشعل له فيه كل يوم شموع الحب والوفاء، ومازال يصر على موقفه ويعتبرني أختا أو أما له منذ ذلك الوقت.. وإلى حين تلبية مطلب السيدة الأخرى التي لاتخاف الله وتسعى إلى هدم البيوت الدافئة بالحب والعامرة بالإيمان.

إنني في وسط هذه الظروف التي اعترضت سعادتي منذ عامين ألمس داخل أبنائي ثورة مكتومة تجاه أبيهم وأراهم ينظرون إليه كمارد ظالم يتبطر على كل ما أنعم الله به عليه من أبناء متفوقين وعلى خلق ومبادئ ومن زوجة تفانت في حبه وخدمته حتى أفاء الله عليه بالخير الكثير فرفض أن يكون هذا الخير لنا وأراد أن يعطيه لمن لا تستحقه، ولقد فوضت أمري إلى الله لكني أريدك أن تنصح كل سيدة تحاول خطف الأزواج وتشريد الأبناء بأن تخشى عدالة السماء فيما تفعل فالله حي قيوم بيده ملكوت كل شيء، وهو عزيز ذو انتقام.والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

يبدو أن زوجك يا سيدتي يواجه ما يسميه علماء النفس بأزمة منتصف العمر، وهي أزمة تعترض حياة الرجال والنساء أما المرأة فأنها تصاب فيها بسبب بعض التحولات البيولوجية التي تنهي قدرتها على الحمل والإنجاب بتذبذب في العاطفة وحساسية شديدة وقدر كبير من التوتر والقلق وقد تهاجمها خلالها نوبات من البكاء والحزن وقلة النوم وبعض الأعراض الصحية الأخرى كسرعة ضربات القلب مع الميل لعدم الاطمئنان لزوجها والشك في تصرفاته. وأما الرجل فانه في هذه المرحلة التي تبدأ من الخامسة والأربعين إلى الخمسين وما حولها يبدأ في الاحساس بأن ما تبقى من سنوات عمره أقل كثيرا من تلك التي عاشها ويزداد إحساسه بذلك كلما تلقى أنباء الراحلين من أصدقائه أو زملاء العمل والدراسة.

وكرد فعل نفسي لهذا الإحساس المؤلم فإنه يصبح أكثر قلقا وعصبية مما كان طوال حياته، وقد يحاول التغلب عليه بالتغيب كثيرا عن البيت، أو يحاول أن يثبت

لنفسه أنه مازال نفس الرجل الذي كانه في سنوات الشباب والاقبال على الحياة فيتورط بلا احتراس في مغامرة عاطفية طارئة أو نزوة غير متوقعة، وتظهر عليه غالبا بعض علامات الاهتمام بأناقته إلى جانب ميل أكبر لأن ينال المزيد من عطف زوجته وتدليلها وحنانها.

ويبدو أن تلك السيدة قد صادفت زوجك وهو في قمة معاناته لهذه الأزمة فتسللت إلى دنياه كالحية الرقطاء والتفت حوله بطياتها وعصرته عصرا بعضلاتها القوية فأذهلته عن حب العمر وعن أسرته وبيته وكل ماهو جدير بالحب والاحترام في حياته الماضية. لهذا فلا عجب في أن يفر من الأهل والأصدقاء القدامى لأنهم رموز هذا العالم القديم الذين يذكرونه بخطيئته في حق زوجته المخلصة وأسرته ولأنه يصعب عليه ان يبرر أمامهم هذا الذهول المفاجئ بالمبررات التقليدية كالتعاسة الشخصية وسوء المعاملة الزوجة وجفاف نبع الحب في قلبها إلخ.. ولا عجب أيضا في أن يلتصق باصدقاء جدد لايمثلون بالنسبة له صوت الضمير ولا يحس باحتجاجهم الصامت على تصرفه، لأن خائن العهد يفضل دائما ان يبتعد عمن يذكره بخيانته لعهده أو يدينه بها.

لكن زوجك بالرغم من أنه الجانب الضعيف المغلوب على أمره في قصته مع تلك المرأة فإنه ليس متسرعا أو متهللا لهدم أسرته كما تتصورين بل انه مترو فعلا ويدرك استحالة الاستجابة كشرط تلك المرأة الجبارة بطلاقك لكنه يكرر ما يتصوره بعض الرجال الذين يواجهون هذه المحنة الحل الأمثل للاستمتاع بالحياة وهو أن يحتفظوا بالزوجة المحبة المخلصة والبيت المحترم الذي يجد فيه الأبناء رعاية الأم، ثم يجمعوا إلى ذلك هوى القلب أو نزوته الطارئة في عالمين متوازيين الأول لراحة النفس والضمير وتفادي الاحساس بإضاعة الابناء والتقصير في حقهم والمظهر الاجتماعي المحترم، والثاني لهمسات الحب وأناشيد الغرام وهو حل أناني يعكس مغالاتهم في الطلب من الحياة بأن تعطيهم الحد الأقصى من كل شيء وألا تحرمهم من أي متعة وبلا خسائر أو تضحيات، أو حرمان تفرضه عليهم الاستقامة والاحساس بالواجب العائلي والإنساني العام.

لكن زوجك لو أزاح الغطاء قليلا عن عينيه وتفكر في شرط تلك السيدة بان يطلق زوجة محبة فاضلة مثلك ويزلزل حياة أبناء صالحين كأبنائه لكي تنال هي الأخرى الحد الأقصى من الأشياء وتتزوجه بلا أي استعداد للتنازل أو قبول الحل الوسط وهو زواجه منها مع احتفاظه بأسرته، لرأى فيه قسوة لا إنسانية وانانية مخيفة خليقة بأن تثير الرعب في قلبه من معاشرتها وربط حياته بها. إذ أنه حتى الزواج الثاني الذي يزلزل سعادة أسرة هانئة وزوجة محبة ويعرض الابناء لمشاكل هم في غنى عنها، لاتقبله ولا ترضى به، فكيف إذن يطمئن لعشرة من تصمم على الاطاحة بسعادة 4 أشخاص بغير ان تطرف لها عين لكي تقيم عش البوم الذي لا يسعد إلا في الخرائب.. وهل هذا هو الحب الحقيقي الذي يشقى بانه لم يتوجه بالزواج؟

إن الحب الحقيقي تضحيات متبادلة بين الطرفين وحرص مشترك على عدم تكليف كل طرف بما لاطاقة له به أو بها يؤذي أعزاءه ويدمر حياتهم فأين هو مما تطالبه

به هذه السيدة؟. وكيف يغيب عن حكمته إدراك الفارق الجوهري بين حبك له وصبرك على العناء والحرمان والآلام عامين طويلين بغير أن تسيء إليه أو تشوهي صورته أمام الابناء والأهل والأقارب والأصدقاء بل ومع الحرص الشديد على الا يحس أحد بها تكتوين بلهيبه مع الأمل في استعادته إلى حد أن تذهبي لمناشدة تلك السيدة في مشهد ذليل فلا يلين لك قلبها ولا تتزحزح عن موقفها، وبين ذلك الحب المدمر الاناني الذي يجمعه بها إن كان ثمة حب من جانبها.

يا سيدتي إنها مباراة حقا لكنها مباراة بين الاخلاص والوفاء والتضحية والأمومة ورعاية الأبناء وكل القيم السامية الجديرة بالاحترام وبين الأنانية والمغامرة والاستسلام للأهواء على حساب كل الاعتبارات ولابد أن ينتصر الحق والعدل والخير في النهاية، فإن انهزمت كل هذه المعاني الجميلة ـ وقد تنهزم أحيانا مرحليا حين يشتد عمى الأعين وذهول القلب عن الفضائل - فازت المعاني الأخرى فوزا مؤقتا لايشرف صاحبه.. ويحصل الرابح فيه على كأس تشينه وتدينه وتبشره بما وعد به ربك المعتدين والظالمين «إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ. إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ». صدق الله العظيم

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

رسالة من الجانب الآخر!

أنا ياسيدي الوجه الآخر لرسالة «المباراة» أو أي قصة أخرى تشبهها.. فأنا المرأة التي اتهمتها كاتبة الرسالة بأنها خطفت زوجها وطلقت لكي تتزوجه وتصر على رفض الزواج منه قبل أن يطلق زوجته ويهدم أسرته.. ولقد قسوت عليّ في ردك على رسالتها ذلك فلست ومع ذلك أكتب إليك دفاعا عن نفسي وإنما لأني اعتز بكلماتك التي تعودت عليها كل أسبوع، وأعرف ان ما قلته هو رأيك في كل سيدة تقبل أن تكون الزوجة الثانية لرجل متزوج ولديه أبناء.

لكن لماذا يا سيدي نقف دائما في صف الزوجة الأولى مهما كان خطؤها في حق زوجها ونفسها ونلتمس لها الأعذار دائما وننسى في نفس الوقت إن الإنسان إنها يعيش حياة واحدة وان هذه الحياة مهما طالت قصيرة.. وهل كتب على كل رجل اخطأ في اختيار شريكة حياته ان يعيش معها عمره كله شقيا وتعيسا؟

لقد اتهمتني صاحبة الرسالة بأني نسجت خيوطى كالعنكبوت حول زوجها وهي لاتعرف كم عانيت لأبعده عنى ولأصد حبه الذي تسلل إلى قلبي بغير أن يكون لي أو له يد فيه ولم تسأل نفسها وماذا في زوجها من مغريات لكي أنسج خيوطي حوله وقد كنت قبل حبي له أعيش حياة رغدة فتنازلت عنها بكل سهولة وتنازلت عن كل حقوقي وكل ما كتب لى زوجي السابق من أموال لكي أكون بجانبه ونبدأ معا من جديد حيث إنه لايملك شيئا ولا يشغل مركزا مرموقا -كما قالت - وليس لديه ما يغرى امرأة «لعوب» كما وصفتني زوجته بنسج خيوطها حوله نعم ليس عنده شيء من ذلك لكنه غني بصفات أخرى لا تقدر بمال احببته من أجلها هي الوفاء والأمانة والاخلاص والصدق، وهذه الصفات هي نفسها سبب مشاكله حاليا مع زوجته فلأنه صادق فقد رفض أن يعيش معها وقلبه ملك لأخرى ولأنه أمين فقد رفض ان يتزوجني دون علمها مع أني كنت على استعداد لتقبل هذه التضحية من أجله وأجلها ومن أجل أولاده، كما أني لم اصر على طلاقها كشرط لزواجه مني كما تصورت بل إنه هو الذي أصر على ذلك لأنه يعرف تعاليم دينه ويعلم أنه إذا تزوجني مع احتفاظه بها فلن يستطيع أن يعدل بيننا ورفض ان يظلمها ظلما مستمرا، وفضل ان يظلمها مرة واحدة بدلا من أن تظل تتألم في كل مرة تراه عائدا إليها من عندي!

لقد قررت ان أطلعك على الوجه الآخر للزوجة الثانية حتى لاتظلمها دائما وأرجو أن تصدق أني وزوج كاتبة الرسالة لم نحاول الاقتراب من بعضنا البعض، وإنما حاولنا مرارا ان نتباعد وان نقتل تلك العاطفة التي نمت بيننا لكنه القدر الذي قدره الله علينا فجعل كلا منا لا يستطيع الحياة بدون الآخر.. وإذا ضحينا وقاومنا حكمت الحياة علينا التعاسة والشقاء نحن ومن حولنا، ذلك أني لم اكن استطيع ان أحيا مع زوجي السابق وقلبي ملك لشخص آخر أراه كل لحظة في خيالي فاخترت الطريق الصعب وحصلت على الطلاق، وهو لم يكن يستطيع إسعاد زوجته وهو يرغب بصدق في الزواج مني، وكل ذلك لا سلطان لنا عليه لأنه من أمور القلب

الذي وضعه الله في صدر كل إنسان وسواء أكان ردك معي أو ضدي فانى أهديك التحية وأشكرك على رغبتك في التخفيف عن قرائك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

ترددت في نشر رسالتك متخوفا من أن ارتكب جريمة «تحسين الخطأ» أو تبريره، وهو هدف أحرص عليه في بريد الجمعة مقدماً فيه الاعتبارات الخلقية على كل الاعتبارات لكني بالرغم من ذلك قد ملت إلى نشرها لكي نطلع معا على منطق الرأي الآخر عسى ان يزيدنا ذلك فهما أكثر للحياة وقدرة أكبر على التعامل معها، وتعليقي على رسالتك يا سيدتي هو ان شقاء البشر قد ينجم احيانا عن تعارض الوسائل التي يلتمسون بها تحقيق سعادتهم فسعادتك مع شريكك في تلك القصة تتعارض تماما مع سعادة زوجته وأبنائه كما تعارضت مع سعادة زوجك السابق وابنائك إن كان لك أبناء منه، فإذا ما طلب كل إنسان سعادة بغير ان يتوقف طويلا للتفكير فيها استلب من سعادة الآخرين أو من وطأهم بأقدامه بلا رحمة وهو يهرول إلى سعادته الخاصة، فان الحياة حينئذ تتحول إلى غابة لاينال السعادة فيها إلا الأقدر على اغتصاب أسبابها.. وإلا الأقل تفكيرا في انعكاس سعادته تلك على شقاء الآخرين، لهذا فلابد دائما من ضوابط تجعل الخروج على مألوف الحياة امرا لا يمكن التسليم به بسهولة، ولابد أيضا من ان يبذل كل إنسان عادل غاية جهده في ألا يكون طريقه إلى سعادته مفروشا بالضحايا من الجانبين، فإن فعل فقد حمى سعادته من ظلم الآخرين وانتظارهم لانتقام السماء ممن ظلمهم، وان لم يستطع ان يفعل وبعد مجاهدة طويلة للنفس فليتجمل وليحاول ان يقلل بأقصى ما يستطيع مما يسببه للآخرين من آلام وبشرط ان يرضى ربه وضميره وان يقتنع اقتناعا صحيحا كاملاً بأنه لم يكن أمامه بديل لما اختار إلا الضرر الأكبر وهو ضرر الاثم والخطيئة.

بهذا فقط تستقيم الحياة.. ويظل الخروج على قوانينها هو الاستثناء الذي لانسلم به إلا للضرورة القصوى، أما استسلام الإنسان لأهوائه بلا مقاومة.. وانقياده الأعمى لهوى القلب بغير مغالبة للنفس، واستسهاله كل مايحقق سعادته الخاصة بغير وضع سعادة الآخرين في الاعتبار بمنطق الحياة القصيرة التي لايعيشها الإنسان إلا مرة واحدة، فإنه لايثمر إلا الإضطراب والتفسخ والمزيد من الضحايا الذين لا ذنب لهم في تقلبات الأهواء، بل إنه لايثمر أيضا سعادة حقيقية مبرأة من الإحساس بالذنب أو سلاما نفسيا أو اطمئنانا حقيقيا للأيام. ذلك أن من لايهتم بالآخرين هو أحق الناس بمعاناة شدائد الحياة، كما يقول عالم النفس النمساوي أدلر ولايقتصر هذا الرأي على الزوج الذي يستسلم لهوى القلب بلا تردد أو توقف أمام مصلحة ابنائه وزوجته، وإنما يشمل أيضا الزوجة التي تضحي بسعادة ابنائها بلا مراجعة جادة للنفس واستسلام لنفس الهوى، كما يشمل أيضا الزوجة التي قد تساهم في اضعاف مقاومة زوجها لعواصف القلب الخارجية بجفائها له

وانانيتها معه وانشغالها بنفسها التي تراها مركز الكون ناسية أن العطف إنما يورث العطف وان البغضاء إنا تورث البغضاء، فإن اتفقت معك بعد ذلك في شيء فهو فقط في ان الزوجة إذا أصبح قلبها أسيرا لغير زوجها واستنفدت كل الوسائل لمقاومة ذلك، فإن الأكرم لها عملا بمبدأ أهون الضررين هو أن تنفصل عن زوجها حماية لنفسها من إثم الخيانة. وعملا بنفس هذا المبدأ الشرعي ومن باب الاستثناء الذي لا أسلم به إلا للضرورة القصوى فانى أرى لك بعد ان جرى ما جرى ولم يعد في الإمكان سوى تقليل الخسائر بقدر المستطاع ان تحثي زوج كاتبة الرسالة على ألا يطلق زوجته ما دامت راغبة في استمرار الحياة معه ومادامت تقبل بهذه التضحية الجسيمة حرصا على أبنائها فهي المضحية ولست أنت، ذلك ان منطقه في الاصرار على طلاقها على غير رغبتها قبل ان يتزوجك وبدعوى انه يعرف دينه ويعرف إنه لن يعدل بينكما لهذا قد آثر ان يظلمها مرة واحدة بدلا من أن يظلمها باستمرار، هو بالفعل منطق خاطئ، ولا ينم عن معرفة حقيقية بدينه، فشرط العدل الذي قيد به الإسلام الزواج من أكثر من زوجة إنها ينصرف في رأى الفقهاء إلى العدل بين الزوجتين في المأكل والمشرب والملبس والمسكن والنفقة والمبيت، وقد حظر الله على من لايثق في قدرته على الوفاء بهذه الحقوق بالعدل الزواج من أكثر من واحدة، أما الميل الذي حذر منه الرسول الكريم في حديثه الشريف: «من كانت له امرأتان يميل لإحداهما على الأخرى جاء يوم القيامة يجر أحد شقيه ساقطا أو مائلا» فإنما يعني به انتقاص تلك الحقوق لإحدى الزوجتين لا ميل القلب لواحدة. فالعدل في ميل القلب يدخل في دائرة العدل الذي لايستطيعه أحد وقد عفا عنه الله وسامح فيه عباده رحمة بهم وادراكا من خالقهم لاستحالته فكان الرسول الكريم يقسم بين زوجاته ويعدل، ثم يدعو ربه قائلا: اللهم هذا قسمى فيها أملك فلا تؤاخذني فيها تملك ولا أملك قاصدا بذلك ميل قلبه لإحداهن.

وبالتالي فإن شريكك يستطيع ان يحتفظ بزوجته وان يحفظ على أبنائه شكل الأسرة مادام عاجزا عن رد نفسه عن هواها، بغير أن يخشى ربه إن لم يعدل في هوى القلب وبشرط ان يعدل في كافة الحقوق الأخرى لكنه لايريد فيما يبدو ان يتحمل حتى هذه التكاليف النفسية لسعادته التي يطلبها معك ويريد ان يشرب رحيق السعادة صافيا من شوائب بعض المعاناة النفسية مع زوجته وأنت فيما اظن لا تضغطين عليه لقبول ذلك ولو فعلت لما تردد فافعلي يا سيدتي وتخلصي أنت أيضا من رغبتك في ارتشاف الرحيق بغير شوائب واعتبري ذلك قربانا تقدمانه على مذبح سعادتكما عسى ان يخفف بعض آلام ضحاياها ولا تتردا في قبول الشوائب الضرورية.. إذ أي الناس تصفو من كل الشوائب مشاربه؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

حبل الحياة!

أنا سيدة في الثالثة والأربعين من عمري ومن أسرة صعيدية توقفت مضطرة، عن الدراسة بعد السنة الأولى بكلية التجارة لأتزوج من شاب صعيدي مثلي كان يكبرني بسبعة عشر عاما وقد أحببته بكل عواطفي المختزنة وقررت أن أكون سعيدة في حياتي فسعدت معه رغم عصبيته المرضية وتقلبه وثوراته. وكان طموحه ضاريا ونشاطه هيستيريا ووقته وأعصابه مكرسين نهائيا لعمله فأصيب في أولى سنوات الزواج بارتفاع الضغط ثم بذبحة صدرية ثم بجلطة في المخ أدت إلى اصابته بنوبات أنا 6 الصرع، ورغم ذلك فلقد كانت حياتنا رغم المخاوف والآلام سعيدة..

وقد أحسست بأن عمل زوجي يستغرق كل وقته واهتمامه فأقنعته بجهد كبير ان يسمح لي باستكمال دراستي بكلية التجارة عن طريق الانتساب وحصلت على البكالوريوس وترقى هو إلى درجة وكيل الوزارة خلال 7 سنوات فقط من الزواج وكان في الدرجة الخامسة حين تزوجته وأصبحت استمتع حين يقرأ على مذكرة أو يسألني عن رأيي في تأشيرة واكسبتني مشاركتي له في اهتماماته خبرة ومتعة.

وكانت نوبات الصرع القاسية تهاجمه كثيرا فكرست حياتي للإهتمام بصحته وتعلمت كل ما استطعته من شئون التمريض وقياس الضغط والحقن والعلاج النفسي بالايحاء وخاصة بعد ان ازدادت معاناته من تصلب الشرايين، وكان همي دائما أن أكون الأم الحنون الصبورة التي تجعل من حضنها ملاذا لذلك الزوج الممتحن بالبلاء والشدة.

ثم ذات يوم اتصل بي مدير مكتبه وابلغني ان زوجي مصاب بالنوبة في مكتبه فاصطحبت ابنتي معي وذهبت إلى مقر عمله.. فوجدت الله قد استرد وديعته من قبل أن يتصل بي مدير مكتبه. وكان عند رحيله في الخمسين من عمره وتجرعت أحزاني صابرة وفوجئت بعد وفاة زوجي بديون رهيبة لابد من سدادها.. ولم أكن أعلم قبل رحيله شيئا عن أحواله المالية أو ممتلكاته كعادة بعض الرجال الشرقيين وكنت خلال سنوات مرضه الأخيرة قد درست الأدب الفرنسي لأهرب من توتري العصبي الذي أدى إلى اصابتي بكثير من الأعراض النفسية الجسمية كالقئ العصبي والمغص الكلوي بسبب تقلص عضلات الكلى اللا إرادي.. إلخ، وحصلت على دبلوم في الأدب الفرنسي فقررت النزول إلى العمل لسداد الديون التي تحاصرني وحاربت بشراسة حتى حافظت لابني وابنتي على أرضها الزراعية ضد محاولات شرائها بأبخس الأثمان وتمكنت خلال عام واحد من العمل المضني المتواصل من سداد كافة الديون، وواصل الأبناء دراستهم في أرقى المدارس، وكان ابنى الوحيد متخلفا في الدراسة رغم ذكائه لأنه كان عند رحيل أبيه في أشد الحاجة إلى السند الذي يستند إليه مراهق مثله في الثالثة عشرة من عمره، فتعثر في الدراسة واعاد امتحان الثانوية العامة 3 مرات، وواجهت مشاكل الدروس الخصوصية ومشاكل المراهقة السخيفة من دروشه وذقن طويلة وجلابية فوق

البنطلون إلى الدسكو وركوب الموتوسيكل والجماعات الدينية! وواجهت الواقع بلا مكابرة واقتنعته بأن الفشل الدراسي لا يعني بالضرورة الفشل الاجتماعي، وسعيت عن طريق معارف لإلحاقه بعمل في أحد الفنادق ووفقني الله في ذلك ونجح تماما في هذا المجال لأنه اجتماعي وذكي وخدوم وشهم «وبكاش شوية» وكلها مواصفات ملائمة للنجاح في مجال السياحة والفنادق.

أما ابنتي فكانت متفوقة في الدراسة وتخرجت في كلية الهندسة قسم مدني لكنها لم تجد عملا فاستطعت ان اعثر لها على عمل كمدرسة رياضة حديثة بمدرسة أجنبية ولم اتردد في ذلك وفقا للقاعدة التي أؤمن بها في حياتي وهي ان لم يكن ما تريد فأرد ما يكون، وهي والحمد الله سعيدة جدا بعملها لأن قدرتها على العطاء كبيرة. وواجه ابني أزمة احتراق الفندق الذي كان يعمل به وعرض عليه العمل بفندق كبير باحدى الدول العربية وقرر السفر إليها فلم اعترض على سفره رغم ألمي كأم وأرملة ترى دائما في ابنها البديل الطبيعي لرجل الأسرة الذي طواه الموت. لكني تعودت معهما دائما على الديمقراطية وحرية الاختيار مع تحمل المسؤولية التي تترتب على ذلك .

وتسألني بعد ذلك ما المشكلة وأنا فيما يبدو راضية بأقداري وأتعامل مع مشاكلي بواقعية، فأقول لك اني درست الكمبيوتر لمدة سنة ودرست إدارة الأعمال باللغة الانجليزية في الجامعة الأمريكية وأكملتها بالمراسلة.. وعملت بالقطاع الخاص في شتى المجالات. فكانت مشكلتي دائما هي اني لا استقر طويلا في أي عمل لسبب بسيط هو انني جادة واعتز بجذوري الصعيدية وافخر بسمعة زوجي وبثقته في واتذكر له دائما عبارته التي كان يقولها لي بلهجته الصعيدية الطيبة سعيدا: «انت لو زرعوك في فدان رجالة لا أخاف عليك منهم» ورغم انه قد غاب عن عالمنا منذ 10 سنوات فازالت عبارته ترن في أذني لهذا فإني أجد العمل والترحيب بقدراتي وامكانياتي سريعا لكن المشكلة هي أني بعد فترة من التحاقي اشعر بأن مديري لايكتفي بجهودي المستميتة في العمل كسكرتيرة تنفيذية وانما يطمح إلى بعض الترفيه الذي قد يجده فيمن هن أقل علما مني وأكثر مرونة فإما أن يجبرني على الاستقالة أو يصارحني بذلك إذا كان وقحا، والنتيجة واحدة، وهي تركي العمل بعد قليل. لقد أصبحت اشعر بأن تضاريس انوثتي ووضعي كأرملة مقبولة الشكل مع طبيعة عملي كسكرتيرة تنفيذية يخلط البعض خطأ بينها وبين المحظية، تقف كلها ضد نجاحي في العمل واستمراري فيه لفترات طويلة.. ولم يكن في ذلك جديد يستعصى على لكن الجديد هو أني قد وجدت نفسي فجأة بعد آخر تجربة مماثلة مع رجل أعمال غير مصري.. طريحة الفراش بلا مرض لا أنام ولا أريد مغادرته وقد تجمعت أمامي فجأة كل معاناة السنوات المريرة التي كنت أموت خلالها واقفة في صمود لاؤدي رسالتي كزوجة وام وامرأة عاملة تحاول الحفاظ على مستوى معيشة أبنائها وفقدت كل قدرة على مواصلة الكفاح من جديد أو البحث عن عمل آخر.

وبالرغم من أني أستمتع بصداقات إنسانية وفية إلا أني أرفض الآن مشاهدة أي إنسانة ولا أرغب في الحديث مع أحد وتتوالى على باستمرار مشاهد حياتي كأنها

شريط من الأحزان والآلام المتوالية فلا أرى فيه نقطة واحدة من الراحة أو الاحساس بالأمان.

انني أحاول بعنف أن انتشل نفسي من هذا الاكتئاب وقد قررت الدراسة من جديد بالجامعة الأمريكية.. واذهب احيانا إلى مرضى الأورام لمحاولة تقديم المساعدة لهم بخدمتهم وأحاول زيارة كل كبار الأسرة وتحمل تصلب شراييهم ربما شوقا لأيام زوجي التي اعتبرها أجمل الأيام.

ولست اكتب بحثا عن عمل وإنما بحثا عن تحليل لما يجري لي الآن من خلال خبرتك بالحياة ذلك اني أشعر انني لا أكاد اتعرف الآن على نفسي ولم تعد لي رغبة في شيء سوى في الراحة الأبدية، وأفسر حالتى أحيانا باقترابي من سن اليأس وافسرها احيانا بأن لدى طاقة عقلية كبيرة في حاجة لاستخدامها لكي يتحقق التوازن النفسي، لكن كل هذه التفسيرات لاتخرجني من حالة عدم الرغبة في الحياة إلا لساعات معدودة ثم أعود إلى حالتي الأولى من جديد.. لقد كنت دائما مرحة متفائلة امتص أحزان الآخرين لكني الآن لا أكاد ابتسم أو اتحدث فأين المفر من مصير ارتعد من تصوره وهل لابد من الطبيب النفسي.. وما هي نصحيتك لي؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

إن الإنسان في ضعفه يكون أقل مقاومة للمرض العارض منه إذا أصابته عدواه وهو في تمام قواه وصحته. وواضح يا سيدتي ان محنتك الأخيرة في العمل مع رجل الأعمال غير المصري وما انتهت إليه من نهاية تقليدية قد صادفتك وأنت في حالة ضعف نفسي مما قد ينتاب الإنسان العادي لأي سبب من الأسباب بالإضافة إلى مصادفتها لك وأنت تواجهين ما يفضل الأطباء تسميته بأزمة منتصف العمر التي تحدثت عنها في الأسبوع الماضي فأدى ذلك إلى تسلل بعض أعراض الاكتئاب إلى نفسك. وقد تمثلت هذه الأعراض في فقد الرغبة في مواصلة الكفاح.. وفي التوقف لاستعراض شريط حياتك السابق وما يزخر به من مشاهد الألم والمعاناة مع مرض زوجك الراحل التي حذفت معظم تفاصيلها مراعاة لمشاعر البعض، فانتابك الهاجس الذي قد يهجس لإنسان أمضى معظم سنوات حياته في المعاناة والصمود والخوف من المجهول فيسأله: أما آن للمحارب ان يستريح يوما واين يجد الراحة في دنيا ليس من طبيعتها ان تسمح بالراحة المثالية لأحد من البشر يتحمل مسؤوليته ومسؤولية الآخرين معه.. إلا في تلك الراحة الأبدية التي لا كفاح بعدها ولا معاناة! فتتوجه النفس التي تهفو للسعادة إلى التماسها ومن هنا تأتي خطورة هذه الفكرة الاكتئابية، ذلك إن فقد الرغبة في مواصلة العمل والكفاح يستتبعها غالبا واذا لم يستنهض الإنسان كل قواه للمقاومة.. فقد الرغبة في الاستمرار في الحياة. وهو ما يسميه الأطباء بفقد إرادة الحياة.

لهذا فلابد أن تقاومي بكل قواك السقوط في هاوية الاكتئاب النفسي ولابد وأن تستنفري إرادتك الحديدية لدفع شبحه عنك.. بالعودة لمواصلة الكفاح والإقبال على الحياة وتقبل مصاعبها بروح التحدي التي واجهتها بها من قبل، وأنت سيدة عظيمة وجديرة بكل شيء طيب في الحياة وقد تعاملت مع كل الصعوبات التي واجهتها في حياتك بواقعية حكيمة.. وبإرادة قوية للسعادة.. فتواءمت مع التقلبات المزاجية الحادة لزوجك الراحل ثم مع ظروفه الصحية القاسية.

و «قررت» السعادة فسعدت بحياتك معه رغم آلامها ومازلت تحتفظين له ولها بأجمل الذكرى، وتعاملت مع مشاكل الحياة والأبناء والصعوبات التي لامفر منها بحكمة وفهم ورضا بالأمر الواقع مع محاولة لتحويله إلى واقع مرض ومقبول، فلم تجعلي من فشل ابنك الدراسي نهاية للحياة والنجاح بالنسبة له وإنا دفعته لتحقيق نجاحه في مجال آخر يتفق مع قدراته وميوله، وتعاملت مع عجز ابنتك عن العمل كمهندسة بدفعها لاثبات نجاحها في مجال آخر سعدت به وحققت فيه ذاتها، وحققت نجاحك الدراسي الخاص وضاعفت من مؤهلاتك العلمية وقدراتك كامرأة عاملة ناجحة بإرادة من حديد.

وتمسكت بقيمك وأخلاقياتك ووفائك لذكرى زوجك الراحل في مواجهة الأعاصير والمضايقات.. فكيف لا تكونين بعد كل ذلك راضية عن نفسك وسعيدة بها لمجرد أن البعض يسيء فهم ظروفك أو عملك؟ انهم هم من يستحقون معاناة هذا الاحباط ولست أنت..

وما تتصورينه عقبة في طريق نجاحك العملي هو بكل تأكيد من مميزاتك لدى الآخرين الأسوياء وهم الأغلبية وليسوا الأقلية كما تتصورين أو كما يوحى لنا بذلك ـ خطأ ـ انتشار بعض صور الشر في الحياة وجديتك هذه واحترامك لنفسك وقيمك الخلقية هي نفس المؤهلات التي ستفتح لك الأبواب من جديد حين لايصح إلا الصحيح!

وأنت كما يبدو لي من المهتمين بالدراسات النفسية ولعلك قد قرأت عن فلسفة «كما لو» التي ينادي بها عالم النفس وليم جيمس حين ينصحنا بأن نبدو كما لو كنا شجعانا فتواتينا الشجاعة، وان نتصرف كا لو كنا سعداء فتغمرنا السعادة إلخ وهي فلسفة يقرها علم النفس الحديث ويؤمن بها، بل انك قد عملت بها في بعض فترات حياتك.. فلماذا لاتقررين مرة أخرى ان تكوني قوية فتواتيك من جديد القوة.. وألا تملي الكفاح فتعاودك الرغبة فيه مرة أخرى.. إلخ.

يا سيدتي الفاضلة ان في أساطير اليونان أسطورة تقول ان ربات الأقدار يفتلن حبل الحياة من خيوط بيضاء وخيوط سوداء وان هذا الحبل لايخلو ابدا من الخيوط السوداء لكن اقدار الناس معه تتفاوت في عددها فيكون اللون الأبيض أحيانا هو الظاهر على السطح أو الآخر هو الواضح فيه للعيان، لكن المحصلة هو ان هناك دائمآخيوطا من اللونين ينسجان معا ذلك الحبل، وعلى الجميع ان يرضوا بها وزع على حبالهم من اللونين، ولاشك أنك قد نلت الكثير من ذلك اللون الآخر في قصة حياتك وكفاحك مع زوجك وابنيك زوجك وابنيك.. وآن الأوان لأن يغلب اللون

الأبيض الساطع على حياتك بإذن الله.. فهل يكون من العدل ان يأتينا حين يجيء دورنا معه في نفس الوقت الذي نكون قد فقدنا فيه رغبتنا في الاستمرار في الحياة ومواصلة المشوار؟

لا ليس ذلك من العدل ياسيدتي فانهضي من فراشك واستشيري طبيبا يعينك على مقاومة الاكتئاب واجتياز بعض الاعراض الجسمية والنفسية التي تصاحب أزمة منتصف العمر.. وتذكرى ان الأزمة إنها تعنى التحدي وان التحدى يستفز الارادة لقبوله والانتصار عليه.. وأنت لاتنقصك الإرادة ولا الإيمان بالله والرضاء بقضائه وقدره فاستنصري الله ينصرك ويأتيك خيرا عميها ان شاء الله.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الصمـت المقهـور!

لا أعرف كيف أبدأ هذه القصة المؤلمة.. انها ليست قصتي لكنها قصة شقيقي ولست على يقين مما إذا كان سيغضب مني حين يقرؤها أم سيقدر لي إخلاصي له وإشفاقي عليه من أن يعاني ذات يوم من عذاب الضمير الذي أعاني منه أنا الآن مع أني لست طرفا في المشكلة.. لقد قررت ان اكتب إليك لعلي استريح.. ولعل شقيقي حين يقرأ رأيك يجد فيه الحل الذي يرضي كل الأطراف.. ويعيد للجميع الثقة في إنسانية الحياة.

إن القصة باختصار يا سيدي هي أن شقيقي عمره 48 سنة ومتزوج منذ حوالي 17 عاما وله من زوجته أربعة ابناء صغراهم في الرابعة من عمرها. ولقد كان يحيا حياة طبيعية مع زوجته السيدة الفاضلة التي تقوم بواجباتها على خير ما يرام إلى ان مرضت - شفاها الله - منذ 3 سنوات بذلك المرض اللعين ومرت بمراحل علاج كثيرة ومؤلمة حتى وصلت إلى المرحلة التي لم يعد بعدها إلا انتظار رحمة الله. واستسلمت زوجة شقيقي للفراش وأصبحت عاجزة عن الحركة. ولظروفها الصحية المؤلمة هذه فقد أصبحت تقوم على خدمتها وخدمة ابنائها وزوجها شقيقة لها في الثلاثين من عمرها لم تتزوج ومن هنا بدأت المشكلة.. فشقيقي قد شقت عليه ظروف حياته وطول فترة مرض زوجته والظروف المحيطة به واحتياج ابنائه المستمر إلى وجود خالتهم بجوارهم فقرر ان يطلق زوجته ويتزوج من اختها بحجة رعاية الأبناء وبحجة أنه لايستطيع في هذه المرحلة من العمر ان يعيش بلا زوجة. ولما كان لايستطيع شرعا ان يجمع بين الاختين إذن فلا مفر من أن يطلق زوجته.. ثم يتزوج من شقيقتها!، هذا هو الحل الرهيب الذي توصل إليه شقيقي والغريب إنه ليس هاجسا أو خاطرا طرأ له بسبب ظروفه غير الطبيعية.. لكنه تفكير جدي يريد ان يحوله إلى حقيقة أما الأغرب فهو ان أسرة زوجته هي التي عرضت عليه هذا الحل المؤلم على أساس ان الشقيقة أولى من غيرها برعاية أبناء اختها ورعاية زوجها.. وأما مايثير الدهشة فهو ان هذه الأخت سعيدة بهذا الحل الغريب ورفضت عرسانا تقدموا إليها انتظاراً لزوج اختها! فهل تصدق ذلك؟

إنني شخصيا ليست لدي اية اعتراضات على شخصية الشقيقة لكني لا اتصور ان تجد زوجة أخي نفسها في هذا الموقف المؤلم في نفس الوقت الذي تعاني فيه من آلام جسمانية رهيبة تتضاءل إلى جانبها كل متاعب الحياة ولا استطيع ان اقتنع أو أتخيل ان هناك مبررا مهما كان ضروريا.. يبرر لأخي وأسرة زوجته ان تضيف إلى عذاب ابنتهم مع آلام مرضها عذابا نفسيا مضاعفا حين نحكم عليها بأن ترى زوجها واختها معا كزوجين.. وتجد نفسها وقد أصبحت كما مهملا مهما حرصت اختها على ألا تقصر في رعايتها لأنها مهما حرصت ومهما فعلت فسوف تشغلها عنها بعض الشيء اهتمامات أخرى ستدخل حياتها بعد زواجها من زوج شقيقتها.. فكيف يسامحنا الله إن أضفنا إلى عذاب هذه السيدة البائسة.. بدلا من ان نخفف عنها؟

لقد حاولت مع شقيقى كثيرا ان ينتظر إلى ان ينفذ قضاء الله ثم يفعل بحياته بعد ذلك ما يشاء، لكنه جد جديد في الأمر ذهبت معه كل محاولاتى عبثا فقد حصل شقيقى على عقد عمل في إحدى الدول العربية وقرر ان يقدم على ما يريد ويطلق زوجته المريضة ويتزوج شقيقتها ثم يصطحب الاثنتين معا والأبناء إلى مقر عمله بتلك الدولة، وأنا في أشد الحيرة والألم لما تطورت إليه الأمور في هذا الاتجاه المؤلم وأسألك: هل يجوز هذا شرعا.. وإن جاز شرعا فهل يجوز إنسانيا.. وهل إلى هذه الدرجة تحولت «الواقعية» في حياتنا إلى قسوة يمكن ان نصدر بها حكما بالموت على إنسانة وهي على قيد الحياة.. أم ترى أنني مخطئة في أفكاري وأوجاعى هذه.. وان ما يجري هو الصواب والأمر الطبيعي هذه الأيام.. أو على الأقل في هذه الظروف؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

منطق الرحمة والإنسانية لا علاقة له بما يجوز.. ولا يجوز، فيجوز شرعا لشقيقك ان يطلق زوجته وان يبني باختها.. ويجوز لأختها ان تصحبها معها إلى بيتها الجديد لتواصل رعايتها وخدمتها صحيا ولكيلا تحرم الأم المريضة من رؤية أطفالها أو يحرم الصغار من رؤية أمهم.. لكن هل هذا هو الحل الأمثل لهذه المحنة الأليمة؟

إنني لن أناقش حق شقيقك في ان يقدم على ذلك أو لا يقدم... فكل إنسان أدرى بنفسه وقدرته على التضحية والاحتمال.. ولعلي اتفهم احتياجاته البيولوجية والإنسانية إلى رفيقة الحياة.. واتفهم رغبته في أن يتعفف ويحمي نفسه من مخاطر إقامة شقيقة زوجته في بيته لفترة طويلة مع ظروفه الخاصة وظروف زوجته وان يحميها هي أيضا من كل ذلك ولست ألوم أحدا ولا أعاتب أحدا، وهو رجل فاضل لم يفكر في التخلي عن واجبه في رعاية أم ابنائه صحيا ومواصلة علاجها بدليل انه اختار هذا الحل العجيب وهو ان يصحب زوجته بعد ان تصبح اجنبية لتكون في رعاية شقيقتها وبالقرب من أبنائها لكني أقول له فقط أن من تمام نبله وإنسانيته ان يصبر على معاناته وظروفه إلى ان يأذن له الله بما يريد فيفعله مبرأ من أية شبهة نقص في الرحمة وحسن الرعاية لشريكة حياته وأم أبنائه التي لم تقصر في حقه إلا حين غلبها المرض على أمرها فالحق أننى اشفق عليه من حسرة المقهور العاجز عن ان يعبر عن قهره وألمه ويصرخ شاكيا منه حتى ولو أبدت زوجته موافقتها باللسان على هذا الزواج الآن وارجو له أن يسعد بحياته الجديدة حين يأذن له الله بها بقدر ما عاناه من آلام وحرمان خلال رحلة مرض زوجته وبغير وخزة ضمير واحدة تخزه من حين إلى آخر كلما تذكر نظرات زوجته المقهورة الصامتة صمتا أبلغ من كل الكلام.

فلماذا يفسد على نفسه - بنفاد صبره - أيامه القادمة بعد أن تحمل ماتحمل. لقد رفع الله درجته عنده بكل لحظة حرمان أو صبر أو ألم عاناها خلال أزمته.. فلماذا

ينقص من فضله عند خالقه بهذا التعجل؟

إن هناك حكمة بوذية تقول ان العظمة الحقيقية هي في القدرة على احتمال المكاره، ولقد تحمل الكثير من المكاره فما ضره لو تحمل بعض المزيد منها لكي يرضى هو عن نفسه قبل أن يرضى عنه الآخرون. لقد ألحت على الآن وانا اكتب هذه الكلمات هذه القصة المروية عن العظيم عمر مع أنها قد تبدو بعيدة عن الموقف الذي أناقشه في ظروفها.. لكني لم أستطع رغم ذلك مقاومة الرغبة في ان أوردها هنا.. فلقد روى المؤرخون ان عمرا المعروف بشدته في الحق وقوة بأسه حتى قال عنه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أن الشيطان ليخشاه، كان يمد موائد الطعام للناس في المدينة ذات يوم فرأى رجلا يأكل بشماله فجاءه من خلفه وقال له: يا عبد الله كل بيمينك، فأجابه الرجل بهدوء: ياعبد الله إنها مشغولة!. فكرر عليه عمر القول مرتين فأجابه بنفس الإجابة فسأله، وما شغلها؟، فأجاب: أصيبت يوم مؤته، أي اصيبت في غزوة مؤتة فشلت وعجزت عن الحركة، فجلس إليه عمر وبكى وهو يسأله: ومن يوضئك.. ومن يغسل لك رأسك.. وثيابك.. ومن.. ومن.. ومع كل سؤال ينهمر دمعه،، ثم أمر له بخادم وراحلة وطعام وبما يصلح أمره وهو يرجوه العفو عنه لأنه آلمه بملاحظته على أمر لم يكن يعرف انه لا حيلة له فيه.. وازداد الحاحة طلبا لعفوه حتى ارتفعت أصوات أصحاب رسول الله الجالسين إلى الطعام يدعون لعمر لرقته مع الرجل واهتمامه بأمره.

فهل يمكن ان يكون شقيقك أقل رقة لزوجته من العظيم عمر لهذا الرجل الغريب؟ لقد كان شقيقك بارا بزوجته ويستطيع ان يكون أكثر رقة ورحمة معها اذا اختار أن يؤجل مشروع طلاقه لها وزواجه من شقيقتها إلى أن يأذن له ربه بذلك وإذا رأى أن يدع زوجته وابناءها هنا في مصر في رعاية شقيقتها وأسرتها وان يرحل إذا أراد إلى مقر عمله ويواصل رعاية أسرته ماديا والانفاق على علاج زوجته في غربته إلى ان يدعوه داعي السماء للعودة فيعود ويؤدي واجبه الأخير تجاه زوجته.. ثم يختار لنفسه بعد ذلك ما يراه في صالح أبنائه وصالحه الشخصي.. فهكذا يفعل أصحاب الرحمة.. وأصحاب الرحمة هم الفائزون فعسى أن يكون منهم.. والسلام.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الأرض الخراب

كتبت إليك منذ فترة أحكي لك عن طفولتي التعيسة وذكرياتها المريرة فرددت عليّ في باب الردود الخاصة تطالبني بأن أنسى ذكريات الماضي الأليمة وان ابتسم للحياة من جديد.. فكيف أنسى ياسيدي وكيف ابتسم وقد كنت طفلةمنبوذة من أطفال العمارة لا لشيء إلا لأنها «سوداء غطيس»؟! لقد كان الأطفال يلعبون ويلهون ويقيمون أعياد الميلاد ويجتمعون فيها فأحاول ان ادخل إليهم فيطردونني من حفلاتهم وكانت الأفراح تقام على سطح العمارة فأرتدي ملابسي واصعد إليه فيقف الأطفال سدا على باب السطح ويدفعونني بأيديهم بعيدا عن الفرح.. أما أمي فمازلت اذكر لها قسوتها على بلا مبرر ولا أنسى يوم عدت من المدرسة وجلست إلى السفرة لأتناول طعام الغداء من محشي الكرمب والبطاطس فجاءت من خلفى وفوجئت بعصا غليظة تنزل بها على رأسي فأحسست بالدوار.. وسقطت على الأرض.. ثم كبرت واحببت شابا فإذا به يقول لى أن اسرته لا توافق على زواجه منى.. لماذا؟ لأني سمراء! وأنا حاليا أعمل في إحدى الجهات واذهب إلى عملي احيانا وأوقع في دفتر الحضور ثم بعد قليل اجد توقيعى مشطوبا عليه كأني لم أعمل ولم أحضر، لقد ضقت بمن دمروني وأنا طفلة وبمن يحاولون تدميرى وأنا شابة فوجدت راحتي في الانتقام منهم وفي التلذذ بأي شر يصيب أي إنسان سواء أعرفه أو لا أعرفه، وإذا كنت أعرفه كانت فرحتي أكبر فإذا سمعت مثلا ان شخصا قد انتحر فرحت وإذا قتل إنسان سعدت واذا سمعت عن فسخ خطبة تكون ليلة سعيدة في حياتي حتى سفاح المهندسين فرحت به وقرأت عن جريمته الوحشية بسعادة! أما خراب بيوت من عذبوني وأنا طفلة.. ومن اتعامل معهم فلقد أصبح هوايتي ووسيلتي إلى ذلك هو التليفون اللعين وقد بدأت بكل الأطفال الذين عذبوني زمان فعاكست آباءهم وأمهاتهم وعاكست زوجاتهم وعاكستهم جميعا وألفت قصصا، وحكايات عن الخيانة الزوجية ورويتها للزوجات وللأزواج في التليفون..

ودمرت بيوتا كثيرة، وبعد قليل أسمع أصوات الشجار في شقة الجارة القديمة ثم أراها تغادر بيتها غضبى إلى بيت أهلها فألتقي بزوجها واخرج معه على أساس أني أسعى للصلح بينه وبينها فأقول له في سياق الكلام وكأني ادافع عن زوجته: صحيح ان زوجتك أخطأت منذ فترة لكنها تابت عن خطئها وعرفت ربها الآن والحمد الله. فيجن جنون الرجل ويوقع الطلاق بزوجته ويرقص قلبي طربا، أما من ليس عندها تليفون من زميلات الطفولة اللاتي اشتركن في تعذيبي ففي الخطابات الكفاية لكي ألاحقها وألاحق زوجها بها إلى ان اقضى على راحتهم جميعا وانتقم لنفسي من عذاب الطفولة، انني لا أعرف لماذا أعيش.. ولا لماذا خلقنا الله كبنات لكي نعيش تعيسات ولا لماذا كانت معاملة أمي لي بهذه القسوة ولماذا يعاملني الناس بجفاء ويحاولون تدميري؟ لقد كنت أعمل في إحدى الجهات الحكومية قبل عملي الحالي وكانت لي زميلة فدمرت حياتها عن طريق التليفون وعرفت انني المسؤولة فقاطعتني وقاطعني كل الزملاء واضطررت لترك العمل إلى مكان آخر فلماذا يعاملني الناس هكذا؟.. لقد فكرت في الانتحار لكني تراجعت

حتى لا أموت كافرة! ولا أعرف الآن ماذا أفعل وهل لوني الأسود هو الذي جعلني مجرمة أم طفولتي التعيسة.. أم شبابي الذي يموت كل يوم؟! أرجو ان تدلني كيف اتوقف عن الانتقام لأني أصبحت كالقاتلة سواء بسواء.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة البشعة أقول:

ولماذا تخشين الكفر حين تفكرين في الانتحار؟ هل يختلف ما تفعلينه الآن كثيرا عنه؟ انك تدمرين الأسر المطمئنة وتحاسبين وأنت في سن الرشد رجالا ونساء عن تصرفاتهم معك وهم في سن الطفولة غير الواعية وترمين المحصنات الغافلات المؤمنات في شرفهن وراميهن ملعون في الدنيا والآخرة كما ينبئنا القرآن الكريم. وتسعدين بطلاقهن وتشتت أطفالهن. أليس هذا هو الكفر بعينه؟ وهل يختلف عقابه عن عقاب الكافر بربه وآلائه؟ اننى لا أزين لك الانتحار وحاشاي ان أفعل وإنها أرد فقط على دعوى خوفك من الكفر بأنها دعوى غير مقنعة مع ما تمارسين من خطايا ترقى إلى مستواه.

وأؤكد لك إنك لم تفكري جديا في الانتحار ولن تفعلى لأن انحرافك النفسي ليس من الانحرافات التي تقود إليه.. فهو انحراف نفسي عدائي للمجتمع وللغير وليس موجها ضد النفس كبعض حالات الاكتئاب أو الادمان وغيرهما وإنما هو من نوع انحراف مدمن السرقة والقاتل المحترف والسادي الذي يتلذذ بإيلام الآخرين وتعذيبهم. فإذا كان الأمر كذلك فأبشرى بطول سلامة.. وبطول سعادة إجرامية بخراب البيوت وتحطيم القلوب والنفوس.. وبطول وحدة وانعزال نفسي وعملي عن البشر حتى آخر العمر ان لم تسارعي بانقاذ نفسك من هذا المصير بطلب العلاج النفسي من نوازعك الانتقامية هذه. وهي حالة معروفة لدى أطباء النفس وقابلة للعلاج وأستطيع مساعدتك في هذا الأمر إذا أردت فاذا رغبت في العلاج حقا وبكل السرية المطلوبة فتفضلي بالاتصال بي، وإلى ان يتم ذلك أرجو أن أوضح لك أن ذكريات طفولتك المريرة ليست مبررا كافيا لإيذاء الآخرين والسعي لنسف سعادتهم وحياتهم.. فكثيرون هم من عاشوا طفولة غير سعيدة فلم تخلق ذكرياتها في نفوسهم كل هذه الرغبة الضارية في إيلام الآخرين.. كا ان لون بشرتك ليس ايضا مبررا مقبولا لهذا السواد النفسي الذي يتكثف داخلك ضد البشر جميعا. نأتى إلى النقطة الجوهرية.. وهي عدم زواجك وتجمع ذكريات الطفولة المريرة مع احساسك المغالى فيه باليأس من الزواج لأسباب مختلفة ليس أهمها اللون، ليثير مشاعرك ضد من نعموا بالزواج أو الارتباط قبلك فيدفعك ذلك وتحت ستار الانتقام ممن آذوك في طفولتك لافساد زيجات من تعرفين.. بمنطق على وعلى الجميع.. وهو منطق شرير ولايقربك أبدا من أملك في الاستقرار والحياة الطبيعية، لأن لكل إنسان نصيبه في الحياة وليس من العدل ان يحاسب من تأخر حظه فيها الآخرين بحظوظهم منها ماداموا لم يغتصبوا منه حقا ولم يعترضوا طريق سعادته.

أما حكاية اللون.. فهي قصة ثانوية لايتوقف أمامها المرء طويلا إذا اقتنع بشخصية الطرف الآخر وخلقه وروحه الطيبة وسجاياه ومشكلتك هي انك قد لبست السواد تحت جلدك وكرهت البشر ونفر منهم وآذيتهم فلا عجب إذن ان يبادلوك نفورا بنفور. فطهري قلبك وأعماقك أولا من سوادهما تتفتح لك قلوب البشر المغلقة في وجهك. ولا تحاسبى الحياة بأسرها با صنعه معك بضعة أطفال صغار أو شاب لم يحبك فاعتذر عن الارتباط بك بذلك العذر الواهي، أو أم أخطأت الطريق القويم للتعامل معك في طفولتك، تخففين بذلك عن نفسك ما حكمت به عليها من اغتراب وانفصال وتلتحمين بالحياة وتتبادلين مع الآخرين دفء المشاعر والصلات الإنسانية. فتنفرين تلقائيا من الخرائب التي لايسعد بها إلا البوم!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الأرض الجديدة

أنا «الأرض الخراب».. أو صاحبة الرسالة التي سميتها كذلك لأنى كنت سامحنى الله وغفر لى اسعد بخراب البيوت وأفرح عند سماع الصراخ على ميت.. واسعى بالوقيعة بين الأزواج وزوجاتهم واتهم الزوجات في شرفهن واتلذذ بطلاقهن وتشردهن انتقاما ممن آذوني وأنا طفلة صغيرة سوداء اللون وكانوا ينفرون من لعبي معهم، ومن أمي التي قست على في طفولتي، انني اكتب إليك الآن لأقول لك أنني بدأت خروجي من الأرض الخراب ولن أعود إليها إن شاء الله.. فقد عملت بنصيحتك بعد تفكير طويل وحاولت ان أكفر عن جرائمي فذهبت إلى الأزواج الذين هدمت بيوتهم وكفرت لهم عما فعلت وطلبت منهم الصفح والسماح.. وكادت «المسألة» تصل للبوليس لولا رحمة ربنا بي ولولا أني هددتهم بالانتحار إذا فعلوا - وكذلك فعلت مع الزوجات ودعت على بعضهن لكنهن سامحنني في النهاية والمسامح ربنا. وأرجو منك أنت أيضا أن تسامحنى على ما فعلت واشكرك رغم قسوتك على في الرد لأني استحق كل ما قلت عنى ولأنك أخرجتني من الظلام الذي كنت أعيش فيه ويكفى أنني بدأت الآن أعرف النوم المطمئن الهادئ لأول مرة منذ سنوات.. واطلب من الله العفو والمغفرة لكن بقيت مسألة واحدة لم اتصرف فيها بعد هي مسألة زميلتي في العمل التي كنت قد سعيت بالوقيعة بينها وبين رئيستنا في العمل بالرغم من وقوف هذه الزميلة معى طوال دراستي بمعهد التعاون.. فقد قاطعتني هذه الصديقة من ذلك اليوم ولا اعرف كيف أصلح ما فعلت معها وأرجو ان تساعدني في ذلك وأنا الآن أحاول ان أطهر نفسي وان انظر للحياة بأمل كما نصحتني في الردود الخاصة حين كتبت لك أول مرة قبل نشر رسالتي وإن كانت حياتي لم تتخلص بعد من كل متاعبها.. فأبي مازال دائم الشجار معي أنا وأخواتي البنات ويعايرنا دائما بأننا لم نتزوج حتى أنني ذهبت مع صديقة لي لدجالة لكي تساعدنا في الزواج بلا فائدة وقد خطبت قبل ذلك لشاب لكن عمله لايناسبني لأنه يعمل في الليل وينام في النهار وأنا أعمل في النهار كما اني حصلت على بكالوريوس معهد التعاون بتقدير مقبول ومهنته لا تتناسب مع مؤهلي.. انني اسير في الطريق الذي نصحتني به - وأرجو ألا تتخلى عني.. وأن تدعو لي ربك ورب الجميع ان يسامحني ويغفر لي وان يسامحني الناس وينسوا لي ما فعلت بهم.. وليرحم الله أمي ويكفر عنا جميعا سيئاتنا والسلام عليكم ورحمة الله.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

قال أحد الصالحين: «ليس البكاء بتعصير العيون.. وإنها بأن تترك الأمر الذي تبكي ندما عليه» وهذا صحيح يا آنستي فان كان عزمك قد صح على أن تتحولي من أرض خراب إلى أرض صالحة تنبت الخير لنفسها وللآخرين، فانه يصبح حقا

عليك أن تتركي كل ما كنت فيه خلال جاهليتك وضلالك السابقين، وان تندمي الندم الصادق عليه بالاقلاع عنه والتكفير عما فعلت. والتوبة الصادقة تجب ما قبلها ويغفر الله بها لمن يشاء كل الذنوب وإن عظمت ولايبالي، وها قد اثبتت لك الحياة ان في الناس خيرا كثيرا لم يكن لك به ثقة من قبل.. فالأزواج الذين هدمت بيوتهم.. لم يؤذوك ايذاء حقيقيا حين صارحتهم بما فعلت وطلبت عفوهم وماكان تهديدهم لك بالشرطة إلا ضريبة هيئة لم تخرج إلى حيز الفعل ولم تتعد حدود التعبير عن الضيق والغضب مما فعلت وكذلك فعلت معك الزوجات البائسات.. ولم يحجب عنك الجميع صفحهم رغم المرارة وفداحة الجريمة.. وما أحسب أن زميلتك في العمل سوف تضن عليك به هي الأخرى إذا لمست فيك تحولا صادقا! عن كف الأذى وإلى حب الآخرين والندم على ماكان، فاجعلي سفيرك إلى استعادة مودتها وصفحها سعيك لإصلاح ما أفسدت من أمرها مع رئيستها.. وتحملى جفاءها وتشككها فيك إلى ان تثبت لها الأيام عكس ظنونها.. فاسترضاء النفوس مهمة عسيرة تتطلب صبرا ومثابرة، وما تفسده الشرور منها في لحظات قد يحتاج إلى شهور وأحيانا إلى سنوات لازالة آثاره عنها. وسيكون الفيصل دائما في عودة العلاقة الطبيعية بينك وبين كل من تتعاملين معهم هو التزامك بالنهج القويم في علاقتك مع البشر ومع الحياة فإذا ثابرت على الطريق وتحملت ضريبته فلابد ان تصلي ذات يوم إلى ما تنشدين من أمان وسلام وحياة سعيدة إن شاء الله.. وشكرا لك.

المهتدين

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تم الكتاب بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

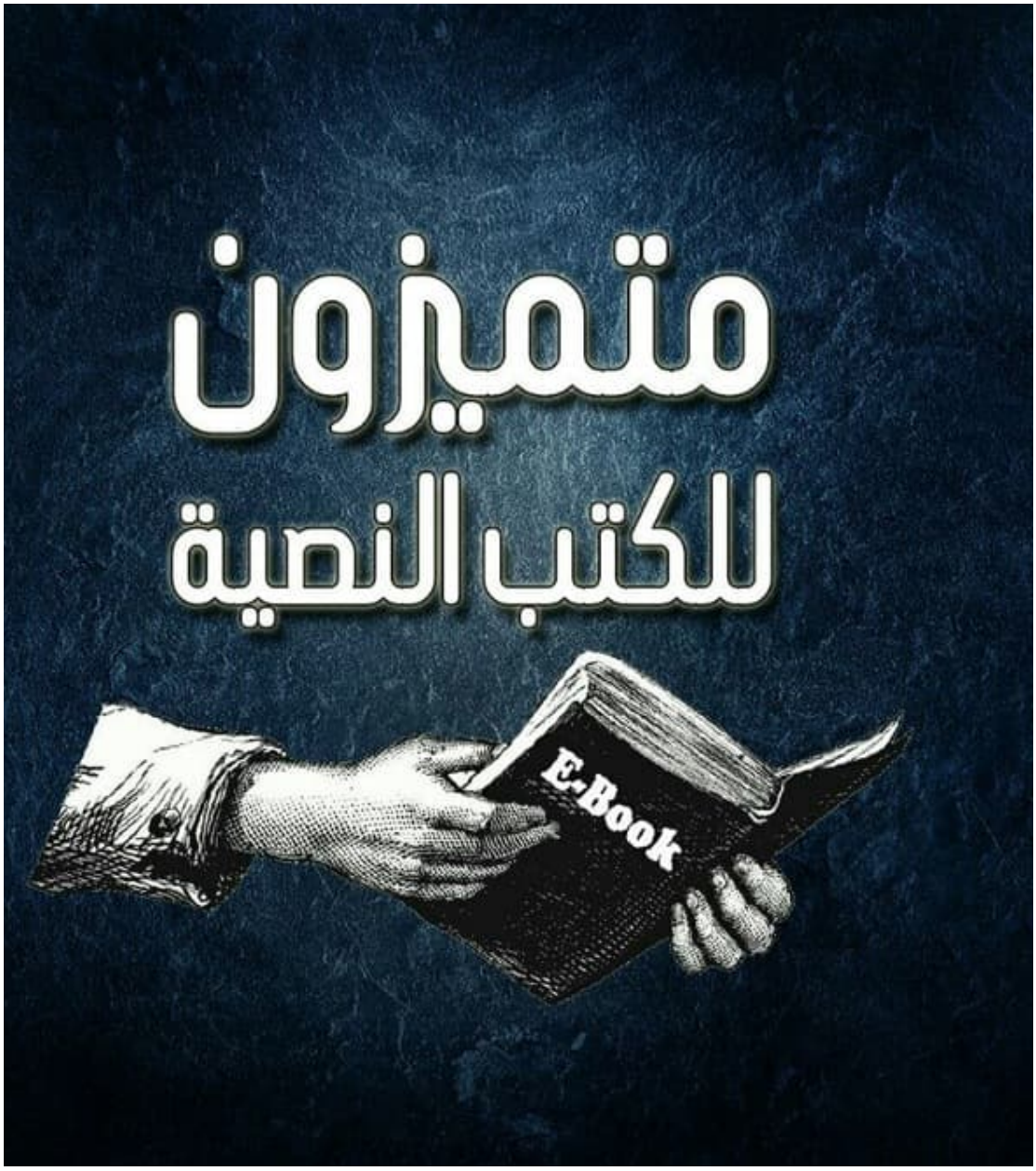
متميزون
للكتب النصية
E-Book

الفهرس:

رقصة الزفاف!
الرجل القوي
العام الأخير !
لهيب النار
المنطقة المحرمة
العودة!
في المنفى
صوت الصمت
ألوان الورد!
هدوء العاصفة
حـــادث الشاطئ!
الجوائز
رســـالة ممنوعة
الجنيه الذهبي
الأحـــلام الموءودة!
المقارنة!
المظهر الفخيم!
خيوط الألم

الرحيل!
السلام.. البارد
البقع البيضاء
النظرة البعيدة
الإحساس الغامض!
الحلم العجيب!
لقاء الصباح
المباراة!
رسالة من الجانب الآخر!
حبل الحياة!
الصمت المقهور!
الأرض الخراب
الأرض الجديدة
الفهرس: